

نورالدين يوسف نورالدين

الشعراء الثلاثة

أبو الطيب المتنبي
أبو العلاء المعري
الشريف الرضي

دراسة - تحليل - منتخبات

الفتنة

في تاريخ الفكر الانساني ، حروف ضخمة ، احتلت مكانتها
بجدارة ، ومقدرة ، واستحقاق ، وتفتحت امامها ابواب العبقورية
فانخلود .

وحتى الان ، والى الابد ، لن يتحجر الفكر الانساني ،
ولن تعد العبقورية سبيلاً الى الانطلاق ، بل تخطت سنة التطور
كل حواجز الرجعية ، وحطمت افكار الانسان ، صروح الظلم ،
ودكت معالم الاصنام والعبودية .

ودائماً الانسان ، ذلك القبس الملهب من حيوية ، ونشاط ، وتطلع .
ودائماً قلب الانسان . ذلك الوتر الذي عزف ، ويعزف
اعزب الحان الجمال ، والخير ، والحق .

ودائماً عقل الانسان ، ذلك الميزان ، الدائم العمل ، والدائم
التفتيش عن الحقيقة ، والمجدد قيم التقدم والابداع .
ثم نفس الانسان ، ويله منها ، تلك الدابة الخرون . المنتفضة
دائماً ، الانانية ابدا .

اذن ، هو الانسان ، هم الناس ايضاً ، ونحن هنا نتحدث عن بعضهم ،
عن بعض الذي شغلوا الناس ، شغلواهم في عصرهم ، وفي العصور التي تلت ،
وحتى هذا الوقت ، وستبقى آثارهم شغل الناس في العصور اللاحقة ايضاً .
ولست اول من تحدث ، كما انني لست آخر من سيتحدث عنهم ،
ولكنني مع كل هذا سأحاول جاهداً ، ان اوضح ما غمض من تلك
الجبلة الواضحة الغامضة .

من اقصى الامور على النفس ، ان تكون انت التاريخ ،

التاريخ : ما هو ؟ هل هو الزمن ؟ ام الانسان ؟
فالتاريخ هو الانسان ، الانسان المتفوق ابداً ، المتفجر قوة
وعزماً وبطولة واقتحاماً للصعاب

انه لمعات الفكر المجدد الباعث . انه التغير المفاجيء الذي
يقضي على العمود والتحجر . انه السفر الذي يشع من سطوره
لألاء الحضارة ويهرجها . انه الابداع الفعلي الذي يرسم ويخطط
ويبنى وينشيء لما نسميه ، ولما يسميه الناس ، الاجيال .

لهذا قلت ان من اقصى الامور على النفس ان تكون انت
التاريخ . انت يا من ستتعرض يوماً لقسوة التاريخ وعذله .
مع كل هذا ، كن جريئاً وجديراً بأن تكون حرفاً من
حروف . او كلمة من كلمات ، او سطوراً من سطور ذلك السفر العظيم .
ونحن الآن امام ثلاثة حروف ضخمة محفورة في قلب صفحة
من صفحات ذلك السفر حيث نود ان نتمتع لأنفسنا فرصة الوقوف
على الحيز الزمني والكاني الذي احتلته هذه الحروف ، والذي
اطلت منه على البشرية ، بالومضات الصاعقة ، والحوالد العاصفة .
حرفنا الاول حسب التسلسل الزمني هو المتنبي .

المتنبي ، ذلك الحرف الكبير في تاريخ الادب العربي . بماذا
ينبئنا ذلك الحرف ؟ وهل استطاع المتنبي ان يجلس في المكاتب
العالي من التاريخ الذي تنطح له ، وطمح اليه ، واراد ان
يكون فيه ؟ وهل اعد الزاد الملائم لتسم مثل هذا المكان ؟

الحقيقة ، ان المتنبي كأكثر رجال التاريخ ومفكويه ، يتميز
بشيء من الجسامة التي لا تعرف الكلال ، وبحظ عظيم من الذكاء
اللاع الذي هم ابداً الارتفاع ... والارتفاع ... وبموهبة شعورية
وفنية استخدمها للوصول الى ما دفعته اليه جوارته وحزمه وتطلعه

الى القمم والقلال . لأنه لا يكفي لمن يرغبون الخلود ، ودخول التاريخ من رتاجه الكبير ان يقصروا زاهم على الموهبة وحدها ، وانما يجب ان تلازم الموهبة اندفاع الرجل بجرأة وجسارة وقوة فيما يندفع اليه ، وفيما يريد ان يبلغ من اهداف قد تكون هوساً وجنوناً وانسياقاً في اللامعقول ...

هكذا دخل المتنبي باب التاريخ ، وخط في صفحته حروفه الضخم . ونأتي الى الحرف الثاني ، وهو حرف مماثل للحرف الاول من بعض الوجوه ، ومختلف عنه من وجوه أخرى . ولكنه يلتقي معه في الثورة ، والايغال في الهدم والتمرد ، ويزيد عليه تعقلاً ودراية وتفلسفاً ، وعرضاً لمشاكل الحياة وقضاياها الوجودية والغيبية ، ذلك الحرف الذي لا يقل عن الحرف الاول ضخامة هو ابو العلاء المعري .

اما الحرف الثالث ، فلا يقل عن الأولين ثورة ، ورجولة وقوفاً ، ولكنه يزيد عليهما افتتاناً بالجانب الضاحك من الحياة ، فهو يغني ويشدو ، كما تشدو البلابل ، ويترنم بروائع تبعث في النفس الانسانية الشعور باللذة والمرح ، اللذين رغب فيهما الشريف وأثرهما ايشاراً لا يخالو من الشدة .

ثلاثة حروف ، نستبين منها ثلاثة رجال جثموا فوق رقاب الاجيال الزاحفة ، واجبروها على الاعتراف لهم بالقدرة المتحدية الزمن ، غير الهيابة ، وغير المتعاصاة عن امر جلال ، والمستهيمنة بكل بغي وظلم ، والناشوة كل عدل وحق ، والمستخفة بكل مشقة وتعب .

اذن الانسان ، ذلك الجبار القزم ، ذلك الذكي الغبي . سيبقى

دائماً أمثلة الدنيا ، وكتاب التاريخ .
فيخلد من بني الناس من شذ عن قاعدة الحياة العادية ، ويبقى
مجهولاً من اقمع ذلك « الروتين » العادي لسير الانسان في ركب
هذه الحياة .

وطرق اخلاود كثيرة ، وانواعها ومسالكها متباينة ، ومن
هذا ، قد يخلد التاريخ فاجرا سفيهاً ، عريداً ، وعدواً للقيم التي
يقدمها الانسان ، وتؤمن بها البشرية .
وقد يتنكر لعبقري عظيم كرس نفسه ووقته للانتاج الخير
الخصب .

انه الانسان ذلك الذي يصنع التاريخ ، وافعله تلك التي تكتب
كلماته ، واذا عرفنا ما في الانسان من متناقضات واهواء ، منها الخير
الرفيع ، ومنها المنحط الوضع .
واذا عرفنا ما في اعماله من غرائب وشواذ ، لأدركنا ما وصل
اليهنا عن الاجيال السالفة ، ولاكتشفنا ما يحيط بنا من امور
عجيبة قد يعجز عن حلها العقل الذي آمن به المعوي ايماناً
مطلقاً .

ولكن ذلك السر الذي صنع التاريخ والانسان معاً ، سيبقى
الستار الذي يحجب عن الانسان المعرفة التامة ، فالسعادة القصوى .
والذي يلجمه عما يدعي به من التسلط ، والسيطرة ، والقدرة .
وسيبقى الانسان وحالة هذه ، اي انسان . سيبقى الحرف
الدائم السهمي والعمل لاحتلال مكانه في عالم نجده اوسع من ان
تشغله عبقریات الرجال . وسيبقى الانسان وعالم الانسان ضعيفاً
بسيطاً امام تلك القدرة الجبارة العلمية .
ولكنه اخلاود ، والشعور بالتفوق في هذه الدنيا ، انشودة

الرجال ، ومطلب النفوس ، ومسعى العقول ، والهدف الذي
يجتهد الانسان في سبيله كل ما في كيانه من قوى .
فليكن الخلود والوصول الى مرتبة الخالدين في عالم الفكر
والفن والاختراع والوطنية ، غاية كل فرد ، فبذلك الابداع ،
وهذا التحفز ، تبقى امتنا متمسكة ظافرة في عالمها ، ونستمر ومشعل
التفوق ينير امامنا سبل الحق والخير .

ولنا في عالم الفكر والابداع والعبقوية ، صفحات خالدة .
واذا انا ابعث بعض هذه الصفحات ادعو الى صفحات جديدة ،
بل الى كتب ضخمة في شتى حقول الفكر ، والعمل ... والتفوق .

نور الدين يوسف نور الدين



يا ماضيي أخير في كؤوسكما أم في كؤوسكما هم وتسهميد
اصخرة انا؟ مالي لا تحر كني هذي المدام ولا هذي الاغاريد
.....
ماذا لقيت من الدنيا واعجبه اني بما انا منه شاك منه محسود

... هذا الرجل الذي لا يطربه الغناء . ولا تحركه الشجرة ونشوتها ،
هذا الرجل ، الذي تتخيل وكأن كأسه ليست سوى آنية متروعة بالهموم
والآلام ، هذا اليأس ، القانط ، المحطم ، الوحيد في حياة كلها حسد ،
ونمية ، وبغضاء .

وهذا المغني الذي يحرك لواعج النفوس بأنشاده ، ويبعث الألم والدفقة
في القلوب بتوجعه وتألمه وشكواه ، هو نفسه القائل في مطلع شبابه
وفي زهوة صباه :

اي محل ارتقي	اي عظيم اتقي
وكل ما قد خلق الله	وما لم يخلق
محتقر في همتي	كشعرة في مفريقي

النفس الطامحة التي كانت في ذروة الكبرياء والعظمة ، والقلب الكبير ،
الذي ما خاف الاهوال ، وما خشي الليالي والايام ، والذي صور حياته
انشودة العظمة والرجولة ، هذه الرجولة نفسها قد نالت منها الايام .
وقد اختنتها مصائب الحياة وكوارثها .

ان المراحل التي سجلت فيها هذه المشاعر المتباينة ، من عظمة ومجد
واستصغار لكبار الامور ، الى الاحساس بهذا الواقع الأليم الحزين
الذي انتهى اليه امر صاحبه ، ثم هذه الوحدة المضنية ، مضت الايام
تصارع الرجل ويصارعها ، فينتصر على الاحداث حيناً ، وتنتصر هي
عليه احياناً .

في هذه المرحلة ، بل المراحل الطويلة سطرت الخطوط البارزة
لحياة وفن الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس .
من هو ذلك الرجل الذي شغل اناس عصره ، بل الاجيال التي

عقبت اولئك الناس من الذين يتكلمون هذه اللغة ، التي غنى بها الرجل
اناشيد البطولة والرجولة ، واهازيج القوة والعظمة ؟

ذلك الرجل هو ابو الطيب احمد ، المعروف بالمتنبي ، اما بقية كنيته
كما تذكر كتب الادب فهي ، احمد بن الحسين ، بن الحسن ، بن عبد
الصمد الجعفي ، الكندي ، الكوخي ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ بمحلة
كانت تسمى كندة .

واقعد دار حول هذا النسب جدل طويل ، فمنهم من زعم ان
والده كان يعرفه القوم (بعبدان السقاء) ولكنني اشك في صحة هذا
النسب والأبوة ، ايكون ابن السقاء من يقول :

واني لمن قوم كأن تقومهم بها انفان تسكن اللحم والعظما
انني سأعتمد امر نسبه ، اقواله . وإشعاره ، ثم الحوادث التي تعاقبت
على حياته والتي نال اثاثها ما نال ، وفي اعتقادي ان نسبه جر عليه
الكثير من المشاكل ، منها امر بنوته مثلا ، وسوف نتحدث عن ذلك
في حينه .

وسأثبت هنا قوله عندما سأله علي بن الحسن التتوخي عن نسبه
فأجاب المتنبي : انا رجل احيط القبائل ، واطوي البوادي وحدي
ومتى اتسبت لم آمن ان يأخذني بعض العرب بطائلة بينها وبين
القبيلة التي انتسب اليها ... وما دمت غير منتسب الى احد فأنا
اسلم على جميعهم ويخافون لساني .

او كان المتنبي ينتسب الى احدى القبائل الكبيرة لقلنا انه على حق
في ذلك ، او لو انتسب الى رجل عظيم لقلنا ان الرجل معذور في
هذا ، اما ووالده سقاء فاماذا يخشى الانتساب اليه ؟ ، ثم لماذا يخشى
الانتساب الى قبيلة والده ولا يجزع في مدح اهل جدته ووالدها :

لو لم تكوني بنت اكرم والد لسكان ابلك الفخيم كونك لي اما
فكيف يخشى من الانتساب الى قبيلة ابيد ، ثم لا يهاب من
الانتساب الى قبيلة جدته وهي بنت اكرم والد .
ثم اليس هو القائل :

وهم فخر كل من نطق الضا د. وعوز الجاني وغوث الطريد
من هم هؤلاء الذين يفتخر بهم الشاعر ؟

الواقع ان ديوان الشاعر لا يؤكد النسب ولا يسجله . ولكنه
يتركنا في حيرة ... فالمتنبى لم يمدح والده ولم يفخر به ، كما انه لم
يرثه ، ولم يحزن عليه حين موته .

اذلك حامت الشبهات حول نسبه ، سيما وقد رافقت حياته بعض
الامور التي تثبت ان المتنبى لم يكن ابناً لذلك السقاء . ولكنه
يستدل بما ورد في الحديث عن لسانه ، وفي بعض اشعاره ، ان
الرجل كان يكره الحديث حول نسبه ، واذا أكره على ذلك فضل
ان ينسب نفسه الى البأس والقوة ، والى السيف على ان ينتسب
الى ذلك الجعفي المغسور .

تري ، هل كان الشاعر ينجل ان ينتسب الى ذلك الرجل ؟ اما
تري هل كانت عائلة الشاعر تكره ان ينتسب هو اليها ؟

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي ...

انا ارى الافتراض الثاني ، فاذا اعتبرنا ما جر عليه نسبه من
النقمة والكره من بعض الفئات ، وخاصة العلويين ، تبين لنا ان
بين هذه النقمة وبين نسب الشاعر حلة قوية .

هل كان والد المتنبى علوياً ، وهل رافق هذا الامر بعض الشذوذ

والحوادث التي تهرر عدم الاعتراف - به رسمياً - هذا ما اعتقده .
ودائلي في الاسباب التي ذكرتها ، والاسباب التي سأتي عليها ، وسأشير
اليها في حينه . ولنتعرف الآن الى طفولة الشاعر ونشأته .

كان المتنبي حبيباً للعلم ، ذكياً ، فطناً ، يهرع الى المكاتب فيقرأ
ويستمع بما يقع تحت يده ، ويحفظه ، وقد روى عنه احدهم نادرة
توضح قوة حافظته وفطنته ، وهو انه استعرض من احد الدالين كتاباً
فيه اكثر من عشرين ورقة مخطوطة واطال تأمله فيها فبادره الدلال
قائلاً : اريد بيعه وقد قطعني عن ذلك ، فأنا كنت ترغب شراءه
فيعجل بالثمن ، وان كنت تريد حفظه فهذا في شهر ، فقال له
ابو الطيب :

« فان كنت حفظته في هذه المدة فما لي عليك ؟ »

قال « اهب لك الكتاب » قال الوراق : فأخذته من يده ، فأقبل
يسرده علي الى آخره . . .

ان هذه النادرة على ما فيها من مغالاة تبين فطنة الصبي وذكائه
واستعداد اليب لقبول العلم والمعرفة .

لقد حفظ اخبار العرب ، وأشعار الجاهلية ، ثم درس الشعراء المتقدمين
والمعاصرين ووفر لنفسه كنزاً و ذخيرة لا تنضب .

ولا بد لنا الا ان نشير الى عصر المتنبي ، ذلك العصر الذي كان
له مع المتنبي شأن ، وكان له في شعر المتنبي اثر بارزاً .

لقد عمت الفوضى ، وتباينت الدعوات السياسية ، وملك الطمع
والجشع على الامراء والحكام كل تعقل ، وكل روية ، ففسد الحاكم والمحكوم ،
وبرزت الطبقة تهدد وتندر بالويل والثبور .

لم تكن الخلافة العباسية سوى رمزاً دينياً ، بينما استقل عنها الامراء

في الاصقاع البعيدة منها والقريبة ، ثم وقعت ثورة تركت آثاراً بارزة في حياة ذلك الجيل ، ألا وهي ثورة القرامطة . ومن المؤكد ان المتنبي قد تأثر بهذه الدعوة ، بل يمكنني ان اقول اكثر من ذلك ، اقول انه كان قرمطياً صرفاً عندما عاد من البادية ، ومن ان القرمطية ، يضاف اليها امر نسبة دفعت به الى التجول والترحال .

قلنا ان عصر المتنبي كان من العصور التي كثرت فيها الفوضى والشغب والطمع ، والطموح ، عصر جمعت فيه النقوس الى المراكز السامية ، وتناهدت فيه القلوب الى البغضاء والحسد والنميمة ، وتسخير جميع العوامل في سبيل الغايات والاهداف ، وخصائص ذلك العصر الملتهب ، انه عصر هانت فيه الوسائل مهما اختلفت انواعها ، وسهل ركوبها في سبيل الغاية .

وكان لا بد للرجل ، في ذلك العصر إلا ان يسلك احد الطريقين ، اما ان يخضع ويستكين ، ويرى ولا يقدم ، واما ان يداو بدلوه ، ويجرب حظّه ، كما يقال ، علم يبلغ ما يتأجج في صدره من الاحلام والاماني .

من هذه الفئة الاخيرة كان شاعرنا المتنبي .

وقد يكون للشاعر العذر في هذا ، وهو الفقير المشتبه ، والذي لا يقدر له ان يبلغ في الحياة ما بلغه غيره من اهل الجاه والمال . ومن هم دونه فطنة وذكاء ومعرفة لهذا الهدف .

اذن ، لقد شعر المتنبي بفقد العدل والحق ، وانعدام المساواة والانصاف ، ولا بد له ان يسيخط وينقم وهو الفتى صاحب النفس الحساسة ، ومن ذلك الحين — ويمكنني ان اقول ذلك — عرف المتنبي هدفه ، ووضع الخطط له .

كان يريد هناء الناس وسعادتهم ، ولكنه كان يريد قبل كل ذلك استغلال الظروف لمصلحته هو ، كان يريد مجد امته واجتماع كلمتها ، ومع كل هذا كان ينبغي سعادة نفسه وعزها .

لقد كان الشاعر اول الامر ، اي في الفترات الاولى من حياته يندفع اندفاعاً صارخاً من اجل خير الجماعة ، وفي سبيل حياة فضلى ، ومجتمع اصلى ، يعطف على المظلوم ، ويحاول مد يد المساعدة للمحتاج والضعيف ، وكان لا بد له ان يثور على الاوضاع السياسية ، والاجتماعية ، ومن اجل كل هذا ، وفي سبيله ، فثار عليها وهاجمها بشدة ما بعدها شدة ، ونشير هنا الى ان المتنبي في تلك الحقبة من حياته لم يكن انانياً جشعاً ، ولكنه كان انساناً ينشد العدل لجميع الناس على اختلاف انواعهم ومتباين آرائهم ، ونؤكد هنا وجود الدعوة القرمطية في حياته ، التي اخذت الكثير من وقته وجهده وهو يبشر بها في الفيافي والبادي والقفار .

ويمر الزمن ... الزمن المعلم ، فاذا كل هذا لا يعوض عن نفس الشاعر شيئاً ، وهنا تبدو خصائص نفسيته بعد الفشل الذريع الذي نزل به في مستهل حياته ، وبعد ان تحطمت امانيه وآماله في احقاق العدل والانصاف ، وبعد ان تبخرت من رأسه اهواء الشباب وكرمه ، فاذا به بعد ان ابتلي الحياة وعرف الناس وبعد ان خابت دعوته ، وانجلت تلك الغمامة العاكرة من الاوهام ، اذا به يسيطر على نفسه الحقد الجامع والانانية المسرفة ، وبصورة اوضح ، لقد اضحى يحب نفسه ، بل يعشقها اذا كانت تعشق الانفس .

وعودة الى حياة الرجل .

عرضنا انه كان فقير الحال ، وكان في بلده الكوفة دائم التبرم بأحزانه واحتاده وفقره ، وكان دائم الثورة على تلك الاوضاع ، كثير

العجب من هذه الحياة وما يرى وما يسمع ... الى جانب هذا
عظيم التقدير لعمه وذكائه ...

لم الليلي التي اخنت على جدتي برقة الحال واعذرني ولا تلم
ارى انساناً ومحصولي على غنم وذكر جوده ومحصولي على الكلام
ارأيت هذا التحرق ، وهذا الشعور ، ان هذا الشعور بالحاجة
والظلم اوصل المتنبى الى ما وصل اليه كما سنتبين .

بقي الفتى في الكوفة حتى سنة ٣١٧ ثم هجرها الى البادية وتنقل بين
قبائل كلب وغيرها وحفظ عندها قواعد الشعر واللغة ... ولم يطل به
الامر حتى عاد الى الكوفة يغرق ثانية في الشقاء والحقد ... ومن ثم
خرج الى بغداد عاصمة العلم والشهرة والمجد ، وعلى الأرجح كان خروجه
حوالي سنة ٣١٩-٣٢٠ وفي بغداد شاهد المتنبى من الاحداث ما هنر
نفسه هزأ ، وكيف كان الموالي من الديلم والأتراك والاعجام يخرجون
على الامراء والحلفاء ، وكيف اصبحت الخدم تتصرف بأمر الدولة
وشؤون السياسة ، فغفت نفسه الابية ، وكرامة الشباب ، ان يمدح احداً
من هذه الجموع المتهافئة الحقيمة .

وامتلاً صدره بالحقد الدفين وقد رأى امته وبلاده يسودها التنافر ،
وتحكمها جماعات من الخدم ، وعقد العزم والرأي على ان يخرج الى
الارض يضرب فيها عليه يصيب من وراء هذا الخروج ما يعتقد
وما يريد .

محي قيامي ما لذتكم النصل بريئاً من الجرحي ، سليماً من القتل
من هم محي قيامته ، غير جدته ، وما هي قيامته ؟ ان ذلك يعني

ولا شك ثورته ، اذن لقد بدأ الفتى يفكر بالثورة ، بل بدأ يشور
وعقد العزم على انه يريد ان يدرك ثأراً وان يحقق امراً .
وخرج الفتى الى بغداد ، ثم مضى عنها بعد ان شاهد ما شاهد ،
الى ديار ربيعة ، ثم نصيبين ، ورأس عين ، وحران ، ومبنج ، ثم دفعته
الايام الى دمشق سنة ٣٢١ هـ ثم بعلمك ، وطرابلس ، وحمص ، وحلب ،
واللاذقية ، وانطاكية .

اذن لقد سلك الفتى طريق الشعر ، واختار لنفسه هذه الحياة ،
وفي هذه المرحلة من حياته مدح اكثر الامراء والحكام الذين التقى
بهم في مستهل رحلاته وفي خطواته الاولى نحو حياة الكفاح والطموح ،
ولا بد لي من الاشارة الى ان الشاعر في تلك الاثناء كانت تظهر في
ثنائا مدائحه عقيدته القرمطية .

ومن جملة مدائحه قصيدته في بعض الكلابيين ومطلع القصيدة :

اذا ما شربت الخمر صرفاً مهناً شربنا الذي من قبله شرب الكرم
الا حبنا قوم زراما هم الانما يسقونها رياء وساقهم العزم
ومدح ايضا سعيد بن عبد الله الكلابي القيسي بقصيدة مطلعها :

احيا وايسر ما قاسيت ما قتلا والبين حار على ضعفي وما عدلا
ثم مدح ابو المنتصر شجاع الازري بهذه القصيدة والتي اضحى
مطلعها انشودة تتلوها فئة كثيرة من الناس صادفهم في حياتهم ما
صادف صاحبها في حياته .

ارق على ارق ومثلي يارق وجوى يزيد وعبرة تترقرق

ومدح كثيرين غيروهم ، وفي تلك الايام التقى بسيف الدولة ،
هذا الذي قال فيه بعد سنوات قصائد خلدها الايام ورددتها الاجيال

ومطلع هذه القصيدة التي قالها في مدحه :

ذكرُ الصبا ومرايح الآرام جلبت حمامي قبل وقت حمامي

اذن ، لقد التقى المتنبي في مستهل حياته بالامير الشاب سيف الدولة الحمداني ، واعجب به ومدحه ، ولم يكن هذا المدح كما اعتقد يهدف التكمسب ولكنه كان نتيجة الاعجاب والتقدير والاحترام .

ونحن اذا تناولنا خصائص هذا الشعر في ذلك الوقت ، وفي ذلك السن المبكر ، والشباب الكريم للمسنأ نحو الملكة الشعرية المسرع لدى المتنبي ، وان قصائده اذحت تتجه بسرعة فائقة نحو الكمال ، ونحن وان لمسنأ في هذه القصائد خفة الصبا ، وشعور الشباب ، ثم بعض المآخذ ، لا بد لنا من ان نلمس ايضاً هذا الاتجاه نحو النضوج والكمال ان كان في اللفظ او في المعنى ، او في التفكير والشعور .

ولكن المتنبي لم يطل به المقام في ديار الشام وهي الديار التي كثر فيها الاضطراب وسادتها القلاقل والمنازعات بين سلطان مصر من جهة ، وسلطان العراق من جهة اخرى ، واخذت القبائل تفكر بالاستقلال عن هذين السلطانين معاً .

فرحل عن الشام الى ملك الاخشيديين يبغي هناك الشهرة ويرجو الامن والاستقرار ولكن الامل الذي كان يراوده هناك لم يتحقق فعاد ادراجه نحو طرابلس حيث مدح عبيد الله بن خلصان بالسينية التي مطالعها :

دان بعيد محب مبغض بهج أغرّ حلو ممر لين شرس

ونحن نرى التكلف الظاهر في هذا المدح ، ولكن المتنبي كان قد اشتهر فلذا قبل شعوره قبولا حسناً .

وترك المتنبي طرابلس ثم اتجه الى ملك التوشيين حيث مدح

رجلين منهم ، احدهما علي بن ابراهيم بن اسحاق التنوخي ببضع قصائد
جاء في مطلع احداها :

احقُّ شاف بدمعك الهمم أحدث شيء عهداً بها القدمُ
ومدح ايضاً الحسين بن اسحاق التنوخي بقصائد اخرى ايضاً ،
مطلع احداها :

اتنكر يا بن إسحاق اخائي وتحسب ماء غيري من إنائي
واننا نلمس ان امر الشاعر قد عرف ، وشأنه قد عظم من خلال
هذه القصيدة وغيرها من القصائد كما اننا نلمس هذه الروح الطامحة
وهذه الهمة العالية التي تبرز من خلال الفاظه ، وجمال التصوير ،
وعظمة المعنى :

أفكر في معاقرة المذايا وقود الخيل مشرفة الهوادي
زعيم للقمنا الخطى عزبي بسفك دم الحواضر والبوادي
الى كم ذا التخلّف والتواني وكم هذا التماي في التماي
وشغل النفس عن طلب المعالي يبيع الشعر في سوق الكساد
وما ماضي الشباب بمسترد ولا يوم يمر بمستعاد

ماذا يريد الشاعر اذن ؟

انه يتهمياً ولا شك لأمر جليل ، فهذه القوة التي يدخرها ، والعزم
الذي يتغنى به ، اذن لقد نضج الشاعر ، واضمحى خبيراً بالحياة والسياسة
والحكم والدهر ، واذا المتنبي الآن اوسع فكرة واعمق نظرة ،
فهو يريد تحقيق وحدة قومه وبلاده التي قطعت اوصالها مطامع الاعجام
والترك والديلم .

ورحل المتنبي الى طبرية ، اوليست حياته رحلات متعددة
لا نهاية لها ؟

وفي طبرية نلمس قوة الشاعر على الوصف ، وهذا وصفه لبحيرتها
يعطينا الدليل الواضح على تلك الخاصة والقدرة في التصوير .

والموج مثل الفحول مزبدة تهدر فيها وما بها قطم

والطير فوق الحباب تحسبها فرسان بلق تحونها للجم

كأنها والرياح تضربها جيشاوغى هازم ومنهزم

ونمر بهذه الفترة من حياة المتنبي وقد رأينا من انها تصور الشاعر
العادي وقوام شعره الرقي الفني ، ثم اتخذ هذا الشعر سبيلا الى
الثروة والجاه ، ثم هدفه الى التفوق .

ولكننا نلمس لونا جديداً لم نشاهده عند غيره من الشعراء ، وهذا
اللون ، هو لون الثورة ، لون العاصفة التي تعصف في قلبه ، الثورة
الدائمة فهو السخط والتحفز والاشمئزاز :

وإلا تمت تحت السيوف مكرماً تمت وتقاس الذل غير مكرم

فتب واثقاً بالله وثبة ماجد

تري الموت في الهيم جاجني النحل في النعم

قلت نمر بهذه الفترة من حياته مشيرين الى هذه الخصائص التي
تميزت به حياته وشعره ، ثم اتعاله ببدر بن عمار وهذا الرجل كان
عربياً خالص النسب فاذا بالمتنبي يجد من ينشد فيه احالة النسب
والشهامة والمرؤة ، فيقبل عليه راضياً عاشقاً مادحاً مخلصاً :

واذا مدحت فلا لتكسب رفعة للشاكرين على الاله ثناء

واذا مطرت فلا لانك مجذب يسقى الحبيب وتطر الدماء

ولك الزمان من الزمان وقاية ولك الحمام في الحمام فداء
لولم تكن من ذا الوري الذمك هو عقت بولد نسلها حواء
اذا لا انكر ان المتنبى اسرف كل الاسراف في هذا المدح ، ولكن
هذا يميز المتنبى باندفاعه الى غرضه اندفاعاً عنيفاً . . . وهذه بعض
خصائص شعره فيما بعد .

ونحن هنا نزاء الحدث الخطير الذي هدد طموح الشاعر ووجه حياته
نحو هذا الافق الجديد ، فهو الذي كان يعتقد انه سيصلح نظم الاجتماع
وسيجر هذه الامة من الدخلاء عليها وعلى حكمها ، والاستبداد
بها ، فاذا به يغلب على امره ، واذا به امام الامر الواقع . وهو انه قد
كتب عليه ان يكون شاعراً .

فبعد تلك المرحلة الخطرة من حياته هزمت في نفسه صورة المتنبى
الطامع ، المستقل ، لتحل محلها صورة المتنبى الطامع ، ولكن المقيد الى ظل
رجل عظيم ، او امير خطير ، هذه المرحلة القاسية هي مرحلة الدعوة للنبوّة .
فالنبوّة في حياته كانت من ابرز الحوادث واهمها واكثرها اهتماماً
واعنفها حقبة في تاريخ تلك الحياة الحافلة .

وقد اختلف المؤرخون والرواة في امر هذه النبوّة اختلافاً واضحاً
وتباينت عندهم الآراء ، وتشعبت لديهم ، وقبل ان نستخلص الرأي
الذي نعتقده صواباً سنشير الى بعض النواحي التي تسهل لنا امر فهم
هذه التهمة الموجهة اليه ان كانت تهمة ام مجرد آراء حيكت حوله
للنيل منه ، ودسائس كثرت كي تصيب منه امراً .

لا يمكننا ان ننكر اول الامر تلك النزعة الى المجد ، وحسب
المظمة ، وتأصل عشق التفوق في نفس المتنبى ، هذه العوامل والخصائص
التي ساهم فيها واقع العصر الذي عاش فيه الشاعر . ثم اساليب

الثقافة القرمطية التي شب عليها الفتى ، وانصراف الناس الى تتبع الدعوات ، وإيمانهم بالحوارق ، والدليل على ذلك سهولة قياد الجماهير الجاحدة في ثورة القرامطة ، ثم انتشار المعتقدات المختلفة ، فلذا وقد شاهد المتنبى وهو الطامع الطامع ، كل هذا فهل سولت له نفسه ، وهل ذهب به طموحه الى ان يدعي النبوة ؟ ويفوق اهل عصره والطامحين جميعاً من الذين يدعون الامامة ، وينشدون الخلافة وسنورد هنا هذه الرواية حول النبوة المزعومة .

حدث معاذ اللاذقي قال :

« قدم ابو الطيب اللاذقية في سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وهو لا عذار له ، وله وفرة الى شحمتي اذنيه ، فأكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته فلما تمكن الانس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتناماً لمشاهدته واقتباساً من ادبه قلت :

-- والله انك لشاب خطير ، تصلح لمنادمة ملك كبير .

فقال : ويحك ! اتدري ما تقول ؟ انا نبي مرسل .

فظننت انه يهزل ، ثم تذكرت اني لم اسمع منه كلمة هزل منذ عرفته فقلت له : ما تقول ؟ فقال : انا نبي مرسل ، فقلت الى من مرسل ؟ فقال : الى هذه الامة الضالة المضلة ، قلت : تفعل ماذا ؟ قال : املأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً ، قلت : بماذا ؟ قال : بأدراة الارزاق والثواب العاجل لمن اطاع واتى ، وضرب الرقاب لمن عصى وأبى ، فقلت له : ان هذا امر عظيم اخاف عليك منه ، وعدلته على ذلك فقال بديهة :

أبا عبد الله معاذ اني خفي عنك في الهيجامقامي

ذكرت جسمي مطلي واني اخاطر فيه بالمهج الجسمام

امثلي تأخذ النكبات منه ويجزع من ملاقات الحمام ؟
ولو برز الزمان الي شخصاً لحضب شعر مفرقه حامي
وما بلغت مشيئتها الليالي ولا سارت وفي يدها زمامي
اذا امتلات عيون الخيل مني فويل في التيقظ والنام
الخ من هذه الرواية من الاسئلة والاجوبة حول موضوع النبوة ،
وللمتنبى ايضاً في هذه المرحلة شعراً فيه كل الفخر بنفسه ، بل
كل التمجيد لشخصه :

اي محل ارتقي اي عظيم اتقي
وكل ما خلق الله وما لم يخلق
محقر في هممتي كشعرة في مفريقي

ويرى بعضهم ومنهم الاستاذ محمود محمد شاكر ان اعداء المتنبى
هم الذين لفقوا له هذه التهمة ، وهم الذين اظهروه بهذا المظهر فكيف
يقال « ان دعوة المتنبى عمت كل مدينة في الشام ، وبويع له فيها ،
كيف يكون هذا ؟ والشام اذ ذاك منزل من منازل ائمة الدين
والعلم ، وكان اكثر اهلها لا يتخلفون عن صلاة ولا يزال بين ظهرانيهم
عالم يقرأ في مجلسه ، او واعظ يعظ في حلقة ، او خطيب يخطب
من منبره ، ثم لا يؤمنون بدعوى لا تزيدها معجزة بيانية ، ولا
خارقة كونية ، وان زعمنا ان اللاذقي قد آمن بالمتنبى لصدحة المطر ،
افتؤمن كل مدن الشام ، وتبايعه لهذه الضلالة او هذه الكذوبة التي
لا تعقل ، ولكن اللاذقي رجلاً لا عقل له ، افيكون اهل الشام
كلهم هذا الرجل ؟ .

ويستبعد الاستاذ شاكر ان يكون المتنبي قد ادعى النبوة ،
وانما اخصام الرجل يتهمون به بما هو منه براء .

اما قرآنه فهو ليس بقرآن ، وانما هو « خرب من الهذيان » ثم
يقول : والعجب ان يبايع له اللاذقي ولا يحفظ من قرآنه شيئاً .
ثم ينسب امر هذه النبوة الى نسبه وما رافقه من الغموض والشك ،
واخيراً يرى ان سجن المتنبي لم يكن من اجل النبوة المزعومة ،
بل انما كان من اجل تصريحه بنسبه ، هذا النسب الذي قد يرجع الى
العلويين ، وان هؤلاء قد حرضوا عليه النفوس ، واوغروا عليه
الصدور ، وجعلوا من مسألة النبوة غطاءً يستترون به حقيقة ما قام
من اجله ابو الطيب فقبض عليه ، وان الرجل قد ادعى العلوية ،
فأقحمت عليه مشكلة النبوة ليجعل دعواه في علويته كذباً وبهتاناً
اما الدكتور طه حسين فيقول في هذا الصدد :

« وانا لا اتردد في رفض ما يروى من انه ادعى النبوة ، وحدث
المعجزات او زعم احداثها ، وضال فريقاً من خاصة الناس وعامةهم ،
فبايعوه واتبعوه كما لا اتردد في رفض هذا السخف الذي ينبئنا بأن
المتنبي زعم ان قرآناً انزل عليه ، وبأن بعض الناس قد حفظ القرآن ،
فقد قيل مثل هذا عن ابي العلاء ايضاً وروى بعضهم قرآنه الموهوم ،
وما ينبغي ان نجعل ان الرأي العام في اوساط الشام وحمص خاصة
كان خصماً لأبي الطيب حين سجن ، وان أبا الطيب بعد خروجه
من السجن لا يكاد يستقر في مكان ، حتى يثير حول نفسه الحسد والبغض
والوان الخصومات ... فهو قد غاضب الناس جميعاً ، والى الدولة
الاسلامية كلها على نفسه ، فأى غرابة في ان يكبر من امره ما
صغر ويعظم من شأنه ما هان . »

اذن فالدكتور طه حسين يرفض الاعتراف فيما يتعلق بالنبوة .

كما ان المعري يشك شكباً ظاهراً في صحة هذه التهمة ، وان هذه الحالة التي رسمت حول نبوته لم تتكاثر الا من سخط الاحاديث الشيعية التي اثرت حول سجن ابي الطيب .

وسنثبت هنا ونحن في معرض الحديث عن نبوة المتنبى من ان الرجل كان لا يزال في مطلع شبابه قسوياً ، تضطرم في نفسه الآمال الكبار ، كثير الخصوم الذين لا تمر به حادثة دونها يستغلونها للنيل منه ، وبما انه كان حاد المزاج ، في تصرفه ، فلذا كان لا بد له وقد تعدد اعدائه ، منهم الامير الخطير ، ومنهم الحاكم الظالم ، ومنهم الصعلوك المهمل الغافل الذكر ، كان لا بد له من ان تجيش نفسه شعراً ينفث به الهمم التي تغلي في صدره ، يلعن ويشتم ويفتخر ويشمخ ، واذا نحن اطلعنا على تلك الهمم في هذه المرحلة الدقيقة من حياته لتبين لنا انه حرص الناس عليه ثم البهم ضده :

كم قتيل كما قتلت شهيد ببياض الطلي وورد الحدود
يترشفن من في رشقات هن فيه احلى من التوحيد

ارأيت هنا كيف يسخر من حاو التوحيد ؟
ثم يتابع قائلاً :

مامقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

ارأيت هذا التشبيه ، انه يشبه نفسه بالمسيح ثم يأتي بعدها يشبه نفسه بصالح ، اما المسلمون فينعتهم بأشنع النعوت ، ويسخر منهم مدعياً انهم كاليهود ، ثم سنراه كيف يابن ويشتم ويعنف ويعلمن خروجه على القانون والعرف والنظام ، ويبعث تلك الهمم الفاظاً ملتبهة ثم يضرب عرض الحائط ببعض المعتقدات سائحاً لقرمطيته ان تسيطر

وتسرح وتفرح دونما رادع او وازع .

عش عزيزاً اومت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح اذهب للغيظ واشفى اغل صدر الحقود
فلننظر الى نظرتة الى الحياة ، وآماله البعيدة :

لا كما قد حييت غير حميد واذا مت مت غير فقيد
فاطلب العزفي لظى وذو الذل ولو كان في جنان الخلود
يقتل العاجز الجبان وقد يوجز عن قطع بحقق المولود
لا بقومي شرفت بل سرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجوددي
وبهم فخر كل من نطق الضاد وعوز الجاني وغوث الطريد
انا كون ممجباً فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد
انا رب الندى ودب القوافي وسمام العدى وغيظ الحسود
انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

تأمل هذه الايات العنيفة ، وهذه الثورة الجاحدة وهذه النفس المحمومة ، ثم هذا الشموخ ، وتلك الكبرياء والتعالي ، اتعجب اذن اذا رايت الحاكم يسعى للقبض عليه ودفعه الى غياهب السجن بعد هذا الخروج على النظام وشتمه المسامين ، والادعاء والفخر والشموخ .

ليس من حاجة الى ان يدعي المتنبئ النبوة كي يغضب عليه الناس ومنهم الحاكم ، كلا ، ان حممه تلك وثورته جعلت منه خارجاً على القانون متمرداً على النظم ، وقيل انه خرج الى بادية السماوة ، وهي

من الامكنة الآلهة باناس تشربت روح الاسماعيلية ، يتلو على الاعراب كلاماً منمقاً ادعى انه قرآن أنزل عليه ، فتبعه بعض القوم من بني كلب وكلاب وعبس ، وكاد يحدث احداثاً جساماً لولا ان خرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الأخشيدين فقاتله وفرق اصحابه واتباعه واعتقله والقي به في غياهب السجن .

ونحن ايضاً لا نعتقد ولا نقر القول القائل بأن المتنبي كان قد ادعى النبوة ، ولا بد ايضاً من ان نشير الى ان الاستاذ فؤاد افرام البستاني يرى ان المتنبي قد ادعى النبوة .

اما نحن فنعتقد ان هذا النعت اطلق عليه لانه كان دائم الادعاء والوعد والوعيد كما كان الانبياء يكثر من الوعد والوعيد .

وهذا ايضاً ما يجعلنا نزيد من ان المتنبي لم يكن ابن ذلك السقاء وان كان ابن ذلك السقاء فلا بد ان يكون ذلك السقاء منتسباً الى العلويين ولكنه لوضاعة امره اهل شأنه واسقط من سجل العائلة . وعندما صرح المتنبي بهذه الحقيقة او استعمل هذا النسب من اجل مطاحه قامت قائمة العلويين ، واستعملوا جميع الوسائل للأيقاع به ، ومن هذه الوسائل امر النبوة .

ثم ما دمنا نعتقد ان المتنبي كان ذكياً فكيف سوات له نفسه ان يطلق عليه لقب النبوة وهو يعرف ان الاسلام لا يعترف ولا يقر بعد الرسول نبيا ، ومنهم الاعراب خاصة . اضف إلى ذلك انني اعتقد ان خصوم المتنبي واعدائه وما كان اكثرهم هم الذين اتهموه بهذا ، ثم شعره وطموحه واستهائته بالامور وتعديه على المعتقدات وسخريته منها ، ومن المصدقين بها كل هذه العرائل يضاف اليها امر نسبه واسماعيليته دفعت به الى السجن ، ذلك السجن الذي عرف

المتنبي ثراً جاحماً فاذا به يتناول الرجل الذي قيده واسلمه الى الجند بقوله :
 زعم المقيم بكو تكين بانه من آل هاشم بن عبد مناف
 فاجبته مذخيرة من ابنائهم صارت قيو دهم من الصفصاف
 أهون بطول الثواء والتلف والسجن والقيد يا ابا دلف
 الا ان السجن وما صادف المتنبي فيه من المتاعب والمرارة، وشعوره
 بكبت حريته ، ثم عدم الاطمئنان الى هذه الحالة التي وصل اليها ،
 كل هذه العوامل يضاف اليها امر خوفه من المستقبل والاهمال ،
 جعلت لهذا الطموح . وتلك النفس الثائرة الجشعة الى ارتقاء سلم المجد ، لجاماً
 تكبح به جموحها واجبرته ان يبدأ ويستكين ثم يفكر ويتهياً لاستقبال
 امره بأناة وتمهل .

وتأتي تباشير الفرج بتولي اسحاق ابن كيلغ ولاية حمص ،
 فيرسل اليه المتنبي مادحاً مستعطفاً طالباً العفو عنه :

بيدي ايها الامير الاريب لا اشي الا لاني غريب
 ان اكن قبل ان رأيتك اخطأ ت فاني على يدك اتوب
 عائب عابني لديك ومنه خلقت في ذوي العيوب العيوب

اترى هذا الاستعطاف ؟ وهذا الذل والخضوع ؟ فأين النبوة وعظمة
 حاملها من النزول الى هذا الدرك من الاستهانة والاستعطاف ؟

وقيل ان الامير عفى عنه بعد ان ارسل اليه قصيدة اخرى يرجو
 فيها عطفه وسماحه ، وسرى بعد هذا ان المتنبي عاش بقية عمره في
 وحدة وغربة ، يتوسل ويستعطف ، وانا اعذر اذا قلت ان تلك القيمة
 الشاهقة في الشعر العربي من تحوير الرجولة وتمجيدها ، واطناب الشهامة

والمروءة ، والصدق والعظمة لم تكن تنطبق على حياة المتنبي ، ولم تكن لتمثل فيه ، بل سيبقى المتنبي بقية عمره ذلك التابع الطامع او يصح فيه وينطبق عليه هذا البيت في شعره ؟

اذ ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده وانزالا

اذن لقد عاد الشاعر الى الترحال بعد خروجه من السجن ، ورافق هذه الحقبة من حياته تحرقه الى الاستقرار بعدما نالت منه الايام والحياة ما نالت وشقي بأحلامه ما شقي .

واخذ المستقبل يتراعى له غامضاً باهتاً ، فكانت هذه الاحوال التي مرت بها حياته من الاحوال التي صقلت شعره ، وانضجت قوله وفكره ، ودفعت به خطوات واسعة نحو الكمال الفني ، وعلمته ايضاً تذوق الالم والصبر على الحرمان والمصائب ، وخلاصة القول ، لقد ساعدت في تهيئته الى احتلال مركزه في عالم الشعر والنبوغ .

قلت ان المتنبي خرج من سجنه ، وقد رافق هذا الخروج الحاجة المادية الى ابرسط مطالب الحياة ، والمتنبي كرجل خبر البعض من الوان الحياة . وعرف خيرها وشرها علمته التجربة كيف يكظم غيظه وكيف يعبر على مكروه الم به . وعلمه الحذر والاحتياط كيف لا يسرف في تصريف اموره كما اصرف من قبل .

لقد كان اختباره للزمن والناس ذلك الزمن فيه الكثير من الفائدة له ، وفيه الكثير من الزبدة لنا اذ اتحفنا بتلك الثروة الشعرية التي يشكو فيها نوائب الزمن ، ومصائب الايام ، ومرارة الوحدة ، وسخط الناس ولؤمهم .

ويسير الشاعر في طريق الحياة مثقلاً بالهموم والاحزان فيلتقي بأسد في طريقه ، فاذا بالشاعر يشكوه همه ، ويبين له وحدته وخوفه

من الحياة .

أَجَارُكَ يَا أَسَدَ الْفَرَادِيسِ مُكْرَمٌ

فَتَسْكُنُ نَفْسِي أَمْ مُهَانَ فُسْلَمٌ

ورائي وقدامي مُعدة كثيرة

أَحَازِرُ مِنْ لَصٍ وَمِنْكَ وَمِنْهُمْ

أرأيت لقد اضحى المتنبي يخاف اللصوص ، لقد نزل من علياء
شموخه وكبريائه ، انه ليس بأكثر من شاعر وحيد يدخسر شعره
لعيشه وكسبه .

فهل لك في حلفي علي ما أريدُه

فاني بأسباب المعيشة اعلم

ماذا يريد المتنبي ، ترى ألا زالت تلك الافكار والاماني تأخذ
قسطاً من تفكيره وجهده ؟ من يدري ؟ ولكن انرى ما يريد .

إِذْنِ لَا تَأْكُلِ الرِّزْقَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ

وَإِثْرَيْتِ مِمَّا تَفْتَنِينَ وَأَغْنِمِ

هذا الذي يريده الشاعر . الثراء والغنى والغنيمة ، سيحصل الشاعر
الى كل هذا ، فلنقطع منه بقية الطريق .

سار الى حلب ، ولم تطل به الاقامة هناك ، وحلب موضع نزاع
واضطراب ، ولقد كان المتنبي احوج الناس الى الراحة والسكينة بعدما

مر به ما مر .

واتجه بعدها الى انطاكية ، ويلتقي هناك بالمغيث بن علي العجلي فيقول
فيه قصيدة مطلعها :

دمع جرى فقضى في الربع ما وجبا

لا هله وشفى أنى ولا كربا

اترى ان المتنبي ، يتحدث عن الدمع والكرب ؟ ومع هذه
اللوعة والغىظ والحقد الذي ظهر واضحاً في هذه القصيدة ، نلحس
من ناحية اخرى ان الشاعر كان يمدح ونفسه مشبعة بالملل والسأم .
الم نقل انه يريد ان يعيش !

وخاتمة اخرى امتازت بها هذه القصائد ، فالشاعر كان يحتفظ
لنفسه بالنصف الاول من القصيدة ، يبت شجونه ، ويشكو زمانه
ويحمل على الناس ، ثم يعود الى ممدوحه بعد ان يكون قد اشبع
نفسه من الشكاء والتوجع والفخر . واخيراً لقد بلغ الشاعر منزلة
شاعرية ممتازة فلقد استوثق من صناعته ، وذلل الألفاظ لغاياته وتعرف
بالمعاني يوصلها حكماً ، وامثالاً ، يصور فيها الدهر ونوائبه .

ومن انطاكية يجتاز الرجل جبال لبنان في طريقه الى بدر بن
عمار في طبرية فيمدحه في عدة قصائد اولها القصيدة التي مطلعها :

أمن ازديادك في الدجى الرقباء

اذ حيث انت من الظلام ضياء

ولكن اقامته عند بدر لم تطل ، فلقد سعى به الساعون عند بدر
فلم يجد بداً من ان ينصرف ويرحل ، ويعود المتنبي من جديد الى
حياة التشرد ، انما هذه المرة كان قد عرف امره واشتهر شعره .

واضحى من فطاحل شعراء عصره ومن تقدمه .

وسنشير هنا الى فن من فنون الشعر لم يكن المتنبي من فطاحله
الا وهو التغني بالخمرة ، فالمتنبي لم يكن كالنواصي نديماً يحسن المداومة
فلقد كان يكره مجالس الشراب ، ويعتقد انه تذهب من مكانة الرجل ،
وكان دائم الهجاء للخمرة ماقتاً لها ، حاملاً عليها ، وان شربها ، شربها كارهاً
مجبوراً ، لذا لم يكن يصح فيه ان يكون نديماً مجالساً ، فلننظر
ماذا يرى في الخمرة :

وجدت المدامة غلبة	تهيج للقلب اشواقه
تسى من المرء تأديبه	ولكن تحسن اخلاقه
وانفس مالفتى لبسه	وذو اللب يكره إنفاقه
وقد مت امسى بها موة	ولا يشتهي الموت من ذاقه

لقد ترك المتنبي بديراً في طريقه الى الجهول ، وفكر بصديق له يعرف
بأبي الحسن بن علي بن احمد الحراساني حيث مدحه بقصيدته المشهورة :

لا افتخار إلا لمن يضام

مدرك او محارب لا ينام

ليس عزماً ما مرض المرء فيه

ليس همماً ما عاق عنه الظلام

واحتال الاذى ورؤية جايه

ه غداء تضيى به الاجسام

ارأيت لقد نطق الرجل بالحكمة ، انها الحياة وتجاربها تنطقه
انها الاحداث التي مرت به تلي عليه :

ذل من يغبط الذليل بعيشٍ رُب عيش اخف منه الحما
كل حلم اتى بغير اقتدار حجة لاجيء ، اليها اللئام
من يهن يسهل الهون عليه ما لجرح يميت ايلام
انني اتوك لك ان تتلمس ما في هذه الايات من العبر والجمال .
ويبقى المتنبي رفيق التشرد حتى سنة ثلاثية وثلاثين ، وعندئذ
تتغير الاحوال السياسية نوعاً ما في ديار الشام ، ويظهر الاخشيديين
لاسترجاع تلك الديار ، فيبرز المتنبي عندئذ متقرباً الى امرائهم ،
وتتميز اكثر قصائده بنغمة الحزن والتدمير من الزمن ومصائبه .
وفي تلك المرحلة حصلت معارك بسيطة بين الدولة الحمدانية الناشئة
وبين الاخشيديين ، وكأن في استقرار تلك الدولة في شمالي الشام ،
قد حث المتنبي على ان ينتهر الفرصة ، سيما وعظمة هذه الدولة الفتية
توافق هوى نفسه ومطلب رجولته ، فمضى المتنبي من حكم
الاخشيديين في طريقه الى الحمدانيين فيمر بطرابلس ثم يمضي الى
انطاكية حيث ابو العثائر ابن عم سيف الدولة امير حلب ، وقائد جيوشها .
خف المتنبي من دمشق الى انطاكية حيث مدح ابا العثائر بعد
انتصاره على احد اعدائه بهذه القصيدة التي مطلعها :

مبيتني من دمشق على فراشي حشاه لي بحر حشاي حاش
يقودهم الى الهيجا لجوج يُسن قتاله والكر ناشي
الى ان يقول :

فسرت اليك في طلب المعالي وسار سواي في طلب المعاش

ما هي المعالي التي يريدها المتنبي ، انه ولا شك ينبغي الوصول الى سيف الدولة ، ولم يطل به الامر للوصول اليه بعد ان اشتهر امره ، وبعد ان اوضحت تلك القصائد التي ترخم بها ، والتي مدح بها صاحبه نسيب سيف الدولة سوى لتزيده شهرة وقوة ، وان تحقل شعره وقد وجد البيئة الادبية العربية التي تفهم شعره وتقدره وتعرف مكانته في عالم الشعر والادب

مدح المتنبي ابا العشائر بقصائد عديدة منها القصيدة التي مطلعها :

أثراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خالقة في المآقي

ثم القصيدة التي مطلعها :

لا تحسبوا ربيعكم ولا طاله اوّل حيّ فراقكم قتله

ثم :

مالي لا أمدح الحسين ولا ابذلُم الودُ مثلَ ما بذله
أأخفت العين عنده أثراً ام بلىم الكي ذبان ما أمله

عند سيف الدولة

في سنة ٣٣٧ كان سيف الدولة الحمداني قد استولى على اكثر ديار الشام ، ووقف حصناً منيعاً ضد غارات الروم واطماعهم في بلاد كثرت فيها الدسائس ، وتفشت فيها الاطماع ، ولقد كان هذا الامير من اشد معاصريه مراساً ، واكثرهم قوة واندفاعاً ، واكثرهم دهاء ، واوسعهم حيلة ، واشدهم حباً للعرب ودينهم ، ثم كان الى جانب هذا الرجل العنيد الصبور ، العظيم الهمة . الساعي للمجد ، ثم حبه للادب ، يقوم على خدمته فكان ديوانه يجمع اهل الخرف والثقافة والشعر

والادب في عصره ، زد على ذلك انه هو نفسه كان شاعراً حلو
اللسان ، خفيف الروح .

كان سيف الدولة يبغى في ضم اطراف البلاد اليه والى حكمه ، ولكن
ذوي المطامع من جهة ، والروم من جهة اخرى قوضت هذه الفكرة
العظيمة ، ووضعوا في طريقه الكثير من المصاعب والعراقيل .

فليس من العجب ان ينشده المتنبي ، وهو الذي تجسست فيه
افكار شبابه ، واحلام فتوته ، وما دام هو لا يستطيع ان يكون
رجلاً عظيماً مستقلاً ، فلا بأس لو كان شاعراً عظيماً تحت جناح
رجل عظيم مستقل ، وليكرس عبقريته وفنه وشهرته لهذا المجد المشترك
ولتلك العبقرية الفذة ، والرجولة الشاحنة .

لقد كان المتنبي مدركاً لسياسة عصره ، عارفاً بخفاياها ، فلذا ادرك
ما يعترض طريق سيف الدولة من العقبات ، من اجل هذا نجح في
الامتحان ان صح القول عندما التقى به سيف الدولة في انطاكية
اثناء زيارته لأبن عمه ابا العشائر ، وكان هذا الاخير قد قدم المتنبي اليه ،
واثنى على منزلته في عالم الشعر والادب ، ويقال ان المتنبي اشترط
شروطاً عندما ينشد الشعر بين يدي سيف الدولة ، ولكنني لا اعتقد
ذلك ولا اقره ، فما كان سيف الدولة بحاجة الى ان ينشده المتنبي وقد
ركع الى الارض ، وما كان المتنبي يفكر بهذا وقد التقى بسيف
الدولة الامل الذي يراود نفسه منذ امد بعيد .

ونحن نعلم كما تقدم ان هذا اللقاء لم يكن اول لقاء بينهما ، فلقد
التقى المتنبي بسيف الدولة سنة ٢٢١ هـ ومدحه وقدر اعماله ورجولته .
اذن لقد قدم ابو العشائر المتنبي الى سيف الدولة ، ووصف له ما
وجد فيه من الشهامة والمروعة ، ومحبة للعرب وكرهه للأعاجم ،
وحلاوة شعره ، وطلاوة ادبه ، ولم يطل الامر فاذا بشعر المتنبي يثبت

هذا فلقد قال المتنبي آنذاك قصيدته الشهيرة :

سلكتُ صُروف الدهر حتى لقيته
على ظهر عزم مؤيدات قوائمه
مهالك لم تصحب بها الذئب نفسه
ولا حملت فيها الغراب قوادمه
فأبصرت بداراً لا يرى البدر مثله
وخاطبت بجرأ لا يرى العبر عائمه
غضبت له لما رأيت صفاته

بلا واصف والشعر تهذي طماطمه

اذن والحالة هذه سيصبح المتنبي شاعر الامير الحمداني الخاص ،
بعد ان 'فقد الشعراء الذين لم تتوفر لهم المقدرة على ادراك صفات الامير
وتمجيد اعماله ، وتخليد هذه الصفات وتصور بطولات جيشه العنيد
الجبّار الفاتح :

له عسكرياً خيل وطيّر اذا رمى
بها عسكرياً لم يبق إلا جماجمه

اجلتها - من كل طاع - ثيابه
وموطئها - من كل باغ - ملائمته

سحاب من العقبان يزحف تحتها
سحاب - اذا استسقت سقته صوارمه

لقد نل سيف الدولة المجد معلماً

فلا المجد مخيفه ، ولا القرب ثلله°

وبقي سيف الدولة بأنطاكية مدة شهر من الزمن ، وبقي المتنبّي الى جواره ، يتحفه بشعره ، ويحدثه في امور الدولة ، وسياسة البلاد ، فقربه الامير منه بعد ان اعجب به وبسعة اطلاعه ، وعندما رحل سيف الدولة الى عاصمة ملكه كان قد اتفق مع الشاعر على ان يتبعه اليها . وهكذا لم تسجل ساعة الزمن الكثير من الوقت حتى كان المتنبّي قد اقبل على حلب . واعتذر الأمير عن عدم المسير في ركابه بهذه القصيدة التي مطلعها :

نحن من ضايق الزمان له فيك وخانته قربك الايام

المتنبّي في حلب - عاصمة ملك سيف الدولة ، والحركة الدائمة بين عواصم العالم الاسلامي في ذلك الوقت ، هذه النهاية التي طالما اراد الوصول اليها بعد ان وقفت الايام حائلاً دون ان يكون له هو عاصمة وبلاط ، وشعراء .

واجتهدت على ابي الطيب في اوائل حياته في حلب عوامل عديدة ساهمت في دفع شعره خطوات جريئة نحو الكمال الفني ، والغناء المجيد .

فالى جانب فرحه وسروره بتحقيق املة من لقاء هذا الامير الجليل المقدام الذي تتجاوب افكاره السياسية والقومية مع افكاره وسياسته ، كانت الايام تزيد خبره وتجربة ، وتمعن في آلامه واحزان قلبه ، فلقد فقد امرأته ، ثم ولده ، ووجدت له هذه الحوادث والهزات ما بقاءه من مصائب الزمن وآلامه فكان تنازع الفرح والحزن ، القلق

والاستقرار ، الخوف والاقدام ، في تلك النفس المرهفة الشاعرة
الحساسة ، كل هذه العوامل وما رافقها كونت الاسباب في استخراج
كوا من نفسه ، وخلاصة فنه ، روعة انتاجه .

وعبقورية المتنبى تبلورت وحملت بما هاجت به نفسه من العواطف
وما ملك عقله من الافكار . ثم تأمل ما تجدد في قلبه من المعاني
التي بعثتها تلك الاتراح والافراح .

ثم عاد الى خميره والى خفايا نفسه يستوعب ما بها من الاحداث
القديمة التي تركت وشماً بارزاً فيها ، والى جانب كل هذا كان يعيش
امله بمستقبل فيه العزاء عما مضى ، المستقبل فيه القوة ، وفيه العنف
وفيه المجد ، فيه الى جانب كل هذا الثراء والغنى والجاه والاستقرار .
وكأنما الايام التي ما امهلتها في حياته قط ، لن تمليه الآن ابدأ ،
ولكنها اشغلتها بنوع من العمل جديد على حياته ، واطالما كان
هو يتعشقه ويعمل من اجله ، وكأنما يجالس العلم والادب والشعر
المتجددة لدى سيف الدولة وبلاطه ، وذلك الرقيب الدائم على شعره
وانتاجه اهابت به الى ان يحسن القول ، ويجدد المعنى ، ويبتكر
ابتكاراً لم يعرفه لا قبل ، ولا بعد .

وأصل هنا الى حقيقة ثابتة لا بد منها وقد يعارضني فيها من
يعارض ، ولكنني اعتقد تمام الاعتقاد ان شاعرية المتنبى لم تبلغ هذا
التفوق الا عندما اتصل بصاحبه سيف الدولة ، وعندما عاش في هذه
البيئة السورية الدائمة الحركة ، العنيفة المسعى التي لا تبدأ ولا تستقر
الا لتفتش عن نوع آخر من الطموح والاندفاع حتى تستكمل ثوبها
وتحقق ما في جوهرها من التفوق .

وكان المتنبى والحالة هذه في اضطراب بحكم منزلته كشاعر الامير ان
يدرك هذا الواقع وان ينظر الى الحياة نظرة المتدبر ، ويقلب الرأي ،

ويعبر الفكرة ، ويقيس الاشياء ، ثم يودها الى اصولها ، ثم ينتزع جوهر المعاني انتزاعاً حتى يكون جديراً بهذه البيئة الكريمة العنيفة الثائرة التي لا تبدأ ابداً .

ومقابلة بين شعر المتنبي في ديار الشام - سورية - وفي مصر فيما بعد ، نجد الفرق الشاسع ، فبينما هو في الاولى يمثل العنف والشموخ والجودة ، والدموية ان صح هذا التعبير ، والابداع ايضاً ، نشاهده في الثانية ، يمثل الهدوء والنعومة والجفاف الذي يفقده في شعره السالف ، ولا اثر لتلك الثورات العنيفة الصارمة فيه .

والمتنبي في ذلك مصور ، يصور البيئة السورية تصويراً صادقاً ، تلك البيئة التي قدمنا البعض من اوصافها ، تلك البيئة التي لا تكل ولا تمل ، بل تعمل وتجاهد وتكافح ، وتثبت وجودها ، لتحقيق عظمة كيانها ، وتلعب دورها المجيد في التاريخ ، ذلك الدور الذي اقتضته وقائع ذلك العصر ان تكون سورية الحصن الوحيد امام هجمات الروم .

وبينما كانت بغداد والفسطاط وغيرها من المدن الاسلامية الدائرة في فلك العباسيين والفاطميين والعلويين ، منها من يلهو ، ومنها من يكيد ، ومنها من يتعامل مع الروم .

كانت ديار الشام صامدة دون غيرها لجحافل الروم وخيولهم ، تصدهم وهي ثابتة صامدة راسخة .

اما البيئة المصرية ، والبيئة البغدادية ، ثم الفارسية بعدها كانت هادئة مستقرة بحيث انه لم يكن فيها ما يلهم الشعر ولا ما يثير العاطفة ولا ما يستهوي القلوب ، ولذلك قل شعر المتنبي السياسي ، وتصويره للحياة والغزو والجيوش في هذه البيئة او البيئات الثلاث لأنه لم يكن فيها اندفاعاً ، ولم تكن فيها الجيوش التي تحارب وتقارع

بل كان في الاولى الاستقرار ، وكان في الثانية اللهو والعبث ، وكان في الثالثة المكر والدماء والكيد ، وهذه الامور كان المتنبي يكرها أشد الكره ولا يرى فيها ضرباً واحداً من ضروب الرجولة ، فلذا اقتصر مدحه على الاشخاص كما سنرى .

سوف لا نطيل الحديث عن حياة المتنبي عند سيف الدولة ، لأننا سندرج الكثير من شعره في المنتخبات التي سنتبعها هذه الدراسة ، ولكن لا بد لنا من ان نقول :

ان شعر المتنبي في حلب بلغ غاية الروعة ، وبلغ غاية العظمة ، وان تلك الحياة الحافلة قد استهوت به ، ثم سنروي احدى الروايات عن مجلس سيف الدولة في حلب والشعراء والادباء الذين كان يجتمعهم ذلك المجلس ، والذين كانوا يوغرون صدر الامير على شاعره دائماً بما ادى الى غضب الامير على الشاعر ، ثم رحيل الشاعر عن اميره وقائده هذا الى جانب احداث العديدة التي كانت له معهم ومعه ، والتي كانت تخرج كبريائه ، وتنقص عليه عيشه .

قيل ، قال ابو فراس الحمداني لسيف الدولة - وابو فراس كان شاعراً وكان قائداً ثم قريب سيف الدولة وسرى موقفه من المتنبي ، ثم سنرى كيف كان المتنبي مضطراً بحكم بيئته ان ينشد الكمال في شعره ، قال له : ان هذا المتشدد « يعني المتنبي » كثير الأدلال عليك وانت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن ان تفرق مثني دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره ، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام ، وكأنا اقتنع بما قدم ابو فراس وعمل بما اشار عليه ، وكان المتنبي غائباً فبلغته القصة ، ولما حضر ، دخل على سيف الدولة وانشده ابياتاً ، فأطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته وحضر ابو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا في

الوقية وانقطع ابو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي اولها :
واحر قلباه ممن قلبه شبح ومن بحالي وجسمي عنده عدم
ثم جاء ديوان سيف الدولة وانشدها حتى اذ وصل الى :
مالي اكنم حباً قد برى جسدي وتدعى حب سيف الدولة الامم
تجاوز الى القول :

قد زرتة وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت اليه والسيوف دم
عندئذ همت جماعة بقتله في حضرة الامير لشدة ادلاله واعراض
الامير عنه وعندما بلغ في انشاده قوله :
يا اعدل الناس الا في معاملتي

فيك الخصام وانت الخصم والحكم
قال له ابو فراس : « لقد مسخت قول دعبل »
ولست ارجو انتصافاً منك ما ذرفت
عيني دموعاً وانت الخصم والحكم
فتابع المتنبي :

اعيدها نظراتٍ منك صادقة

ان تحب الشحم فيمن شحمه ورم
فأدرك ابو فراس انه يعنيه فقال : « من انت يا دعي كندة ،
حتى تأخذ اعراض الامير في مجلسه ، ولكن المتنبي استمر في انشاده
ولم يرد عليه الى ان قال :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من به صمم
فزاد ذلك ابا فراس شيخاً وقال محتداً : « قد سرقت هذا من
عمرو بن عروة ابن العبد حيث يقول :

اوضحت من طرق الاداب ما اشتكلت

دهراً واظهرت اغراباً وابداعاً

حتى فتحت باعجاز خست به

للعنى والصمم ابصاراً واسماعاً

ولما انتهى المتنبي الى قوله

الحيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال ابو فراس : « وماذا ابقيت للامير ، اذا وصفت نفسك بكل
هذا ؟ تمدح الامير بما سرقة من كلام غيرك ، وتأخذ جوائز الامير !
اما سرقت هذا من الهيثم بن الاسود النخعي الكوفي المعروف بأبن
العيان العثماني :

انا ابن الفلا والطين والضرب والسرى

وجرد المذاكي والقنا والقواضب

فقال المتنبي متابعاً .

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم

فقال ابو فراس « وهذا سرقة من قول معقل البجلي »

اذا لم امز بين نور وظلمة بعيني فالعينات زور وباطل

ومثله قول محمد بن أحمد مرة المكي :

إذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمي والبصراء
وضجر سيف الدولة من كثرة المناقشة في هذه القصيدة ، وكثرة
دعاويه فيها ، فضربه بالدواة التي بين يديه فقال المتنبي على الفور :

ان كان سرکم ما قال حاسدنا فما لجرح ، اذا ارضاكم ، الم
فقال ابو فراس : « وهذا اخذته من قول بشار .

اذا رضيتم بأن منجني وسرکم قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر
ومثله قول ابن الرومي :

اذا ما الفجائع اكسبتني رضاك فما الدهر بالفاجع
فلم يلتفت سيف الدولة الى ما قاله ابو فراس ، واعجبه بيت
المتنبي ورضي عنه في الحال وادناه اليه ، وقبل رأسه ، واجازته بألف
دينار ثم اردفها بألف اخرى .

ان هذه المناقشة الطريفة الجريئة تبين لنا اعتداد المتنبي ، وفخره
من جهة ، ثم ثقافة البيئة التي كان المتنبي يعيش فيها ، وحسد الشعراء
ورجال الادب منه من جهة اخرى .

وقبل ان ننقل الى كيفية خروج المتنبي من عاصمة سيف الدولة
في طريقه الى عاصمة كافور ، واغلب الظن ان هذا كان بناء على
اتفاق سابق مع رسل كافور لأن المتنبي بعد هذه الحوادث التي
تكاثرت عليه ، والتي نالت من كبريائه فكير بالرحيل ولذا رحب
برسل كافور اليه ولم يكن خروجه عبثاً .

قلت : قبل ان ابين كيفية خروج المتنبي من لدى سيف الدولة
سألمح الى ناحية هامة ، تفرعت بسببها الآراء ، وتشعبت فيها الظنون

وهي ، هل احب المتنبي شقيقة سيف الدولة ؟
 انني اخالف الكثيرين من الذين يقولون بأن المتنبي لم يحب شقيقة
 سيف الدولة ، وارد على هذا السؤال : بنعم .

فنقمة ابو فراس عليه ليست من اجل منافسة شعرية فحسب ،
 ثم اوسال ابو العشائر غلامانه لأغتيال المتنبي ، ان لذلك اعتبارات خاصة
 فلا بد انهما عرفا نوايا الشاعر نحو نسيبتهما ، ثم عندما عرف المتنبي
 خبر الاغتيال ومن وراءه قال معاتباً صاحب الفكرة :

ومنتسب عندي الى من أحبه^١ وللنبل حولي من يديه حفيف^٢
 الى ان يقول :

فان كان ينبغي قتلها يك^٣ قاتلاً^٤ بكفيه فالقتل الشريف شريف
 ماذا اذنب المتنبي بحق الصديق القديم ، حتى يستحق القتل الشريف ؟
 انا اعتقد ان تطاوله على حرم الامين هو الذنب العظيم ، بل تفكيره
 في ذلك من الذنوب التي لا تغتفر ، لذا ارادوا اغتياله .
 ولنعهد الى شعر المتنبي ، لنعد الى رثائه للأخت الصغرى لسيف
 الدولة ، ثم رثائه لفقد الأخت الكبرى التي كان المتنبي ولا شك يحبها
 ويحترمها ، فلنسمع قوله في صدد رثاء الصغرى وقد ماتت قبل
 الكبرى .

ولكن قبل ان نصل الى هذا سنشير الى انقطاع المتنبي عن سيف
 الدولة البعض من الوقت ثم عودته اليه وقوله :

ولكن حمى الشعر الا القليل^٥ ل^٦ هم^٧ حمى النوم إلا غرارا^٨
 وما انا اسقمت^٩ جسمي به^{١٠} ولا انا اضرمت في القلب نارا^{١١}

فلا تلزمني ذنوب الزمان الي انشاء واياي ضارا
وهذا الهم الذي يلزم القلب ويعرض الجسم ، ولا يقدر الانسان له
رداً ان هو إلا الحب .

ثم سنثبت هنا هذه المقطوعة الحلوة ، هذه الاغنية الجميلة :

لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق مني وما بقي
واحلى الهوى ما شك في الوصل ربه

وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقى

سقى الله ايام الصبا ما يسرها

ويفعل فعل البابلي المعتقد

اذا ما لبست الدهر مستمعاً به تحرقت والملبوس لم يتخرق
لعيني من ما يلقي الفؤاد ؟ لعيني خولة ولا شك
ولنعد الى موضوع الرثاء .

يقول في رثاء الاخت الصغرى :

ماذا قست ما اخذن بما غا درن سرى عن الفؤاد وسلى .

اذن فخولة افضل من شقيقتها . لماذا ؟ لانه يحبها .

ثم رثائه لخولة نفسها حين وفاتها بعد خروجها من حلب .

يا اخت خير اخ يا بنت خير اب كناية بهما عن اشرف النسب
اجل قدرك ان تسمى مؤبنة ومن يصفك فقد سماك للعرب

الى ان يقول :

طوى الجزمة حتى جاءني خبرٌ فزعتُ به بأمالى الى الكذب

حتى ذا لم يدع لي صدقه املاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

لماذا يبكي الشاعر ؟ انه الحب والجوى . وسأثبت البعض من هذه

القصيدة ولك انت ان تفسر وان تستخلص منها ما تشاء ، اما انا

فقد قر رأيي انه كان يجبها ، فعاطفته الواضحة هي عاطفة محب ، ولوعته

لوعة عاشق اضناه الهوى ، ونال منه الغرام وليست بحامية فقط :

كأن خولة لم تملأ مواكبها ديار بكر ولم تخلع ولم تهب

ولم ترد حياة بعد تولية ولم تغث داعياً بالويل والحرب

ادى العراق طويل الليل مذ نعيت

فكيف ليل فتى الفتيان في حلب

يظن أن فوأدي غير ملتهب وان دمع جنوني غير منسكب

بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والادب

ومن مضت غير موروثة خلائها

وان مضت يدها موروثة النشب

وههها في العلى والمجد ناشئة وهم اترابها في اللهو واللعب

* * * * *

ولا رأيت عيون الانس تدركها

فهل حسدت عليها أعين الشهب ؟

وترك المتنبي حلب بعد ان احتال على اميرها من انه ذاهب الى
احدى ضيعه القريبة ، واكذبه لم يكذب بعد عن حلب حتى اوغل في
البعد في طريقه الى مصر ، ولخروجه من حلب قصة ايضاً

قيل انه جرت مناظرة لغوية بينه وبين ابن خالويه النحوي ، في
مجلس سيف الدولة فأدى بها الحديث والجدل الى النفور فالغضب ،
فلم يكن من ابن خالويه الا ان وثب على المتنبي وكان في يده
مفتاح ، فضرب به وجه المتنبي فشجه ، ولم يجد المتنبي من سيف الدولة
انتصاراً له ، ولا دفاعاً عن كرامته فغضب وقرر الرحيل عن حلب
واحتال بأمر الراحة والاستجمام ثم ارتحل بعيداً نحو دمشق ومنها
الى مصر حيث نزل على كافور حاكم مصر آنذاك ، ويفارق سيف
الدولة ولسانه يقول :

لا تطلبن كريماً بعد رؤيته ان الكوام بأسمخام يداً ختموا
ولا تبال بشعرٍ بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمد الصمم



في أرض النيل

وصل المتنبي مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة بعد أن فارق حلب بأشهر ، ولكن فراقه لحلب لم يذهب ذكرى أميرها ، بل سيرافقه هذا الأمير طوال عمره ، لأنه لم يمر به مروراً عابراً ، بل لقي لديه ما لم يلقه عند غيره من الأمراء فأنتعش مادياً ومعنوياً وأدبياً ، ولم يقدر أن ينسى ديار الشام ، تلك الديار التي دفعت بشعره مراحل نحو الكمال والخلود ، تلك الديار العنيدة الجبارة الصارمة ، التي بقيت لها الآثار الخالدة دائماً وأبداً في شعره وفي عاطفته .

واتى المتنبي مصر وتركها ، وكأنه لم يدخلها ابداً ، فلم يكن للبيئة المصرية في شعره سوى القدر اليسير ، إنما كان شعره قد قسم بينه وبين مدوحه فإذا القسم الأول للفخر والكبرياء ، والقسم الثاني للطموح والمدح والاستعطاف .

وكأنما أهداف المتنبي وأمانيه التي اعتقد أنه قد نسيها أثناء إقامته

في حلب في الوصول الى السلطة والحكم والاستقلال تعود اليه وكأنما ذلك الظل الواسع الذي كان المتنبي ينعم في أفيائه في ديار الشام لم يجده على ضفاف النيل ولم يجد أيضاً ما يشغل نفسه عن الاحداث ، فإذا بفكرة الاستقلال تعاوده هذه المرة ملحمة عنيفة وحياة المتنبي في مصر ، وشعره في حاكمها ، كل هذا يهدف فيه الى الامر الذي طالما حلم به الشاعر ، وطالما عاش من أجله ، أنه يريد الاستقلال ، ويرغب في السلطة ، وسيستخر من جديد لسانه وقلبه وعاطفته اذا احوج الامر ، والكبرياء التي حرص عليها ، سيستخر كل شعبي في

سبيل السلطة

قلت ان المتنبي ترك ديار الشام ، وانتقل الى بلاد النيل ، ولكن عاطفته وقلبه لا زال الحنين والشوق يتغلب عليهما الى تلك الديار ، التي اشبعت نهم ذلك القلب الى حياة كلها الحركة ، وكلها التطاحن وكلها الحياة والقوة والعزم ، واقتحام المعارك بين خفق البنود ، ورنين السيوف ، فلذا بقيت عاطفته نحو الشام ظاهرة في شعره ، وسنتبين بعد مرحلة قصيرة من وجوده في مصر عاطفة اخرى وخاصة هامة سبغت شعره ، تلك التي لم تكن سوى الظل الواضح من الحزن والحسرة والفجعة ، ثم هذا النوع من الغناء الحزين ، ثم التهمك من حكام مصر ومهاجمة اهلها وخضوعهم وخنوعهم .

هل كان في جملة الشروط كي يشخص المتنبي الى كافور ، ان يمنحه هذا الاخير ولاية يتصرف بها كيف شاء . انا اعتقد هذا ، ورب قائل ما هي فائدة شخوص المتنبي الى كافور . وماذا يجني كافور من شخوص المتنبي اليه حتى يعده بولاية ؟ على هذا نجيب ، من ان الشاعر في ذلك الوقت كان يقوم مقام وسائل الدعاية اليوم مسن صحافة واذاعة وكتابة وخطابة ، فلذا كان لا بد لكافور ان يستغل هذه الصحيفة التي انتشر صيتها ، وذاعت بلاغتها في اكثر الاقطار بل في الاقطار الاسلامية بأسرها ، وفحن نرى اليوم كيف ان الجريدة المنتشرة القوية يتهافت عليه المعلنون والسياسيون ، انها المصالح والمنافع المتبادلة والمشاركة .

ولنعد الى اوائل ايامه في مصر ، ولنرى كيف يمدح الحاكم الذي اتى يطلب في ظلاله السلطان والمجد ، والذي ترك من اجل هذا السلطان عشيره وحديقه واتجه اليه ، وسوف لا نطيل الحديث عن شعره في معرض هذه الدراسة لاننا سنفرد لها مكاناً في منتخباته .

قال يمدح كافوراً بهذه القصيدة التي مطلعها :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانيا
تمنيتهما لما تمنيت أن ترى صديقاً فأعيا ، أو عدواً مداحيا
ولاحظ معي هذا التطلع الى سيف الدولة وذكره .

فراق ومن فارت غير مذمم وأمُّ ومن يمت خير ميمم
اذن فهو لا يذم سيف الدولة ، ولكنه يعجب من هذا الفراق
الذي كتب عليه ، وكأنما المتنبي قد أدرك أنه لن يبلغ لدى
حاكم مصر ما يريد :

اغالب فيك الشوق والشوق اغلب

واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب

ولكنه مع كل هذا يريد أن يتملق كافوراً حتى يصل الى
هدفه .

قواصد كافورٍ توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
انه لا يريد أن يتملق كافوراً فحسب بل يريد ايضاً أن يداعب
ويغيط سيف الدولة ، ويعود المتنبي الى حاجته .

فقد تهب الجيش الذي جاء غازياً لسائلك الفرد الذي جاء عافيا
وكانما كافور قد اطل عليه وعوده فلم يجد المتنبي مفراً من التصريح
وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب
وما انا بالباغي عن الحب رشوةً ضعيف هوى يبغي عليه ثواب

وما شئت إلا أن ادل عواذلي علي أن رأيي في هوائك صواب
إلى أن يقول :

إذا نلت منك الود فالمال هين وكل الذي فوق التراب تراب
وما كنت لولا أنت إلا مهاجراً له كل يوم بلدة وعجاب
ولكن الأسود يأطله ولا يستجيب له .

أبالمسك هل في الكأس فضل أناله

فاني اغني منذ حين وتشرب
ويعرض بحاجته إلى أن يقول :

وكل امرئ يولي الجميل محب وكل مكان ينبت العز طيب
وفي هذا البيت ، نلمس المتنبي بشخصيته التي تتعشق ذاتها ،
فهي المسرورة حيث تجد الجميل ، وراضية حيث تجد العز والمجد .
وفي هذه الاثناء يتعرف المتنبي بأحد الامراء الشجعان ، والقواد
المغاوير ألا وهو فاتك الاسدي ، فيمدحه بعد أن يكون قد نفذ يده
من كافور ، وانما تعتمد ذلك كي يشير غيظ كافور .

ومدح المتنبي فاتكاً بعدة قصائد قال في مطلع احداها :

فلا ينحل في المجد ما لك كله فينحل مجدّ كان بالمال عقده
ثم قصيدته الثانية :

لا خيل عندك ترميها ولا مال فليسعد النطق أن لم يسعد الحال
ولا بد ايضاً من أن نشير إلى أن استقبال كافور للمتنبي كان حافلاً ،
ولم يبخل عليه بشيء مما يحتاج من وسائل الرفاهية والنعيم ... إلا أن المتنبي

لم يكن يريد هذا فحسب .
وفي مصر برزت حكمة الشاعر وفلسفته فهو الى كثره يصور الله ،
وخوفه واغترابه ، ثم هذا اليأس الذي اطبق على نفسه ، اذا به
يصدق في رياض الحكمة والنبوغ والمعرفة ، والتفلسف على هذه
الحياة ومن فيها التي لم يحدد منها سوى الفشل واليأس ، وفلسفة المتنبئ
في هذه المرحلة متشائمة ، قلت فلسفة ان صح ان نقول عن حكمه
وتجاربه وآرائه وفلسفته ، ان فلسفته حياتية خاصة .

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عانا
وتولوا بغصة كلهم منه ه وان سر بعضهم احيانا
ربما تحسن الصنيع لبياليه ولكن تكدر الاحسانا
وكانا لم يرض فينا بريب الد هر حتى اعانه من اعانا
كلما انبت الزمان قنائة ركب المرء في القنائة سنانا
ومراد النفوس اصغر من ان تنعادي فيه وان تتفاني

اذن ما دام الدهر لم ينصفه في مصر ، وما دام اضحى في شبه
سجن ، وما دام صاحبه كافور قد اخل بالشروط التي تعهد بها فليرحل
عنها ، ورحل عنها حقاً الا انه ترك لهذا الرحيل ضجة ما بعدها ضجة -
سندكر قصيدته في المنتخبات - .

ولكن الى ابن سيرحل ، بل الى ابن سيهر ب من هذه الاسوار التي
احاط بها كافور هل سيعود الى سوريا ، وهل الذي تركها على ما تركها ،
وفي الشكل الذي لم يكن سيف الدولة راضياً عنه ، واستطاع المتنبئ ان
يفلت من اسوار كافور الى الصحراء الواسعة ولم تفلح البعثات التي

ارسلها كافور للقبض عليه ، لانه أوغل في الصحراء في طريقه الى العراق .

ودخل بغداد بعد الكوفة ، فأقام فيها سبعة اشهر او ثمانية الا انه لم يقل في هذه المرحلة شعراً ، وهو الذي لم ينجو من لسانه سلطان بغداد وامرائها عندما كان في حلب ، او في مصر ، فكيف يمدحهم الآن ؟ هل يمدح من شتمهم البارحة ؟ كلا . لن يفعل . بل فضل الصمت والسكون .

وقد يكون المتنبي قد فكر بالعودة الى حلب الا انه فكر بالعودة الى مسقط رأسه الى الكوفة ، يستقبل فيها امره بالتفكير والروية ، وعاد الى الكوفة حقاً ، وفي هذه الاثناء وردته هدية سيف الدولة فشكره باللامية المشهورة ، ثم نعت الى اخذ سيف الدولة ، فرثاها بتلك القصيدة التي اتينا على ذكرها فيما سلف ، وفي هذه الاثناء يغير القرامطة على الكوفة فيقاتلهم المتنبي ، ويتناولهم بأقذع الالفاظ ، فيهجو داعياً بدوياً من دعائهم ضبة بن يزيد الكلبي :

ما انصف القوم ضبة وأمه الطرطبة

وهي اقذع ما قال المتنبي في الهجاء .
اذن لقد تنكر لمذهبه القرمطي ، ولقد تنكر لأشياء وعقائد ، كانت لها مكانة وشأناً في حياته ذات يوم .
وفي هذه الاثناء يصله كتابان في وقت واحد ، احدهما من سيف الدولة يطلب منه الحضور اليه ، والثاني من ابن العميد يستزيه في ارجان ، فأرسل الى سيف الدولة يقول :

فهمت الكتاب ابر الكتب فسمعا لامر امير العرب

اما جوابه ابن العميد فكان رجليه اليه .

ويصل المتنبي ارجان في شهر صفر سنة اربع وخمسين وثلاثمائة
وهناك يلقاه ابن العميد احسن لقاءً ، وينحبه الهدايا وانهبات ، ثم ظفر
من هناك بالاتصال بعضد الدولة بعد ان مدح ابن العميد بعدة قصائد
قال في مطلع اولها :

بادٍ هوالك صبرتْ او لم تصبرا

وبكالك ان لم يجر دُمُعك او جرى

وعند ارتحاله الى ديار عضد الدولة في شيراز ودع ابن العميد
بهذه القصيدة :

نسيت وما انسى عتاباً على الصد ولا خفرٌ زادت به حمرة الخد

وفي شيراز رحب عضد الدولة بالمتنبي خير ترحيب وابقاه عنده
اشهر ثلاث مدحه فيها المتنبي فأكثر المدح واجاد ، مدحه بست
قصائد وارجوزة ومقطوعة ، يقول في احدى القصائد :

أوهٍ بديلٌ من قولاي واهَا كمن نأتُ والبديلُ ذِكراها

ثم في مطلع غيرها ، وهي قصيدة مشهورة لما فيها من الصور
الحية ، والحنان الى بلاده .

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

ثم في الالامية :

أثلث فانا ايها الطللُ نبيكي وترزُم تحتنا الابل

اما مطلع المقطوعة :

قد صدقَ الوردُ في الذي زعما انك حيرت نثره ديمَا

ثم الارجوزة :

ما اجدَر الايام والليالي بان تقول ما له وما لي

وترك المتنبي عضد الدولة ، مثقلاً بالهدايا والعطايا ، وانتهى الى واسط في شهر رمضان من سنة اربع وخمسين . وثلاثمائة ، ونزل على صديق له يدعى ابن نصر محمد الجبلي ثم تركه بعد ان نصحه هذا الاخير بأن يسير معه حراساً في خدمته ، الا ان المتنبي رفض وعندما وصل في طريقه الى بغداد ، وبالقرب من دير العاقول ، تلقاه فائق بن ابي جهل الاسدي واصحابه من الاعراب ، فكان بينه وبينهم اشد القتال ثم تكاثر فائق برجاله فقتلوه وقتلوا صحبه ، واخذوا ما كان معه من المال والمتاع .

وتروى حول هذه المعركة قصة ، من ان المتنبي حاول الهرب الا ان غلامه قال له : « لا يتحدث الناس عنك بالفرار وانت القاتل الخيل ، والليل ، والبيداء تعرفني والسيوف والرمح ، والقرطاس والقلم فقال المتنبي : « قتلني ، قتلك الله ! » وحمل على الاعداء فقتل ، وقُتل ابنه محمد وغلامه مفلح .

ومن المؤكد ان فائق قد انتقم لابن اخته ، ثم انتقم لعقيدته اذ من المرجح انه كان من القرامطة المتعصبين .

لقد عاش المتنبي حياة حافلة ، ومات مئة حافلة ايضاً ولكن شعره احدث دويلاً عظيماً في عصره ، وما اعقبه من عصور .

والمتنبي شاعر جريء في فرض شعره ، شامخ في روعته ذلك الشعر الحياتي وقد يكون قد جارى الاقدمين في بعض الفنون الشعرية ، انما قد يفني مع الزمن بعض آثار اولئك الاقدمين . ولكن شعر المتنبي سيبقى خالداً لانه يلائم كل مكان ، وكل زمان وقد يفنى ايضاً ما ضعف من شعره وهو اليسير الا ان قصائده وامثاله وحكمه ستبقى انشودة الرجال في العصور المقبلة .

مختارات من شعره

المدح

مدح سيف الدولة وتنهته بعيد الاضحى

قال يمدح سيف الدولة وينتهه بعيد الاضحى سنة ٢٤٢ هـ .
(١٧ نيسان ٩٥٤) وانشده اياها في ميدانه مجلب ، وهما على
فرسيهما :

لكل امريء ، من دهره ، ما تعودا !
وعادت سيف الدولة الطعن في العدى ،
وان يكذب الارجاف عنه بضده !
ويمى ، بما تنوي اعدايه ، اسعدا . (١)
وربَّ مُرِيد ضره ، ضر نفسه ،
وهاد اليه الجيش اهدى ، وما هدى .
ومستكبر لم يعرف الله ساعة ،
رأى سيفه في كفه ، فتشهدا . (٢)

(١) الارجاف : الاكثار من الاخبار الكاذبة .

(٢) تشهد : نطق الشهادة

هو البحر ! غص فيه ، اذا كان ساكناً ،
على الدر ، واحذره ، اذا كان مزبداً ،
فاني رأيت البحر يعثر بالفتى ،
وهذا الذي يسأني الفتى ، متعمداً .
تظل ملوك الأرض خاشعة له :
تفارقه هلكى ، وتلقاه سُجّداً
ومُتحي له المال الصوارم والقنا ،
ويقتل ما تحي التيسم والجد (١)
ذكي ، تظنّيه طليعة عينه : يرى قلبه ، في يومه ، ما ترى ، غداً
وصولاً إلى المستصعبات بنحيله ، فلو كان قرن الشمس ماء لا ورداً
لذلك سمى ابن الدُمستق يومه مماتاً ، وسماه الدُمستق مولداً (٢)
سريت إلى جيجان ، من ارض آمد
ثلاثاً ، لقد ادناك ركض وابعداً . (٣)
فولى ، واعطاك ابنه وجيوشه جميعاً . ولم يعط الجميع ليُحمداً
عرضت له دون الحياة وطرفه ، وابصر سيف الله ، منك ، مجرداً

(١) الجدا : المنح

(٢) الدُمستق لقب قائد جيش الروم

(٣) جيجان : نهر بأسية الصغرى ، آمد

وما طلبت رزقُ الاسنة غيره ولكن قسطنطين كان له الفدى ،
فاصبح يجتاب المذوح مخافة ،

وقد كان يجتاب الدلاص المسردا (١)
ويمشي به العسكارُ في الدير ، تائباً وما كان يرضى مشي أشقر أجردا
وما تاب حتى غادر الكرك وجهه جريجاً ، وخلي جفنه النقع ارمدا
فلو كان ينجي من علي ترهب

ترهبت الاملاك مثنى وموحدا (٢)
وكل امرئ في الشرق والغرب ، بعده

يعد له ثوباً من الشعر اسودا !
هنيئاً لك العيد الذي انت عيده وعيد لمن سمى ، وضحتي وعيدا!
ولا زالت الاعياد لبسك ، بعده تسلم مخروفاً ، وتُعطي مجددا!
فذا اليوم ، في الايام ، مثلك ، في الوري

كما كنت فيهم اوحداً ، كان اوحدا !
هو الجدد ! حتى تفضل العين اختها
وحتى يكون اليوم ، لليوم ، سيدا (٣)

(١) فاصبح الضمير للمستمق

(٢) الاملاك : الملوك . علي اسم سيف الدولة

(٣) الجدد : الحظ

فيا عجباً من دائلٍ انت سيفُهُ ! اما يتوقَّسى شفرَتِي ما تقلدا؟ (١)
ومن يجعلِ الضُرغامَ ، للصيدِ ، بازه تصيِّده الضُرغام فيما تصيِّدُ !
رأيتك محض الحِلْم في محض قدرة

ولو شئت ، كان الحِلْم منك المهنِّداً (٢)
وما قتل الاحرار كالغفو عنهم ، ومن لك بالحرِّ الذي يحفظ اليدا !
اذا انت اكرمت الكريم ، ملكته وان انت اكرمت اللئيم ، تمردا !
ووضعُ الندى في موضع السيف ، بالعلی

مُضرٌّ ، كوضع السيف في موضع الندى (٣)
ولكنَّ تفوق الناس رأياً وحكمة ،
كما فقتهم ، حالاً ونفساً ومحتدا .

يدقُّ علي الافكار ما انت فاعلٌ ،
فيترك ما يحقُّ ، ويؤخذ ما بدا .
أزلَّ حسداً الحساد عني ، بكبتهم ،

فانت الذي صيرتهم لي حسداً ، (٤)

(١) الدائل : ذو الدولة والمقصود به الخليفة

(٢) المحض : الخالص .

(٣) الندى : الجود .

(٤) كبته : اذله .

إذا شدَّ زندي حن رأيك فيهم

ضربتُ بسيفٍ يقطعُ الحمامَ مغمداً . (١)

وما أنا إلا سَمَّهري ، حماة فزَّينَ معروناً ، وراعَ مسدداً !

وما الدهرُ إلا من رواة قصائدي

إذا قلت شعراً ، أصبح الدهرُ منشداً :

فسار به مَنْ لا يسير ، مشمراً ، وغنى به مَنْ لا يفني ، مغرداً !

أجزني ، إذا انشدت شعراً ، فانما بشعري اتاك المادحون ، مردداً

ودع كلَّ صوت غير صوتي ، فاني

أنا الطائر المحكي والآخر الصدى !

تركَّت السرى ، خلقي ، لمن قلَّ ماله

وانملت افراسي ، بنعماك ، عسجداً (٢)

وقيدت نفسي ، في ذراك ، محبته

ومن وجد الاحسانَ قيداً ، تقيداً . (٣)

إذا سأل الانسان ايامه الغنى

وكنت علي بعد ، جملتك موعداً

(١) الحمام : ح . الهامة : الرأس .

(٢) السرى : مشي الليل . العسجد . الذئب

(٣) الذرى . الكنف

قال المتنبي يمدحه ويذكر القلعة الحدث وانشده اياها بعد
انتصاره على الدمستق ، في الحدث :

على قدرِ اهل العزم ، تأتي العزائم
وتأتي ، على قدر الكرام ، المكارم ،
وتعظم ، في عين الصغير ، صغارها

وتصغر ، في عين العظيم العظام ،
يكلّف سيف الدولة الجيشَ همّه

وقد عجزت عنه الجيوش الحضارم ، (١)

ويطلب عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لا تدّعيه الضراغم
يفدّي اثم الطير عمراً سلاًحه ، نسور الفلا: احداثها والقشاعم (٢)
وما ضرّها خلقٌ بغير مخالبٍ ، وقد خلقت اسيافه والقوائم (٣)
هل الحدثُ الحمراء تعرف لونها وتعلم اي الساقيين الغمام؟ (٤)
سقتها الغمامُ الغرُّ فقل نزوله فلما دنا منها ، سقتها الجماجم (٥)

(١) الحضارم . ج . الخضم . الكثير من كل شيء . اي . يكلّف الجيش ان يقوم
بتأقضي به همته من الحروب والغزوات ، وهو امر تعجز عنه الجيوش الكبيرة ، ولكن
جيش سيف الدولة لا يعجز

(٢) القشاعم . المسنة من النسور

(٣) القوائم . ج . قائم السيف ، وهو مقبضه

(٤) الحمراء . لناطخها بدماء الروم

(٥) نزوله . التضمير لسيف الدولة

بناها فاعلى والقنا يقرع القنا وموج المنيا حولها متلاطم.
 وكان بها مثل الجنون، فاصبحت ومن جث القتلى عليها قائم (١)
 طريدة دهر ساقها فرددتها على الدين، بالخطي، والدهر راغم
 تفيت الليالي كل شيء أخذته ومن لا يأخذن منك، غوارم.
 اذا كان ما تنويه فعلاً مضارعا مضى، قبل ان تلقى عايه الجوازم
 وكيف ترجي الروم والروس هدمها

وذا الطعن آساس لها ودعائم (٢)

وقد حاكموها، والمنيا حواكم فامات مظلوم ولا عاش ظالم
 اتوك يحرون الحديد، كأنما سرّوا بجياد ما لمن قوائم.
 اذا برقوا، لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم (٣)
 خميس بشرق الارض والغرب زحفه

وفي اذن الجوزاء، منه، زمازم (٤)

تجمع فيه كل لسن وأمة فما يفهم الحداث الا التراجم

(١) التائم . ج . قيمة . تعريضة

(٢) الروس . فئة من المرتزة في الجيش البيزنطي، اصحابهم من مناطق روسية وسكاندينافية

[٣] البيض . السيوف . الثياب والعمائم . استعارة للدروع واخذ

[٤] الخميس . الجيش المؤلف من خمس فرق . الزمازم . ج . زمزمة . صوت الرعد

فلأنه وقت ذوب الغش ناره فلم يبق الا صارم^١ او ضبارم !
تقطع^٢ ما لا يقطع^٣ الدرع والقنا وفر^٤ من الفرسان من لا يصادم (١)
وقفت ، وما في الموت شك^٥ لو اقف^٦ كأنك في جفن الردى ، وهو قائم
تمر^٧ بك الابطال ، كلنى ، هزيمة^٨ ووجهك وضاح^٩ وثغرك باسم (٢)
تجاوزت مقدار الشجاعة ، والنسهى

الى قول قوم : انت بالغيب عالم (٣)
ضمت جناحيهم على القلب ضمة^{١٠} تموت الحوافي ، تحتها ، والقوادم
بضرب^{١١} اتى الهامات ، والنصر غائب
وصار الى اللبسات ، والنصر قادم (٤)
حقرت الردينيات^{١٢} حتى طرحتها
وحتى كأن^{١٣} السيف للرمح شاتم ! (٥)
ومن طلب الفتح^{١٤} الجليل ، فانما مفاتيحه^{١٥} البيض الخفاف^{١٦} الصوارم
نثرهم فوق الاحيدب^{١٧} كله
كما نثرت ، فوق العروس ، الدراهم (٦)

[١] تقطع . . . اي تكسر من السيوف ما لم يكن قاطعاً .

[٢] كلنى . ج . كلنى . جريح

[٣] النهى . العقز

[٤] الهامات . الرؤوس . اللباب ، اعالي الصدور

[٥] الردينيات ، الرماح .

[٦] الاحيدب ، جبل الحدث

تدوس بك الخيل الوكور على الذرى

وقد كثرت ، حول الوكور المطاعم

تظن فراخ الفُشخ انك زرتها بأماتها ، وهي العتاق الصلادم .

إذا زلقت مشيتها ببطونها كما تتمشى ، في الصعيد ، الوراقم

أفي كل يوم ذا الدمستق مُقدم ؟ ققاء ، على الاقدام ، للوجه ، لاثم .

أينكر ريح الليث ، حتى يذوقه ؟ وقد عرفت ريح الليوث البهائم

وقد فجعته بابه ، وابن صهره وبالصهر ، حملات الامير الغواشم

مضى ، يشكر الاعجاب ، في فوته الظبي

لما شغلتها هائمهم والمعاصم ، (١)

ويفهم صوت المشرفية ، فيهم على ان اصوات السيوف اعاجم

يدربا اعطاك ، لا عن جهالة ولكن مغنوما نجا منك غانم

ولست مليكاً هازماً لنظيره

ولكنك التوحيد للشرك هازم (٢)

تشرف عدنان به ، لا ربيعة وتفتخر الدنيا به ، لا العواصم

لك الحمد ، في الدر الذي لي لفظه فانك مُعطيهِ ، واني ناظم .

[١] الظبي ، حدود السيوف ، المعاصم ، اطراف السواعد

[٢] الشرك ، القول بان لله شركاء في الوهبة

واني أتعذوبي عطايك، في الوغى فلا انا مذموم ، ولا انت تادم
على كل طيار اليها برجله اذا وقعت في مسمعيه، الغماغم (١)
الا ايها السيف - الذي ليس مُغمداً

ولا فيه مرتاب ، ولا منه عاصم -

هنيئاً لضرب الهام ، والمجد ، والعلی

وراجيك ، والاسلام ، انك سالم !

ولم لا يقي الرحمن حدّيك ، ما وقى

وتقليقه هام العدى ، بك ، دائم ؟

مدح كافور

كافور هو عبد خصي ، كان غلامان الامير ابن طنج امير مصر يصفعونه
في الاسواق كما رأوه ، فيضحك . فقالوا : ان هذا الاسود خفيف
الروح . وكلم ابو بكر محمد بن طنج صاحبه في بيعه ، فوهبه له ،
فأقامه على وظيفة الخدمة . حتى توفي سيده ابو بكر ، عن
ولد صغير ، فأخذت البيعة له . فتفرد كافور بخدمته ، وخدمة امه ،
فقرب من شاء وابعد من شاء . ثم ملك الامر على ابن سيده ،
وامر ان لا يكلمه احد من ممالك ابيه ، ومن كلمه اوقع به .
فلما كبر ابن سيده ، وتبين ما هو فيه ، جعل يبوح بما في نفسه ،
بعض الاوقات على الشراب . ففرع الاسود منه وسقاه سماً فمات ،
وخلت مصر له . وهو الذي ذهب المتنبي اليه في مصر كما تقدم .

ومن مدائح المتنبي له هذه القصيدة ، وانشده اياها في جمادي الآخرة
٣٤٦ هـ (ايلول ٩٥٧)

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا !
وحسب المنايا أن يكن أمانيا !

تمنيتهَا ، لما تميت ان ترى
صديقًا ، فأعيا ، او عدوًّا مداجيًّا ! (١)
اذا كنت ترضى ان تعيش بذلة فلا تستعدن الحسام اليمانيا
ولا تستطيلن الرماح لغارة ولا تستجيدن العتاق المذاكيا
فما ينفع الاسد الحياء من الطوى ولا تُتقى حتى تكون ضواريا .
حبيبك ، قلبي ، قبل حبك من نأى

وقد كان غداراً ، فكن أنت وافيًا . (٢)
واعلم أن البين يشكيك ، بعده

فأست فؤادي ، إن رأيتك شاكيا (٣)
فإن دموع العين مغدّر برّها إذا كن ، إثر الغادرين ، جواريا !

[١] مداجيًّا ، اي مداريا

[٢] الطوى ، الجوع

[٣] البين ، البعد

إذا الجود لم يُرزق خلاصاً من الأذى

فلا الحمد مكسوباً ، ولا المال باقياً

وللنفس أخلاقٌ تدلّ على الفتى أكان سخاءً ما اتى ، أم تساخياً .

أقلّ اشتياًً ، أيها القلب ، ربّما رأيتك تصفي الودّ من ليس صافياً

خلقت أوفاً ، لو رجعت الى الصبى

لفارقت شبي ، مومع القلب باكياً !

ولكنّ بالفسطاط بجرّاً أزرتَه حياتي ونُصحي والهوى والقوافيا

وجرداً مددنا بين آذانها القنا فبتن خفافاً يتبعن العواليا (١)

تأشى بأيدٍ ، كلما وافى الصفا نقشن به صدر البزاة ، حوافيا

وتنظر من شؤدٍ صواقٍ ، في الدجى

يرين بعيداتِ الشخوص ، كما هيّا

وتنصب ، للجرس الحفيّ ، سوامعاً

يُنلن مناجاةَ الضمير تناديا (٢)

تجاذب فرسان الصباح أعنةً كأن على الأعناق ، منها ، أفاعيا

بغرم يسير الجسم في السرج راكباً به ، ويسير القلب في الجسم ماشياً

[١] جرداً ، قصار الشعر ، يريد بها الخيل

[٢] الجرس ، الصوت

قواصد كافور ، توارك غيره

ومن قصد البحر استقل السواقيا (١)
فجاءت بنا انسان عين زمانه وخسئت بياضا ، خانها ، وماقيا
نجوز عليها المحسنين الى الذي نرى عندهم احسانه والاياديا (٢)
فتى ما سرينا في ظهور جدودنا

الى عصره ، الا نرجي التلاقيا (٣)
ترفع عن عون المكارم قدره فافعل الفعلمات إلا عذاريا (٤)
يسبب عداوات البغاة باظفه فان لم تبد منهم ، أباد الاعاديا .
ابا المسك ، ذا الوجه الذي كنت تأثقا

اليه ، وذا اليوم الذي كنت راجيا ! (٥)
لقيت المروري والسناخيب ، دونه

وجبت هجيرا يترك الماء صاديا .
ابا كل طيب ، لا ابا المسك وحده وكل سحاب ، لا اخص الغواديا
يدل بمعنى واحد كل فاخر وقد جمع الرحمن ، فيك ، المعانيا .

[١] قواصد ، حال من الجرد اي الخيل ، والمراد ارباب الخيل

[٢] «نجوز» نتخطى ، عابها ، الضمير للخيل - فيه تعريض بسبب الدولة

[٣] «الجدود» الحظوظ

[٤] «عون» ج ، عون : المرأة المتزوجة

[٥] «ابو المسك» كنية كافور لسواده ، وهي على سبيل التخاذ

إذا كسب الناس الممالي ، بالندى ، فإنك تعطي ، في نذاك ، المعالي .
 وغير كثير أن يزورك راجل^١ فيرجع مملوكاً للعراقين ، واليا
 فقد تهب الجيش الذي جاء غازياً لسائلك الفرد الذي جاء عافياً (١)
 وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها ، وحاشاك ، فانيا!

مدح أبي العشائر

هو الحسن بن حمدان أحد اقرباء سيف الدولة وعن يده اتصل
 المتنبي بسيف الدولة كما تقدم .

أتراها ، لكثرة العشاق تحسب الدمع خلة في المآقي ؟
 كيف ترثي التي ترى كل جفن راءها — غير جفنها — غير راق

* * *

ليس ، إلا أبا العشائر ، خلق ساد هذا الانام باستحقاق !
 طامن الطعنة التي تطعن النسيء لقم ، بالذعر ، والدم المهرق
 ذات فرغ ، كأنها في حشا الخ بر عنها ، من شدة الاطراق (٢)
 ضارب الهام ، في الغبار ، وما ير هب أن يشرب الذي هو ساق .

* * *

ثاقب الرأي ، ثابت الحلم ، لايقة يدُر أسره على إقلاق .

(١) العافي : القاصد المعروف

(٢) الفرغ : نخرج الماء من الدلو

يا بني الحارث بن لقمان ، لا تَهْ

دَمَّكُمْ ، في الوغى ، متون العتاق (١)

بعضوا الرعب ، في قلوب الاعادي

فكان القتال ، قبل التلاقي

وتكاد الظبي ، لما عودوها تنتضي نفسها الى الاعناق .

واذا اشفق الفوارس من وقع القنا ، اشفقوا من الاشفاق (٢)

كلُّ ذمير يزداد ، في الموت ، حسناً كبدور تمامها في المحاق (٣)

جماعلٍ درعه منيته ، إن لم يكن ، دونها من العار ، وراق .

كرمٌ خشنٌ الجوانب منهم فهو كالماء في الشيفار الرقاق (٤)

ومعالٍ ، اذا ادعاهما سواهم لزمته جناية السراق .

يا ابن من كلما بدوت ، بدا لي غائب الشخص ، حاضر الاخلاق

لو تنكسرت ، في المكر ، لقوم حلفوا ، أنك ابنه ، بالطلاق (٥)

كيف يقوى ، بكفك ، الزند ، والآفاق فيها كالكف في الآفاق !

قل نفع الحديد فيك ، فما يدا قلاك ، الا من سيفه من نفاق .

(١) بنو الحارث بن لقمان ، اهل الممدوح

(٢) الاشفاق ، الخوف

(٣) المحاق ، آخر ابالي القمر

(٤) الشفار ، ج ، شفرة ، حد السيف

(٥) المكر ، مكان المكر في الحرب

إلف هذا الهواءِ أوقعَ في الآثَمِ : فُسِّرَ أن الحمامِ مرُّ المذاقِ
والآثَمِ ، قبلَ فرقةِ الروحِ عجزٌ والاسى لا يكونُ ، بعدَ الفراقِ !
كم ثراءٍ فرجتَ بالرُّمَحِ عنه كان ، من بُخلِ أهله ، في وثاقِ !
والغنى في يدِ اللئيمِ قبيحٌ قدرَ قبحِ الكريمِ في الاملاقِ .
ليس قولي في شمسِ فعلك كالشمسِ ، ولكن كالشمسِ في الاشراقِ
شاعرُ المجدِ خدَّمته شاعرُ اللغظِ ، كلانا رُبَّ المعاني الدِّفاقِ !
لم تزل تسمعُ المديحَ ، ولكنَّ صهيلَ الجيادِ غيرَ السُّنْهاقِ .
ليت لي مثلَ جدِّ ذا الدهرِ ، في الأدِّ

هُر ، او رزقه من الارزاقِ !
انت فيه ، وكان كلُّ زمانٍ يشتهي بعضَ ذا على الخَلِّاقِ !

مدح بدر بن عمار

هو بدر بن عمار الاسدي ولقد لزمه المتنبي فترة من الزمن وفي
تلك الاثناء يلتقي بدر بأسد فيهرب الاسد منه ، وكان قد قتل اسداً
قبل ذلك فيمدحه المتنبي بهذه القصيدة :

أَمِعِفَّرَ اللَّيْثَ الْحَزْبَ بِرِيسُوطِهِ لَمِنْ أَدْخَرْتَ الصَّارِمَ الْمُصْقُولَا ؟
وَقَعْتَ عَلَى الْأَرْدَنِ ، مِنْهُ ، بَلَسِيَّةٌ مُنْضَدَّتْ بِهَا هَامُ الرِّفَاقِ تَلُولَا
وَرَدَ ، إِذَا وَرَدَ الْبَحِيرَةُ ، شَارِبَا وَرَدَ الْفِرَاتِ زَيْرُهُ وَالنِّيْلَا .
مَتَخَضَّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ ، لَا بَسَ فِي غِيْلِهِ ، مِنْ لِبْدَتِيهِ ، غِيْلَا

ما قوبلت عيناه الا ظننتما تحت الدجى ، نارَ الفريق حلولا
 في واحة الرهبان ، الا انه لا يعرف التحريم والتحليلا
 يطاءً الثرى مترققاً ، من تيهه فكأنه آس يجسّ عليلا
 ويردّ عُفْرته الى يسأفوخه حتى تصير ، لرأسه ، إكليلا . (١)
 وتظنه ، ممّا يُزجر ، نفسه عنها ، لشدة غيظه ، مشغولا
 قصرت مخافته الخطى ، فكأنما ركب الكمي جواده مشكولا .
 لقى فريسته ، وبرّ برّ دونها وقربت قرباً خاله تطفيل .
 فتشابه الخلقان في اقدامه وتخالفا في بذلك المأكولا
 أسدٌ يرى عضويه فيك ، كليهما : متناً ازل ، وساعداً مفتولا .

* * *

ما زال يجمع نفسه في زوره

حتى حسبت العرض منه الطولا (٢)

ويدقّ ، بالصدر ، الحجار كأنه يبغى الى ما في الحضيض سبيلا .
 وكأنّه غرّته عينه ، فادّنى لا يبصر الخطب الجليل جليلا .
 أنف الكريم من الدنيئة تارك في عينه ، العدد الكثير قليلا (٣)

(١) المفرة : شعر القفا

(٢) الزور : وسط الصدر

(٣) الاتف . والاتف . الاستنكاف .

والعار مضاض^١ ، وليس بخائف من حثفه ، من خاف ممّا قيل (١)
 سبق التقاء كه بوثة هاجم لو لم تصادمه ، لجازك ميلا .
 خذلته قوته ، وقد كافحته فاستنصر التسليم والتجديلا
 قبضت منيته يديه وعنقه فكأنما صادفته ، مغلولا .
 سمع ابن عمته به ، وبجاله فنجأ يهرول ، أمس ، منك ، مهولا
 وامر^٢ ممّا فرّ منه فراره ! وكفّله ان لا يموت قتيلا !
 تاف^٣ الذي اتخذ الجراءة مخالة وعظ^٤ الذي اتخذ الفرار خليلا !
 لو كان علمك بالاله مقسما في الناس ، ما بعث الاله رسولا
 لو كان لفظك فيهم ، ما انزل ال فرقان^٥ ، والتوراة ، والانجيل .
 لو كان ما تمطيهم ، من قبل ان تعطيمهم ، لم يعرفوا التأميلا .
 فلقد عرفت ، وما عرفت حقيقة ولقد جهلت ، وما جهلت خولا
 نطقت بسوءك الحمام ، تغنيا وبما تجشمها ، الجياد ، صهيلا .
 ما كل من طلب المعالي نافذا فيها ، ولا كل الرجال فحولا .

الرجاء

هجاء كافور

اودع المتنبي الزمن هذه القصيدة الصارخة بعدان ماطله كافور طويلا ،
ولم يسلمه الولاية التي كان قد وعده بها ، ثم مضى عنه بل عن محرابها ،
عيد بأية حالٍ عُدت ، يا عيد ؟ بما مضى ! ام لا مَر فيك تجديد ؟
أما الأُحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيذاً دونها بيداً !
لولا العلى ، تجب بي ما أجوب بها

وجناء حَرْفٌ ، ولا جرداء قيدود (١)

* * *

يا ساقِي ، أخمر في كؤوسكما ؟ ام في كؤوسكما هم وتسهيده ؟
أصخرة أنا ؟ مالي لا تحركني هذي المدام ، ولا هذي الاغاريد
اذا اردت كبيت اللون ، صافية وجدتها ، وحبيب النفس مفقود !
ما لقيت من الدنيا ؟ واعجبه أني ، بما انا شاك منه ، محسود
أمسيت أرواح مُمثر ، خازناً ويدا انا الغني واموالي المواعيد
إني نزلت بكذابين ، ضيفهم

عن القرى ، وعن الترحال محدود (٢)

(١) الجرداء . القصيرة الشعر . القيدود . الطويلة المنق

(٢) القرى . الطعام

جود الرجال من الايدي ، وجودهم
 من اللسان . فلا كانوا ! ولا الجود !
 ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم
 الا ، وفي يده ، من نَتْنِها ، عود .
 اكلمنا اغتال عبد السوء سيده او خانه ، فله ، في مصر ، تهيد ؟
 صار الخصى امام الآبقين ، بها فالحر مستعبد والعبد معبود (١)
 نامت نواطير مصر عن ثعالبها فقد بشمن وما تقنى العناقيد (٢)
 العبد ليس لحر صالح بأخ لو أنه ، في ثياب الحر ، مولود .
 لا تشتري العبد الا والعصا معه ان العبيد لانجاس مناكيد !
 ما كنت احسبني احيا الى زمن كيسي بي فيه عبد ، وهو محمود
 ولا تَوَهَّمتُ أن الناس قد مُفقدوا
 وأن مثل ابي البيضاء موجود (٣)
 وأن ذا الاسود المثقوب مشفوه
 تطيعه ذي المضاريط الرعايد (٤)

(١) الآبقين ، نج ، الآبق ، الهارب من سيده

(٢) «بشم» اصابته نخمة من كثرة الاكل ، نواطير مصر ، ساداتها ثعالبها ، العبيد امثال كافور ، العناقيد ، الامراء

(٣) «ابو البيضاء» كنى بذلك كافوراً من باب السخرية والهزوء

(٤) «المشفور» شفة البعير ، استعارها لكافور تحقيراً ، المضاريط ، ج ، المضروط ، الذي يتقدم بطعامه ، الرعايد ، الجبان

جوعان ، يأكل من زادي ، ويمسكني

حتى يقال : « عظيمُ القدر مقصود »

ويلمّمها خطّةً ! ويلمّم قابلاً ! لملها خُلق المهرية القود !

وعندها لذّ طعم الموت شاربه ان المنية ، عند الذل ، فنديد ! (١)

من علم الاسود المخصي مكرمة ؟

أقومه البيض ، ام آباؤه الصيد ! (٢)

ام أذنه ، في يد النخاس ، دامية ؟

ام قدره ، وهو بالفلسين مردود (٣)

ولى اللّثام كوينير بمذرة

في كل لؤم وبعض العذر تفنيد (٤)

وذاك أن الفحول البيض عاجزة

عن الجميل ، فكيف الخصية السود !

« ١ » الفنديد عصير قصب السكر

« ٢ » الصيد : ج ، اصيد ، السيد العظيم

« ٣ » النخاس ، بائع العبيد

« ٤ » كوينير ، تصغير كافور ، الاحتقار

هجاء بن كيلغ

من هجائه لابن كيلغ بعد ان امتنع عن مدحه :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم ! عرساً نظرت ، وختل أني اسلم

يا أخت معتنق الفؤادس في الوغى

لا أخوك ثم ارق منك وارحم !

راعتك رائعة البياض بفرقي ولو أنها الاولى ، لراع الأسحم

لو كان يمكننى سفرت ، عن الصبى

فالشيب ، من قبل الأوان ، تلثم .

ولقد رأيت الحادثات فلا ارى يققاً يميت ، ولا سواداً يعصم . (١)

والهمم يخترم الجسيم نخافة ويشيب ناصية الصبي ، ويهرم (٢)

ذو العقل يشقى ، في النعيم ، بعقله

واخو الجهالة ، في الشقاوة ، ينعم ! (٣)

والناس قد نبذوا الحفاظ ، فمطلق

ينسى الذي يولى ، وعاف ينعدم .

(١) اليق : الابيض ، الشيب

(٢) يخترم : يهالك

(٣) ينعم لقلة فكره

لا يَجِدُ عَنْكَ ، من عَدُوٍّ ، دَمْعُهُ

وَارْحَمْ شَبَابَكَ ، من عَدُوٍّ ، تَرْحَمُ .

لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يَرِاقَ ، عَلَى جَوَانِبِهِ ، الدَّمُ !

يُوْذِي الْقَلِيلُ ، مِنَ اللَّثَامِ ، بِطَبْعِهِ مِنْ لَا يَقِلُّ ، كَمَا يَقِلُّ وَيَأْوُتُ

وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْمِ النُّفُوسِ ، فَانْ تَجِدْ ذَا عَفْةٍ ، فَلَعَلَّةَ لَا يَظْلِمُ !

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مِنْ لَا يَرْعَوِي عَنْ غَيْبِهِ ، وَخُطَابٌ مِنْ لَا يَفْهَمُ

* * *

الرثاء

رثاء جدته

رثى المتنبي جدته بهذه القصيدة ، وكانت لهذه الجدة منزلة رفيعة في نفسه ويقال أنها ماتت من الفرح بعد ان وصلتها رسالة منه وكانت قد يئست من عودته :

ألا ! لا أري الأحداثَ مدحاً ولا ذمّاً ؟

فما بطشها جهلاً ، ولا كفها حُلماً . (١)

الى مثل ما كانت الفتى مرجعُ الفتى

يعود كما أبدي ، ويُكرى كما أرمى .

لك الله ؟ من منجوعة بحبيدِها قتيلة شوقٍ غير مُلحقها وصما ؟
أحن الى الكأس التي شربت بها

وأهوى ، لمشواها ، التراب وما ضما (٢)

بكسيتُ عليها ، خيفةً في حياتها

وذاق كلانا ثكلَ صاحبه ، قدماً (٣)

* * *

(١) الأحداث : نوب الدهر

(٢) الكأس : المراد بها كأس الموت . المشوى : المقام ، اراد به القبر .

(٣) الثكل : الفقد

عرفت الليالي ، قبل ما صنعت بنا
فلما دَهْتَنِي ، لم تردني بها علما؟

* * *

أُتَاهَا كِتَابِي ، بعد يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ
فمَاتَ سروراً بي ، فَمِتُ بها غمّاً . (١)
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ ؟ فَاَنِي
أَعِدُّ الَّذِي مَاتَ بِهِ ، بَعْدَهَا ، سِمْماً (٢)
تَعَجَّبُ مِنْ لَفْظِي وَخَطِي ، كَأَنَّمَا
تَرَى بِحُرُوفِ السُّطْرِ أَغْرِبَةً عُصْماً
وَتَلْشُمُهُ ، حَتَّى أَصَارَ مِدَادَهُ
مُحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأَنْيَابَهَا سُحْماً . «٣»
رَقَا دَمْعُهَا الْجَارِي ، وَجَفَّتْ جَفْوُهَا
وَفَارَقَ حَيَّ قَلْبِهَا ، بَعْدَ مَا أَدْمَى «٤»

(١) التَّرحَة : الحزن

(٢) به : الضمير للسُّرُور . - إشارة إلى أنها مَاتَتْ سروراً .

(٣) السُّحْم . ج . الاسحْم . الاسود .

(٤) رَقَا الدَّمْع . انقطع - المعنى

ولم يُسَلِّها الا المنايا ، وانما
اشدُّ من السقم الذي اذهب السقم
طلبت لها حظاً ، قفأت ، وفاتني
وقد رضيت بي ، لو رضيت بها قسماً .
فاصبحت استسقي الغمام لقبرها
وقد كنت استسقي الوغى والقنال الصماء .
و كنت ، مُقبِل الموت ، استعظم النوى
فقد صارت الصغرى التي كانت العظمى
هَبْنِي اخذت النارَ فيك من العدى ؟
فكيف باخذ النارَ فيك من الحمى ؟
وما انسدت الدنيا عليّ لضيقها ولكنَّ طرفاً لا أراك به أعمى
فوا أسفاً ألا أكبَّ مقبلاً
لرأسك والصدر الذي مُلئاً حَزْماً ؟
والألا أُلَاقِي روحك الطيب الذي
كأنت ذكيّ لمسك كان له جسماً ؟
ولو لم تكوني بنتَ اكرمٍ والدٍ
لكان أباك الضخم كونيّ لي أمّاً

لئن لذَّ يومَ الشامتين بيومها لقد ولدت مني لأنفسهم رَغماً ؟
تقربَ لا مستعظماً غيرَ نفسه ولا قابلاً ، إلا لحاقه ، حُكماً
ولا سالكاً إلا فؤاد عِجاجةٍ ولا واجداً ، إلا لكرمةٍ ، طعماً
يقولون لي : « ما انت ؟ » في كل بلدةٍ

« وما تبتغي ؟ » ما ابتغي جلَّ أن يسمى

كأن بنهم عالمون بأني جلوب اليهم ، من معاذنه اليتم
وما الجمعُ بين الماء والنار ، في يدي

بأصعب من أن اجمع الجدَّ والفهما « (١) »

واسكنني مستنصرٌ بذبابه

ومرتكبٌ في كل حال به الغشما « (٢) »

وجاعله ، يومَ اللقاء تحييتي

وإلا فليست السيد البطل القرما « (٣) »

إذا قلَّ عزمي ، عن مدِّي ، خوفٌ بعده

فابعد شيءٍ ممكنٍ لم يجد عزمًا

« (١) » الجد . الحظ

« (٢) » الذباب . الحد . الغشم

« (٣) » القرم ، متقدم القوم

وإني لمن قومٍ كأن نفوسهم
 بها أنف أن تسكن اللحم والعظم «١»
 كذا أنا ، يا دنيا اذا شئت فاذهبي
 ويا نفس ، زيدي في كرائها مُقدما ؟
 فلا عبرتُ بي ساعة لا تُعزّني ؟
 ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما
 رثاء ام سيف الدولة

ماتت ام سيف الدولة سنة ٣٣٧ هـ (٩٤٨ م) فقال يرثيها
 ويعزي الامير ومن هذه قصيدة :
 مُنعد المشرقية والموالي وتقتلنا المنوت بلا قتال
 ورتبط السوابق مُقربات وما يُنجين من خبب الليالي «٢»
 ومن لم يعشق الدنيا قديماً ولكن لا سبيل الى الوصال
 تصيبك في حياتك ، من حبيب نصيبك ، في منامك ، من خيال
 رماني الدهر بالارزاء ، حتى فؤادي في غشاء من نبال «٣»
 فصرت ، اذا اصابني سهامُ تكسرت النصال على النصال
 وهان ، فما أبالي بالرزايا لاني ما انتفعت بان أبالي .

«١» الانف ، الاستمكاف

«٢» السوابق ، صفة للخيل ، مقرباب اي قريبة من البيت ، الحُب ، نوع من الرقص
 يكرن بالمراوحة بين البدين والرجلين «٣» الارزاء المنصائب

وهذا أول الناعين طرأ لأول مَيِّتَةٍ في ذا الجلال
 كأن الموت لم يفجع بنفسٍ ولم يخطر لمخلوق نبال !
 صلاة الله خالقنا حنوطاً على الوجه المكفّن بالجمال (١)
 على المدفون ، قبل التراب ، صوناً وقيل التّاحد ، في كرم الحلال !
 فإنّ له ، ببطن الأرض ، شخصاً جديداً ذكرناه ، وهو بالي .
 أطاب النفس أنك متّ موتاً تمتّته البواقي والحوالي .
 وزلت ، ولم تَرَيْ يوماً كريهاً تُسرّ النفس فيه بالزوال . (٢)
 رواق العز فوقك مُسطرّ ومملك عليّ ابنك في كمال (٣)
 سقى مشواك غادٍ ، في الغواصي نظير نوال كفافك ، في النوال ! (٤)
 وليست كاللائث ، ولا اللواتي مُتعدّ لها القبور من الحجال (٥)
 ولا من في جنازتها تجار يكون وداعها نفصّ النعال
 مشى الامراء ، حوكيها ، مُحفّاة كأن المرو من زِفِ الرِّئال (٦)

(١) الصلاة : هنا يقصد بها الرحمة والمغفرة . الحنوط : طيب تعالج به جثة الميت
 فتحفظ من الفساد . الوجه المكفّن بالجمال : اشارة الى ان الموت لم يغير محاسنها .

(٢) زلت : انقضيت

(٣) مسطرّ : ممتد

(٤) المثنوى : المقام

(٥) الحجلة : الستر

(٦) الرئال : ولد النعام .

وأبرزت الحدودُ مخبآت

يضمن النقصُ أمكنةَ الغوالي (١)

أتتهنَّ العصبية ، غافلاتٍ قدمع الحزن في دمع الدلال .
ولو كان النساءُ كُنَّ فقدنَّ لفضلت النساءُ علي الرجال !
وما التأنيثُ لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكيرُ فخرٌ للهلال !
وأفجعُ مَنْ فقدنا مَنْ وجدنا مُقبيلُ الفقد ، مفقودُ المثال !
يُدَّفنُ بعضنا بعضاً ، وتشي أواخرنا على هامِ الأوالي .
ولم عيينِ مقبلةُ النواحي كحيلُ بالجنادل والرمال
ومُنفضٌ ، كان لا يُغني لخطبٍ وبالٍ ، كان يفكرُ في الهزال
أسيفُ الدولة ، استنجدُ بصبرٍ وكيف بثل صبرك للجبال
وانت تعلم الناس التعزي

وخوض الموت في الحرب السجال (٢)

وحالاتُ الزمان ، عليك ، شتَّى وحالك واحد في كل حال (٣)

رأيتك ، الذين أرى ملوكاً كانك مستقيمٌ في محال (٤)

(١) النقص : الخبر

(٢) السجال التوازن بين فريقين

(٣) شتَّى : متفرقة .

(٤) المحال : المعوج .

فان تَنفَقِ الاَناثَ وانتَ منهم فان المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

رثاء اخت سيف الدولة

كان ابو الطيب في الكوفة سنة ٩٦٣ ، فورده نعي اخت سيف الدولة وكانت قد توفيت في ميا فارقين . فكتب الى اخيها في حلب يرثيها ويعزيه ومن الأرجح ان المتنبي كان يحمل لهذه السيدة الحب الصادق والعاطفة المخلصة كما تقدم مما جعله يسلك بشعره هذا المسلك الزاخر بالاحاسيس والمشاعر التي سنتبينها في هذه القصيدة الرائعة :

يا أختَ خيرِ أخٍ ، يا بنتَ خيرِ أبٍ

كنايةً بهما عن أشرف النسبِ

أجلَ قدرِكَ أن تُسميَ مؤبنةً ومن يَصِفُكَ فقد سَمَّاكَ للعربِ
لا يملك الطربُ المحزونُ منطقَه

ودمعه ، وهما في قبضة الطرب .

غدرت ، يا موت ! كم أفنيت من عدد

بمن أصبت ! وكم اسكت من لجب (١)

وكم صحبت أخاها في منازلة !

وكم سألت ! فلم يبخل ، ولم تحجب !

طوى الجزيرة ، حتى جاءني ، خبر

فزعت فيه بآمالي الى الكذب

حتى اذا لم يدع لي صدقه أملاً
شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي (١)
تعثرت به ، في الافواه السنن
والبرد في الطرق ، والاقلام في الكتب .
ارى العراق طويل الليل ، مذُنعت

فكيف ليل فتى الفتيان ، في حلب ؟
يظن أن فؤادي غير ملتهب وأن دمع جفوني غير منسكب ؟
بلى ! وحرمة من كانت مراعيةً لحرمة المجد ، والقصاص والادب
ومن مضت غير موروثة خلائقها

وان مضت يدها موروثة النشب (٢)
وههنا في العلى والمجد ، ناشئة وهم أترابها في اللهو واللعب

* * *

يا احسن الصبر ، زراً أولى القلوب بها
وقل لصاحبه : « يا انفع السحب
واكرم الناس ، لا مستثنياً احداً
من الكرام ، سوى آبائك النجب

(١) شرق : غس

(٢) الخلائق : ج . الخايقة . الصفة المحممة . النشب : المال

قد كان قاسمك الشخصين دهر^١هما وعاش در^٢هما المفدي بالذهب
وعاد، في طلب المتروك تارك^٣ه انا لنفقل ، والايام في الطالب ؟
ما كان اقصر وقتاً كان بينهما !

كأنه الوقت بين الورد^٤ والقرب (١)
جزاك ربك ، بالاحزان ، مغفرة !

فحزن كل^٥ اخي حزن أخو الغضب ،
وانتم نفر^٦ ، تسخو نفوسكم

بما يهين^٧ ، ولا يسخون بالسلب (٢)
حلتكم من ملوك الارض كلهم

محل سمر القنا ، من مائر القصب (٣)
فلا تنلك الليالي ! إن ايديها

إذا ضربن ، كسرن النبع بالغرب (٤)
ولا يُعين^٨ عدو^٩اً انت قاهره !

فانهن^{١٠} يصيدن الصقر بالحرب .

(١) الورد : اتيان الماء للشرب . القرب : السير في الليل الى الماء

(٢) النفور : الجماعة . يسخون : الضمير لنفوسكم

(٣) القنا : الرماح

(٤) النبع : شجر صاب العود تؤخذ منه القسي ، ومن اغصانه السهام . الغرب : شجو

لين الاغصان ضعيف

وان سررنَ بمحبوبٍ ، فجمعن به

وقد أنينك ، في الحالين ، بالعجب .

وربما احتسب الانسانُ غايتها وفاقأته بأمرٍ غير مُحْتَسَب (١)

وما قضى احدٌ ، منها ، لبيانته

ولا انتهى أربٌ إلا الى أرب . (٢)

تخالف الناس ، حتى لا اتفاق لهم

إلا على شجبٍ والحلف في الشجب (٣)

فقليل : تخلص نفسُ المرءِ سالمةً

وقليل : تشاركُ جسمُ المرءِ في العطب

ومن تفكر في الدنيا ، ومهجته

أقامه المكرُ بين العجزِ والتعب ! (٤)

(١) غابة الشيء : نهايته

(٢) اللبانة والأرب : الحاجة في النفس

(٣) الشجب : الهلاك . الحلف : الخلاف .

(٤) المهجة : الروح

رثاء عمة عضد الدولة

توفيت عمة عضد الدولة في بغداد ، وكان أبو الطيب عند هذا
الملك ، في شيراز ، سنة ٩٦٥ هـ ، فقال يرثيها ويعزّيه :
آخِرُ مَا الْمَلِكُ مَعَزَّى بِهِ هَذَا الَّذِي أَثَّرَ فِي قَلْبِهِ !

* * *

لو درت الدنيا بما عنده لاستحيت الأيام من عتبه !

* * *

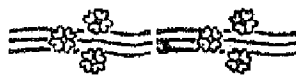
لا بدّ للإنسان من ضجعة لا تقاب المضجع عن جنبه (١)
ينسى بها ما كان من عجزه وما اذاق الموت من كربه
نحن بنو الموتى ، فما بالناس نفاق ما لا بدّ من شربه !
تبخل أيدينا بأرواحنا على زمان ، هنّ من كسبه !
فهذه الأرواح من جوّه وهذه الأجساد من تربه !
لو فكر العاشق في منتهى حسن الذي يسببه ، لم يسببه !

* * *

يموت راعي الضأن ، في جهله ميتة جالبشوس ، في طبه
وربما زاد على عمره وزاد في الأمن على سربه .

(١) الضجعة : اسم مرة من ضجع بمعنى اضطجع ، المراد به الموت

وغيَايةُ المُفْرِطِ في سلمه كغاية المُفْرِطِ في حربِه
فلا قُضِيَ حاجتُه طالَ قَوادُه يَحْثُقُ من رُعبِه !
أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِشَخْصٍ مَضَى كَانَ نَدَاهُ مُنْتَهَى ذَنْبِه
وَكَانَ مَنْ عَدَدَ إِحْسَانِه كَأَنَّمَا أَفْرَطَ فِي سَبِّهِ
يَزِيدُ، مَنْ حَبَّ الْبُلَى، عَيْشَه وَلَا يَرِيدُ الْعَيْشَ مَنْ حُبِّهِ
يَحْسِبُهُ دَافِنَهُ وَحَدَهُ وَجَدَهُ فِي الْقَبْرِ مِنْ صَحْبِهِ



الفخر

كنا قد ذكرنا في معرض دراستنا الشيء الوافر من فخره ،
ونثبت هنا امثلة من ذلك الفخر ، في هذه القصيدة التي يمدح بها سيف
الدولة يقترون المدح بالفخر كما نرى .

واحر قلباه

(١) واحرَّ قلباه مِمَّنْ قلبه شبيم

ومن ، بجسمي وحالي ، عنده ، سقم

ما لي أكنمُ حباً قد برى جسدي ،

وتدعي حب سيف الدولة الأئمُّ ؟

ان كان يجمعنا حبٌ لغُرَّتِه ،

فليت أنبأ ، بقدر الحب ، نفتسم !

قد زرتَه ، وسيوف الهند مغمدة ،

وقد نظرت اليه والسيوف دم ،

فكان أحسنَ خلق الله كلهم ،

وكان أحسنَ ما في الاحسنِ الشيم .

فوت العدو ، الذي يمتته ، ظفر ،

في طينه أسف ، في طينه نغم .

قد ناب عنك شديدُ الخوف ، واصطنعت
لك المهابةُ ما لا تصنع البهائمُ ،
ألزمتَ نفسك شيئاً ليس يلزمها
أن لا يواريهن أرضٌ ولا علم
اكلها رمت جيشاً فانشنى هرباً
تصرّفت بك في آثاره ، الهيم
عليك هزمهم في كل معتركٍ
وما عليك بهم عارٌ ، اذا انهزموا
اما ترى ظفراً حلواً سوى ظفر
تصافحت فيه بيض الهند والليم
يا أعدل الناس ، إلا في معاملتي
فيك الخصام ، وانت الخصم والحكم
أعيذها نظراتٍ منك صادقةً
ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع اخي الدنيا بناظره
اذا استوت ، عنده ، الانوار والظلم

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا
بانني خير من تسعى به قدم !
انا الذي نظر الاعمى الى ادبي
واسمعت كلماتي من به صمم !
انام ، ملء جفوني ، عن شواردها
ويسهر الخلق جرّاهها ، ويختصم
وجاهل مدّه في جهله ضحكى
حتي انته يدّه قرّاسة وفم
اذا رأيت نيوب اللث بارزة
فلا تظن ان اللث يبتسم !
ومهجة مهجتي من همّ صاحبها ادركتها بجواد ظهره حرم
وجلاه في الركض ، رجله ، واليدان يدّه
وفعله ما تريد الكفّ والقدم
مرهف سرت ، بين الجحفلين ، به
حتي ضربت ، وموج الموت يلتطم !

الحيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم
صحبت ، في الفلوات ، الوحش منفرداً

حتى تعجب مني القُور والأكُم
يا من يـعزُّ علينا ان تصارقهم

وجداننا كل شيء ، بعدكم ، عدم
ما كان أخالقنا منكم بتكرمة لو ان امركم من أمرنا أمم
إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح ، اذا ارضاكم ، ألم
وبيننا ، لو رعيتهم ذاك معرفة ان المعارف ، في اهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيباً ، فيعجزكم ويكره الله ما تأتون ، والكرم
ما ابعد العيب والنقصان ، عن شرفي

انا الثريا ، وذان الشيب والهـرم
ليت الغمام ، الذي عندي صواعقه

يزيلهن الى من عنده الديم
ارى النوى يقتضيني كل مرحلة
لا تستقل بها الوخادة الرُسم

اثن تركن ضميراً عن ميامننا ليحدثن ، لمن ودعتهم ، ندم !
 اذا ترحلت عن قوم ، وقد قدروا ان لا تفارقهم ، فالراحلون هم
 شر البلاد مكان لا سديق به

وشر ما يكسب الانسان ما يصم
 وشر ما قنصته راحتي قنص شهب الزاوة سواء فيه والرخم
 بأي لفظ تقول الشعر زعنفة

تجوز عندك ، لا عُرب ولا عجم
 هذا عتابك ! الا أنه مقعة قد ضمن الدر ، الا أنه كلم
 المجد والمال

من قصيدة مدح بها كافوراً :

اود من الايام ما لا توده واشكوا اليها بيننا ، وهي جنده (١)
 واتعب خلق الله من زاد همه

وقصر ، عما تشتهي النفس وجده (٢)
 فلا ينجل ، في المجد ، ما لك كاه

فينجل مجد كان بالمال عقده (٣)

(١) بيننا : فراقنا . جنده : الضمير للبين اي هي التي تقوم بالنفريق

(٢) اللهم : بمعنى الهمة . الوجد : الغنى ، فاعل قصر . - المعنى : اتعب الناس من

زادت همته ، وقصرت طاقته عن قضاء مراده

(٣) فلا ينجل ... : اي لا تنفق كل مالك في سبيل المجد ، فيضيع ذلك المجد الذي

انما يكون بالمال

وَدَبْرُهُ تَدِيرُ الَّذِي الْمَجْدُ كَفُهُ

اِذَا حَارِبَ الْأَعْدَاءَ ، وَالْمَالُ زَنْدَهُ (١)

فَلَا مَجْدَ ، فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ

وَلَا مَالَ ، فِي الدُّنْيَا ، لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ

وَمُرْكُوبِهِ رَجُلَاهُ ، وَالتَّوْبُ جَلَدُهُ (٢)

وَلَكِنْ قَلْبًا ، بَيْنَ جَنِيٍّ ، مَالِهِ

مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مِرَادٍ أُحَدُّهُ (٣)

يَرَى جِسْمَهُ 'يَكْسَى شَفُوقًا تَرْبُهُ

فِي خِتَارِ أَنْ يَكْسَى دُرُوعًا تَهْدُهُ (٤)

هَؤُلَاءِ الْبَشَرُ

أَفْاضِلُ النَّاسِ اغْرَاضٌ لَدَى الزَّمَنِ

يُخَلُّوْا مِنَ الْحَمِّ اخْلَاصُ مِنَ الْفُطَنِ

١ [دبره : التدير للسان .

٢ [والتوب جلد : أي عاريا .

٣ [المدى : الغاية . المراد : المطلوب . احده : اجعل له حدا .

٤ [يرى : الضمير للقلب . الشفوف : ج . الشف : الثوب الرقيق . تربه : تنعيمه .

وانما نحن في جيل مورايسية
شر على الحر من مسقم على بدن!
حولي ، بكل مكان ، منهم خلاق
تخطي ، اذا جئت ، في استفهامها ، بن
لا اقتري بلداً إلا على غرر ولا امرئ بخلق غير مضطغن (١)

ارانب

فؤاد^١ ما تسليه المدام! وعمر^٢ مثل ما تهب اللثام!
ودهر^٣ ناسه ناس^٤ صفار^٥ ولو كانت لهم جث^٦ ضخام
وما انا منهم ، بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام^٧
ارانب^٨ غير انهم ملوك^٩ مفتحة^{١٠} عيونهم ، نيام^{١١}
بأجسام^{١٢} يجر^{١٣} القتل^{١٤} فيها وما اقرانها الا الطعام

طريق المجد

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيداً وما فولي كذا ، ومعني الصبر؟

واشجع مني ، كلَّ يومٍ ، سلامتي ! وما ثبتت إلا وفي نفسها أمرُ !
تمرّست بالآفات حتى تركتها

تقول : «أمات الموت ؟ أم دُعر الذعرُ»

واقدمت إقدامَ الآتي ، كأنَّ لي

سوى مهجتي ، أو كان لي عندها وترُ !

ذَرِ النفس تأخذُ وسعها ، قبل بينها

فمترقُ جارَانِ دارهما العمرُ !

ولا تحسبنَّ المجدَ زقًا وقينةً

فما المجدُ إلا السيفُ ، والفتكةُ البكرُ

وتضريبُ أعناق الملوك ، وأن تُرى

لك الهبواتُ السودُ والعسكرُ المجرُ

وتركك ، في الدنيا ، دويًّا كأنمًا تدأولَ سمعِ المرءِ انملةُ العشرُ

إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص

على هبةٍ ، فالفضل فيمن له الشكر

ومن يُنفق الساعات ، في جمع ماله

مخافة فقر ، فالذي فعل الفقر !

نضال

أقل فعالي - بله أكثره ! - مجد !

وذا الجد فيه ، نلت أم لم أنل ، جد^(١)

سأطلب حقي بالقنا ، ومشايخ

كانهم ، من طول ما التمشوا ، مرد

ثقال اذا لاقوا ، خفاف اذا دعوا

كثير اذا اشتدوا ، قليل اذا عدوا

وطعن ، كأن الظعن لا طعن عنده

وضرب كأن النار ، من حره ، برد

اذا شئت حفت بي ، على كل سابع

رجال كأن الموت فيهم شهيد^(٢)

أذم ، إلى هذا الزمان ، أهيله فاعلمهم قدم ، واحزمهم وغد^(٣)

وأكرمهم كلب ، وابصرهم عم واسهدهم فهد واشجعهم قردا

ومن نكد الدنيا على الحر ات يرى

عدوا له ، ما صداقته بد^(٤)

[١] الفعال : مصدر . بله : اسم فعل بمعنى : دغ . الجد : الاختباء . الجد : الحظ
المعنى : ان أقل فعلي مجد ، فلا تقل عن أكثره . وان اجتهدني في طلبه حظ لي على كل حال

[٢] السابع : الفوس السريع

[٣] أهيل : تصغير أهل للاحتقار .

[٤] النكد : قلة الخير . الحر : الكريم

الحكم والامثال

وكنا ايضا قد اتينا على شيء من الحكم في شعر المتنبي ونزيد هنا بعض الامثلة والتي اصبحت مضرب الامثال . وكل ذلك وليد تجارب خاصة لمصارعته الدهر ومقارعته الايام .

عيش الذليل

لا افتخارٌ إلا لمن لا يضامُ : مدرك ، او محارب لا ينام
ليس عزمًا ما مرَّض المرء فيه ! ليس همًّا ما عاق عنه الظلام !
واحتالُ الاذى ، ورؤيةُ جانيه ه غداءٌ تضوى به الاجسام
ذلٌّ من يغبط الذليلَ بعيش ! ربَّ عيش اخفُّ منه الحمام !
كلُّ حلمٍ اتي بغير اقتدارٍ حُجَّه لاجيء اليها اللثامُ
من يهن يسهل الهوانُ عليه ما لجرح بميتٍ ايلام !

تقديره للرأي

الرأي قبل شجاعة الشجعان ! هو اولٌ وهي الحلُّ الثاني !
فاذا هما اجتمعا لنفسٍ حرَّةٍ بلغت ، من العلياء ، كلَّ مكان !
ولربما طعن الفتى اقرانه بالرأي ، قبل تطاحن الاقران !
لولا العقول لكان ادنى ضيغم ادنى الى شرفٍ من الانسان !

حكم متفرقة

اذا غامرت ، في شرفٍ مرومٍ فلا تقنع بما دون النجوم

فقطع الموت في امر حقيرٍ قطعهم الموت في امر عظيم

*

كريشةً ، في مهب الريح ، ساقطةٌ لا تستقرُّ على حالٍ من القلق

*

وقد يتزيا بالهوى غير اهله

ويستصحب الانسان من لا يلائمه!

*

واذا كانت النفوس كباراً تعبت ، في مرادها ، الاجسام!

*

ان السلاحَ جميعُ الناسِ تحملهُ وليس كل ذوات الخلب السبعُ!

*

ومن سراهل الارض ، ثم بكى أسي

بكي بعيون سرها ، وقلوب

*

ومن صحب الدنيا طويلا ، تقلبت

على عينه ، حتى يرى صدقها كذبا

*

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونُه
وصدق ما يعتاده من توهم!
فاحسن وجهه ، في الوري ، وجه محسن
وايمن كف ، فيهم ، كف منعم!

*

تريدين إدراك المعالي رخيصةً
ولا بد ، دون الشهد من إبر النحل!

*

إذا اشتبهت دموع في خدودٍ تبين من بكى من تباكى!

*

وإذا اتتك مذمتي ، من ناقصٍ فهمي الشهادة لي باني كامل!

*

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الطعن ، وحده ، والنزال!

*

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له إذا لم يكن في فعله والخلائق!



هذا جناه ابي علي وما جنيت علي أحد

المعري ، المفكر الذي يمثل الذهن الانساني ، في اوسع حقوله
المعري ، ذلك الفنان الذي رسم لنفسه وللمجتمع صورة حية مثلت في
الوقت نفسه خصائص فنه وادبه وعبقريته .
اذن لنلتبس هذه الصورة فيما انشد المعري من شعر ، وفيما اطلق من
اراء .

سأبدأ دراستي لهذا الفنان ... وانا اعتبر المعري فنانا، سأبدأ دراستي من
حيث انتهى هو ، او من حيث اعتبرنا نحن انه انتهى .

هذا جناه ابي علي وما جنيت على احد .

هذا ما اوصى ان يكتب على قبره .

ولكن ما هي الجناية التي ساقها عبد الله بن سليمان بن محمد
بن داود على والده ، حتى يتوجب هذه التهمة يلصقها به ولده
وفلذة كبده .

لي هنا بعض الرأي يخالف الكثير من الاراء وهو :

اجل ، لقد جنى عبدالله على والده . لقد جنى المعرفة ، اوليست
المعرفة جناية لمثل المعري ، اوليست المعرفة كسجن رهيب لنفس
حساسة ، ولقلب كبير ، وعقل لا يهدأ ولا يستقر إلا وقد
بلغ مرحلة لا تستوي عندها كل العقول ؟

المعرفة جناية لأنها تشقي صاحبها . ليس هذا حق ؟

ولد ابو العلاء بن عبد الله ... نهار الجمعة ٢٧ ربيع الاول
٣٦٣ هجرية الموافق ٢٦ كانون الاول ٩٧٣ ميلادية ، من اسرة
قديمة عريقة ينتهي نسبها الى قبيلة قضاة ثم الى قحطان ، التي هاجرت
الى سوريا فيمن هاجر من القبائل العربية حيث استوطنت المعرفة ،
او معرة النعمان ، وهي مدينة من المدن السورية واعمال حلب تقع على
٨٤ كلم من الجنوب الغربي لها ، وعلى نحو من ٦٠ كلم من

شمال مدينة حماه .

وللمعزة تاريخ حافل قاست خلاله هذه المدينة الكثير من المصاعب والحوادث ، من الحروب والكوارث التي طمت اكثر معالمها وحت اكثر آثارها .

ولسنا هنا في معرض الحديث عن تاريخ هذه المدينة ، ولكن هذه المدينة قد اخذت تحتل مكانها في عالم الشهرة من حين ظهور المعري فاصبحت محجة للمعرفة وكمية لأهل الأدب والفلسفة ، حتى بعد وفاة المعري برقت طويل عملت الحكومة ورجال الادب واهل الفكر على تقديس ذكرى وفاته فاقامت الاحتفالات التذكارية العديدة ، واخرجت الصحف والمجلات الاعداد الخاصة الحافلة عن حياته وفنه وادبه وفلسفته .

واذا كان قد وقف على قبر المعري حين وفاته الموافق نهار الجمعة في ٢٠ ايار سنة ١٠٥٧ م بعد مرض لم يمهله اكثر من ثلاثة ايام ، اذا كان قد وقف على قبره نحو من اربعين شاعراً يرثون فيه العبقرية والنبوغ والمعرفة والجرأة ، فلقد كرس الكثير من الجرائد والكتب والابحاث من عربية وغيرها لدراسة ثمار تلك العبقرية الفذة ، وتلك الذاكرة العجيبة ، والذكاء الحاد والشخصية الفريدة الجريئة في عالمها .

ان هذا يدل على ان موت الرجل لم ينه امره ، بل سيستمر هذا الامر مع الزمن ما دام هنالك تطلع نحو جلاء الاسرار التي اكتنفت الكثير من المسائل التي تتناول حياتنا وتترك علامات استفهام ضخمة عند التساؤل عن اسرار وجودنا .

ولكن ما علاقة المعري بالوجود والحياة وما وراء الطبيعة ، حتى يقرن اسمه دائماً عند البحث بمثل هذه المسائل ؟

وكيف اضحى ذلك الاسم يذكر ويردد ويستشهد به عند البحث في مشاكل الدهر وحوادث الايام ، ما ظهر منها وما خفي .
واذا كان الامر كذلك فما هي خصائص تلك الشخصية ، وما هي العوامل التي تكاثفت على توجيهها هذه الوجهة التي انتهت اليها .
الواقع ان للعوامل التي تتكاثف لتكوين شخصية كشخصية المعري اثر لا بد ان يبرز وان يقوي ويقرر فيما يتعلق بنظرة صاحبه الى الناس ، ثم في توجيه افكاره ، واطلاق معتقداته والعامل الشخصي هنا واضح بارز ، في افكار الرجل فليس كالمعري الا ما ندر اتفقت افكارهم مع واقع حياتهم ، وليس كالمعري اتصلت حياته بأفكاره وشخصه اتصالاً وثيقاً ، كما سنتبين ذلك
كما انه للعامل الخارجي خطوط بارزة في حياة الرجل وفنه وفلسفته ، اذن لم يعد لنا وعلينا إلا ان نعرف ما هي العوامل التي عملت على تكوين هذه الشخصية الفريدة ؟

العمى

اني احمد الله على العمى ، كما يحمد غيري على البصر

هل صحيح ان المعري كان سعيداً في عماء ؟

اجيب : بلا . اليس هو القائل :

وكم اشتكت اشفار عين مُسهداً

وشفاؤها مما ألمَّ اشفار

واطالما صارت ليلاً عاتماً فتى يكون الصبح والاسفار

وفي مكان آخر :

عمى العين يتلوه عمي الدين والهوى فليتي القصوى ثلاث ليالي

ثم يقول ايضا :

وما بسي طرف للمسير ولا السرى

لأنني ضير لا تضيء لي الطُرق

هل تلمس هذا التحرق ؟

هل يكون صاحب هذه الحشرات قد قنع بما قسم له
من ان يكون فاقد البصر ابد الدهر دونما حسرة ولا عبوة ؟ انا
لا اعتقد هذا .

ولكن تظاهره بالرضى والقناعة في سياق شعره في بعض
الاحيان لم يكن سوى مظهراً من مظاهر التجلد والتعزي .
ومهما يمكن من امر فان عمى المعري من الاسباب الرئيسية التي
وجهت حياته ، ثم نظرته الى الحياة والناس ، هذه النظرة التي
تقوم على دعائم الشك والتشاؤم والحيرة .

فاذا قلنا ان الصبي دهمه العمى وهو في الرابعة من عمره
ولم يعرف من الالوان الاحمر لانه ألبس ثوباً معصفاً اثناء
مرضه بالجدري ، لتبين لنا هذا النقص الفاضح في تلمس الجمال والتمتع
بما في الحياة من روائع الحسن .

ثم ، فان مرضه لم يتركه رفيق العصا فحسب ، ولكنه
ارفق الظلام بتشويها فظيماً بغيضاً الى نفس صاحبه وكرهها في نظر
من شاهده .

ولكن هل العمى وحده وجه المعري الى هذه الطريق الفريدة
نوعاً ما بالنسبة لغيره من الذين كتب عليهم الحرمان من نعمة البصر ؟
الجواب على هذا . لا .

اذ اننا في كثير من الاحيان ما نرى العميان قد اندمجوا في

الحياة فنالوا منها ما نال غيرهم وقاسوا منها ما قاس غيرهم ، ولم يقذف بهم عماهم الى احضان الوحدة الموحجة . . . او المقنعة ، لست ادري .

إذاً لقد كان العمى بالنسبة للمعري نقطة انطلاق صادفت نفساً دقيقة الحس ، وقلباً مرهف الشعور ، وعقلاً دائم التأمل ، فاذا بهؤلاء جميعاً ، النفس ، والقلب ، والعقل ، بل وجميع المشاعر والجوارح لدى المعري تتأرجح طويلاً ، وهي تفتش عن السر في هذه المصيبة القاسية التي بلت بها دون غيرها . ثم عن العبرة من كل هذا ؟

واذا كان الصبي قد رافق الحيرة في هذا الامر في مستهل شبابه فلقد حاول اهله ان يغرسوا في نفسه العمل في الانتصار على هذه الكارثة التي ابتلي بها ، فشمله والده بعطفه واعدقت عليه امه من حنانها ما جعل الصبي يأنس الى الحياة محاولاً الاندماج فيها ، وتقضية وقته كواحد من هؤلاء الذين تضيق بهم الحياة نفسها .

وكأنما الحياة قد ضاقت ذرعاً بهذا الدخيل عليها ، وهي التي ارادت له حياة تختلف عن حياة الآخرين . وكأنما عز عليها ان يتحدى ارادتها فاذا بها تقذفه بسهم آخر من سهامها السامة عندما افقدته المنهل العذب الذي كان يستمد منه المعونة والعطف والمساعدة .

لقد حرمته الحياة اذن المعين المادي والروحي والعقلي ، والده وحنانه ايضاً ، والمدافع عن ضعفه . وكان الفتى لم يبلغ الرابعة عشر من عمره بعد ، فعززت هذه الكارثة الجديدة فكرة انعزاله عن الحياة اذ تركت وفاة والده فراغاً مريراً في حياته وراح يشكو ألمه ويرثي والده

بهذه القصيدة التي مطلعها :

نقمت الرضا حتى على ضاحك المزن فلا جادني الا عبوس على الدجن

والتي يقول فيها ايضاً

ونادبة في مسمعي كل قينة تغرد باللحن البري ، من اللحن

وهذه القصيدة تظهر لنا ميزة في شعر المعري او فيما قال من الشعر في سقط الزند ، وهو ان الفتى يحاول ان يحاكي الشعراء الفحول ، ويعمل على اظهار مقدرته على النظم حتى انت مرثيته هذه خالية نوعاً ما من التأثر والتفجع الذي يجب ان يكون عادة في شعر الراثي لوالده :

ونلاحظ هنا ايضاً خاصية اخرى ظهرت فيما بعد ظهوراً واضحاً في شعره ، هذه الظاهرة هي شكه في مصير الناس بعد الموت :

طلبت يقيناً من جهينة عنهم ولم تخبريني يا جهين سوي الظن

اذن فالحياة لم تهادن الفتى حتى الآن ، بل انها تمنع في الاساءة اليه فلقد فقد الفتى كما ذكرت بفقده والده منهلاً روحياً وثقافياً ، كما فقد ايضاً العائن المادي على مطالب الحياة . ولم يكن موت والده ، إلا ليزيد من مشكلة شكه في العدل الإلهي ، ثم تضخمت تلك العلامات من الاستفهام في خياله وفكره عن الحياة والوجود ودور الانسان ، بل كل ما يتعلق بهذا الخلق المستضعف الضعيف . لماذا خلق الانسان ؟ الى اين مصيره ؟ ما العبرة من وجوده ؟

اسئلة عديدة ومختلطة حاول المعري ان يوضح ما غمض منها ، وسنرى مقدار توفيقه في هذه المحاولة .

فاذا كان الرجل قد خلف بعده ابناً عاجزاً ، ضريباً ، وحيداً

لكنه ترك معه ايضا الاطلاع الواسع على ثقافة عصره والعصور السابقة ، لقد غرس حب المعرفة في نفسه ... فدفعه هذا الحب الى ان يكون مستعداً ابداً لطلب العلم والسعي في طريق المعرفة . كل هذه العوامل رسمت لافتي طريقه فمن التراث العائلي ، الى الذاكرة القوية ، والذكاء النادر الى هذه العاهة التي تركت نفسه تتمزق في كل لحظة باحثاً عن العبرة في كل ما هي عليه .

هذه العوامل يضاف اليها عوامل اخرى رسمت للمعري المنهاج الذي سنتبينه في دراستنا الموجزة هذه .

اما ما هي العوامل الاخرى التي اتينا على ذكرها فلا بد لنا ايضا هنا من توضيح حالة عصر كما اتينا على ذلك عند دراستنا للمتبني . لقد كانت حالة عصر المتبني والمعري ايضا عاملا اساسيا في 'خلق المعري' ، ثم في حياته العملية والفكرية .

ولست ابغي هنا ان اضع ترجمة لعصر المعري وهذا يستلزم كتابا خاصا ولكن لا بد ان نلم اماما عاما بأهم خصائص ذلك العصر من نواحيه الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والاخلاقية ، والادبية ، والعقلية ، والدينية ايضا ، وذلك عند محاسبة الرجل على ارائه وبنات افكاره نعذره اذا كان له من عذر ، وندينه عندما يفقد ذلك المسبب ، او العذر ...

فمن الوجهة السياسية ، لقد عاصر المعري ثلاثة من خلفاء بغداد ولكنه لم تكن للخلفاء سوى تلك الألفاظ الفارغة ، والالقاب الفضاضة ، كانوا يملكون ولكنهم لا يحكمون ، واذا جاز لنا ان نطلق اسم خليفة على من كان يتمتع بهذه المكانة لكان ملوك بني بويه احق بها من اولئك الضعفاء من بني العباس ، الذين يجلسون على عروش هي اشبه بالأعيب بين ايدي بني بويه وغيرهم من الجند والامراء والخدم والجواري .

ولقد كان عهد البويهيين من اسوأ العهود فيما يتعلق بالاخطار السياسية والاداري في بلاد العراق وفارس .
وفي اقاصي الشرق كانت الدولة السامانية في تجاري تنشر الاسلام ، وفي الاندلس ابتدأت الفتن والمطامع تنذر بالويل والتهور بعد موت عبد الرحمن الناصر

وفي مصر كانت الدولة الفاطمية تأخذ طريقها نحو العظمة السياسية ، فلقد امتد حكم الفاطميين من مصر الى الحجاز ثم الى الشام هذا فيما يتعلق بالعالم الاسلامي عامة . اما فيما يختص ببلاد الشام - سوريا - فسأتناول هنا امرها بالتفصيل نوعاً ما من حيث انها تهنا في دراسة المعري ثم تلقي بعض الاضواء على وضعنا القومي الذي يتخبط بعض ادبائنا وكتابنا عن التحدث عنه دون ان يلموا به اماما كافياً وهذا بعض نقص في مناهجنا الثقافي القومي .
لا يمكننا القول ان التغلب الحربي والعسكري في سوريا قد جعل منها بلاداً عربية خالصة .

لقد كانت ديار الشام - سورية - عند الفتح الاسلامي . أهلة بالسكان ، وهم اصحاب حضارة انحدرت اليهم من حوراني وغيره من مفكري الامة السورية ومن واقع حياتهم ومحيطهم كأمة اتصلت بأكثر أمم الارض المعروفة في تلك العصور ، فلذلك لم يكن من الممكن ان تفنى خصائص تلك الامة العريقة في الحضارة في هذا الفتح الجديد ، ولكنه يمكننا الاعتبار وهذا هو الواقع ان اكثر خصائص الفاتحين قد فُتيت واُضمحلت عندما وجدت نفسها وجهاً لوجه امام خصائص سكان البلاد السورية ، فلذلك ايضا لا يمكننا ان نعتبر اهل سوريا عرباً خالصاً ، وايكنهم امة لها خصائصها ولها اطوارها ، ولها حضارتها . حتى كانت ازمة ما بعد الفتح ازمة الاستقرار

وهنا لا يمكننا في الوقت نفسه ان نهمل دور الفاتح في الاختلاط
بسكان البلاد الاصليين ونشوء جيل جديد خليط ، ولكن هذا الاختلاط
لم يقدر له ان يطغى على حياة سوريا الاجتماعية الخاصة ، كما لم يستطع
ان يقضي على خصائص غيرها من الامم التي خضعت فوقها راية الاسلام
كالفرس ، والهنود ، وغيرهم ، ولكن نسبة الاختلاط بين السوريين
والعرب كانت اقوى واقرب واكثر انسجاماً من غيرها من
الشعوب .

قلنا ان الاختلاط ، فالجوار ، ثم الاشتراك في الاصل اوجد جيلاً
جديداً . وحصل هذا كما بينا بطبيعة الفتح ، وحكم الجوار ، ثم
تبادل المنافع .

واذا قلنا ان خلفاء المسلمين وقواد جيوشهم في اوائل الفتح لم
يكونوا ليسمحوا للجنود بالنزول الى المدن ، لتبين لنا ان هؤلاء
القواد كانوا يدركون ان جيوشهم سوف تفتن بهذه الحياة الجديدة على
جنودهم وسوف يندمج الجند بها لانها رائعة ومحبة ومثيرة . ولكن
خلفاء بني امية ضربوا عرض الحائط بهذا التقليد وسمحوا بالاختلاط
بل شجعوا عليه .

اذن نحن ازاء الجيل الجديد الذي كان نتيجة هذا الاختلاط
ولكن هذا الجيل لم يتسم بخصائص الصحراء والجزيرة التي خرج
منها الفاتحون . ما عدا ما يتعلق بالدين فمن المعروف ان الدين هو
الدين الاسلامي الذي اصبح دين الاكثوية الساحقة في دار سوريا ما عدا
بعض العناصر التي شملها الاسلام برعايته وتسامحه فبقيت على دينها .
اما فيما يتعلق بخلاف هذا من نواحي الحياة فنقد تميز هذا
الجيل ومن اتى بعده بخصائص البيئة التي نشأ فيها ، وتامس الجمال
في طبيعتها والخير والبركة في اهلها وارضها .

من ذلك ، فالفلسفة التي نشأت في الهلال الحبيب - سورية - والادب الذي تزعرع في ربوع هذه الطبيعة المعطاءة الحيرة لا يمكننا ان نشبهه ابداً بما بين ايدينا من شعر البدواة ، ثم نظرتهم الى الحياة قبل فتح سورية .

اذن ، لقد كونت الحياة العقلية هذه الاجيال التي نشأت عن هذا الاختلاط .

ومن خضم هذه الحياة الدائبة الحركة اخذ المعري مادته . وفي اعتقادي ان المعري لو نشأ في الحجاز مثلاً بعيداً عن هذه الحياة العقلية والدينية والاجتماعية الحافلة ، لأختلفت نظرتة الى الحياة ، والى الاديان ، والى المعتقدات ، ثم الى الناس بأسرهم .

واذا كان عصر المعري قد شاهد انقسام الاممة الواحدة الى دويلات ، لكل منها مصالح خاصة تسيورها التأثيرات السياسية ، والتشكيلات الاقليمية ، والمصالح الشخصية التي لم ينظر فيها الى مصلحة البلاد العليا ، اذا كان كل هذا قد حصل فعلاً ، فكثيراً ما تفرق الأحداث السياسية الامم كما هو الحال في امتنا اليوم وكثيراً ما يتحكم بعض الاشخاص في مرافق الاممة الواحدة فيعملون على تفريقها ، إن بوحى من مصالحهم الخاصة ، او من وازع اجنبي تتضارب مصالحه واتفاق كلمة هذه الاممة ووحدتها .

ولكن هذا لا يدوم فأدراك ابناء الامم لواقع حياتهم ، وحقيقة امهم لا بد من ان يجمع الكلمة ولا بد من ان يسود الاجتماع بعد التفسخ ، وزوال العوارض السياسية الزمنية ثم التيارات الداخلية الخاصة .

ونعود الى شاعرنا او فيلسوفنا وناقدا المعري لنؤكد انه عاش في خضم هذه البيئة وفي هذا العصر الذي فسدت فيه الحياة السياسية

وانحطت فيه القيم الاخلاقية ثم تحطمت الموازين الاقتصادية امام جشع المسيطرين على مرافق البلاد .

في تلك الأثناء . وبينما كانت بلاد الشام تضرب يوماً بين ايدي الحمدانيين ، وآخر بين ايدي الفاطميين ، وتارة في متناول الروم ، ثم طوراً في ايدي بني مرداس ، وفي خضم هذه التيارات الداخلية والخارجية حيث كثرت المفاسد والشرور ، نشأ المعري وعاش واختبر مر الحياة وشرها . ولم تداعب شعره نسمة خير واحدة في سعي هذه الرياح المجنونة .

واذا كانت حالة العصر السياسية ، والاجتماعية ، والدينية سيئة جداً ، فان الحياة الادبية والعقلية كانت بالعكس راقية زاهية ، اتت ثمارها ناضجة طيبة . وما نقوله عن الحياة الادبية والعقلية نقوله بصفة خاصة عن الحياة الفلسفية .

فلقد كانت حضارات اليونان ، والفرس ، والهند تترجم الى العربية ثم نشط المسلمون في الرد على المسائل التي اعترضت عقيدتهم من جراء هذه المذاهب التي عرفت لها لغتهم ، فنشأ اخوان الصفاء وغيرهم من الجمعيات والمذاهب كالمعتزلة ، ثم برزت طبقة الفلاسفة الذين توسعوا في معالجة امور الناس وما خفي عن الابصار في عالم الغيب .

في ذلك العصر نشأ التفكير الحر فحكم على اكثر الفلاسفة بالألحاد لانهم جحدوا امورا كثيرة اقرها الدين ، وسجد ان المعري كان احدى دعائم هذا التفكير .

اذن فالمعري معاصر للأفكار الحرة الطليقة ، ولما كان ذكياً ينشد المعرفة . ويطلب الحقيقة وهو طليق حر فلقد ارتسمت امامه تلك العلامات الكبرى من الاستفهام عن وجود الانسان ومصيره

وفساده . وكان لا بد له من ان يلم المأمأ كافيأ بعالم عصره ،
ومعارف وقته ، وما سلفه من عصور ، فلذا هاجر طالبأ للعلم وناشداً
للمعرفة ،

بعد هذه المرحلة الحافلة بالمصائب والصعوبات .
هذا كما بينا فيما يتعلق برافق الحيامن الوجهة العامة ونزید
على ما ذكرنا من الوجهة الادبية ، اذ انه لا بد لنا من ملاحظة
ظاهرة سيكون لنا معها شأنأ هامأ خلال هذه الدراسة .

اما هذه الظاهرة فهي انتشار الفلسفة انتشارأ واسعأ ومفصلاً
فأن انتشار العلوم الفلسفية ، ثم دراسة الشعراء لها واهتمامهم بها
وادخالها في انتاجهم قد اثر تأثيرأ كبيرأ في الشعر بصورة عامة ،
ثم في الفاظه ومعانيه بصورة خاصة اذ انه قد استحدثت الالفاظ
الجديدة التي تتناسب مع ما جاء في تلك المذاهب المتباينة المتعددة
وهذا التأثير ادى عند البعض الى الأيأام في بعض الاحيان ، ثم
التعقيد ايضاً ، واصبح فهم الشعر صعب المنال لجميع الفئات ، بل اقتصر
في بعض الاحيان على فئة خاصة .

ثم هذه الالغاز التي استعملت لاختفاء بعض الاغراض والمعاني
والاهداف التي لم تكن مشروعة في ذلك الوقت . بل كانت تتجه
اتجأهاأ خاصأ يتنافى والعرف الديني والسياسي والاجتماعي المعروف
والمعتمد .

اذأ نحن تجأه المذهب الشعري الحديث الذي لم يكن معروفأ
المعرفة الكافية ، ألا وهو الشعر الفلسفي ،

نحن لا ننكر ان هذا الفن كان معروفأ لدى العرب الاقدمين
امثال زهير وغيرهم ، ولكنه لم يبلغ ما بلغ ايام المعري من العناية
والخصب . بل لم يبلغ الشيء اليسير الذي اضحى عليه على ايدي

المعري وغيره من الشعراء والفلاسفة
اذ ان المعري جسد كل عبقريته في سبيل هذا الفن ، يضاف الى
جانب ذلك اتفاقا من المعري وادباء عصره على استخلاص الطريف
من المعاني والصحيح منها ، ثم هذا الخيال الجامع زد على ذلك الانسجام
التام بين متطلبات العلم من جهة والشعر الحر الطليق من جهة اخرى .
هذه الظواهر كان المعري من انصارها بل واضع الحجر
الاساسي في بنائها .

كيف وصل المعري الى ان يكون ذلك الرجل ؟

لقد اختار المعري بنفسه طريقه ، او خطط له القدر هذا الطريق ،
فما عليه إلا اتقان الاندماج في الحياة العقلية ومعرفة اصولها والاطلاع
على آداب عصره ، والفلسفة المتداولة ، والنظريات الشائعة في ذلك العصر
ويقيني ان المعري بعد ان حذق اللغة على يد والده وغيره من اهل
المعرفة فـكر ان هذا المحيط الضيق الذي يعيش فيه لا يمكن ان
يشبع رغبته في الدرس والتحصيل اذا لم يعد عليه الا توسيع هذا الافق .
ورحل المعري في طريقه الى حلب يطلب المعرفة ، وينشد
الحقيقة في اکتال الاطلاع واتساع نطاقه ، وقراً هناك النحو
والأدب ثم اليسير من الفلسفة .

ومن المعتقد ان المعري كان يقيم عند اخواله آل سبيكة ، وهي
اسرة عرفت بالادب والوجاهة في تلمك المدينة ، ولكن اقامته في حلب
كانت قصيرة اذ سرعان ما رحل عنها في طريقه الى انطاكية ومن انطاكية
انتقل الى اللاذقية . ولقد اشبعت هذه الرحلة نهم المعري في الدراسة
والاطلاع ووضعت اكثر من حجر في بناء مذهبه الفلسفي اذ انه
قد لقي في هاتين المدينتين رهبان النصارى ، وبعض مفكرهم لأن
انطاكية واللاذقية كانتا وقتئذ من مراكز النصارى الدينية - قلت لقي في

هاتين المدينتين بعض مفكري النصارى ، وهذا اللقاء سمح له بالأطلاع على الديانة المسيحية وفلسفة اللاهوت .

اما احدى هذه الاحجار التي ساهمت رحلة انطاكية واللاذقية في ايجادها هي اللادرية ، اذ ان اطلأه على دياناا غير الدين الاسلامي وفلسفات تناهض الدين في مسائل عديدة ، من العوامل التي زعزعت الايمان التقليدي في نفسه ، فلنسمع بهذه الابات ولناحظ مقدار هذه الحيرة ... والادرية .

في اللاذقية فتنة ما بين احمد والمسيح

هذا بناقوس يدق وذاك بمأذنة يصيح

كل يمجّد دينه يا ليت شعري ما الصحيح

انا ارى ان المعري لم يكن حائراً او لادرياً فحسب ، بل كان ساخرأ وناقماً ، انه ينشد الحقيقة ، بين اقوام وعقائد متعددة كل منها يدعى الحقيقة لنفسه ، ولكن الحقيقة لم تنشر بينهم السلام والأمن بل ذرت بينهم الفساد والشقاق ، هذه حقيقتهم ، اذاً فليفتش هو بنفسه عن الحقيقة الصحيحة ، انه انسان مسالم ، انسان مترفع عن العواطف ليس له من امام سوى العقل .

وترك المعري اللاذقية بعد انطاكية في طريقه الى طرابلس ، وهناك عاش ردمأ من الزمن في مكتبتها الكبرى يغترف من مختلف العلوم والفنون ، ما قدر له ذلك ثم عاد بعد هذه الرحلة الى المعرفة وكان كما ذكرنا قد فقد ركناً من اركان راحته واطمئنانه بفقده لوالده .

عاش المعري في بلدته بين سنة ٣٨٣ حتى ٣٩٨ ومن المرجح انه حاول ان يتغلب على مصائب الحياة وما تركت في نفسه من

الأسى والألم فجالس الظرفاء ، وتعرف الى فنون الهزل والجد ، ويقال انه كان من امهر من لعب الشطرنج ، ويقال ان طريقة معيشته ويومياته في ذلك الحين كانت غامضة حتى انه كان يقول : « ان العمى عورة فيجب الا يظهر الناس عليه » ومن ذاك انه اضحى يجب الاستتار ، فلقد كان يأكل دون ان يسمح لخدمته ان يشاهده اثناء ذلك . وهذا عندنا دليل من الأدلة على الحذر والحيلة ، ثم الخوف من السنة الناس وملاحظاتهم الذين اخذت اسباب الحياة تبعد بينه وبينهم . ومن المؤكد ان المعري كان يقول الشعر في ذلك الوقت ، فتلك النفس لا بد من ان تجيش بشيء من العواطف والانطباعات فتنشدها شعراً خالصاً يعبر عن هذه العواطف . ويؤكد هذا انه عند رحيله الى بغداد فيما بعد لم يكن مجهولاً ولا مغموراً في اوساط الادب والشعر ، والملاحظ ان هذه الحياة الرتيبة التي كان يعيشها في المعرة لم ترق له ، فلذلك فضل ان يرحل الى ديار العلم ، ومنهل الادب والفلسفة وهل تكون صاحبة هذه المرتبة سوى بغداد . ويقال ان هناك الاسباب العديدة التي جعلته يتوكل المعرة الى بغداد ومنها انه ترك المعرة ليشكو صاحب حلب على سوء معاملته له بعد ان تعرض لما في يده من الوقف ، وفي رأي ان جميع هذه العوامل اجتمعت لتجعل المعري يشد الرحال في طريقه الى بغداد .

واذا لم تكن بغداد المرجع السياسي والعاصمة الزمنية بالمعنى الصحيح في تلك الحقبة من الزمن ، فقد كانت العاصمة الادبية دون منازع ، وكانت الهدف الذي لا يجاريه مسعاً آخر لمن ينشد المعرفة الشاملة ، والشهرة الواسعة .

واذا قلنا ان المعري لم يتنكر حتى الآن للحياة بل يسمى

ويحاول الانتصار على ما اعترض سبيله من عقبات لامكننا اذا ان
نقول ان وراء رحلته الى بغداد طلب الشهرة والجاه والمال ايضا .
اذاً لقد غادر المعري بلده المتواضعة في اواخر ٣٩٨ في طريقه
الى عالم جديد لا عهد له به من قبل ، بعد ان ودع امه تلك الام
الحنون التي كانت له اليد الرقيقة الكريمة . والتي اعانتته على النضال
والتجاذ والتشجع . ثم هنالك كما اعتقد الهدف البعيد في اعماق نفس
المعري كما سنلاحظ ، هو رغبته باحتلال مكانته في عالم الادب ،
وتأكيد تفوقه وتميزه ، وانتصاره على كوارث الحياة ، كي يعوض
عما يشعر به من نقص في تفكيره . ولم يكن المعري في ذلك
الوقت كما سيكونه فيما بعد ذلك الزاهد الساخر ، بل كان حينئذ
رجلا غير هذا تماما ، ليس هو القائل :

وقد سار ذكرى في البلاد فمن لهم

باخضاء شمس ضوءها متكامل

واني وان كنت الاخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل
الى ان يقول .

وطال اعترافي بالزمان وصرفه فلست ابالي من تقول الفوائل

فلو بان عضدي وتأسف منكبي ولومات زندي ما بكته الانامل

اذاً لقد خرج المعري الى بغداد بروح وثابة فيها رغبة
التفوق ، وفيها الكبرياء وفيها الشجاعة ، ثم فيها التعزي والسوى
عن هذه الحياة الرتيبة التي يعيشها ، والى جانب هذا النضال عن
نفسه والدفاع عنها انه ينبغي مكاناً لائقاً تحت الشمس .

نعم لم تكن للوحدة من وجود في تفكيره ، ولم يكن للزهد

من مكان في نفسه ، ولو كان ذلك لما رحل الى بغداد .
ووصل المعري الى بغداد بعد رحلة شاقة قاسية ، ولكنه اوليست
حياته بأسرها رحلة طويلة شاقة ، ومع هذا وصل بغداد نجماً متألقاً في
عالم الادب ، واتصل بالناس واتصلوا به . وعرف الادباء وعرفوه
واحبه اهلها واحبهم ، وعاشر ادباءها وفلاسفتها وسمع منهم وسمعوا
منه ، ودق بيديه باب الشهرة ، وفي نظري انه تاه عظمة وكبرياء
وفي هذه القصة الطريفة نبين مدى اعتداد المعري آنذاك : قيل انه
دخل على مجلس الشريف الرضي ببغداد فعثر برجل فقال الرجل :
- من هذا الكلب ؟

فاجاب المعري :

الكلب من لا يعرف للكلاب سبعين اسماً
ان في هذه الرواية مقدار رغبة الرجل في النضال وتحدي الناس .
ثم هذه الرغبة الجارحة في المعاندة للدنيا والايام .
ولكن الايام عادت تسخر منه وتعانده ، انه لم يخلق لكي
يكون انساناً يفتاً ، فهو يقول عن نفسه :
انساني الولادة وحشي الغريزة .

ويبدو ان المعري لم يصمت في بغداد بل جادل واقتحم الجوامع
ثم قال الشعر ، واشعاره هذه موجودة في سقط الزند . ولننظر هذه
امثلة من شعره وهو في بغداد :

تمنيت ان الحمر حلت لنشوة تجهلني كيف اطمأنت بي الحال
فأذهل اني بالعراق علي شفاً رزي الاماني لا انيس ولا مال
إلى ان يقول :

سيطلبني رزقي الذي لو طلبته لما زاد والدنيا حظوظ وإقبال

انظر كيف كان يتوجع ويتألم من الناس ومن الاماني المحطمة .
ثم من الناس ايضا الذين يحسدونه على علمه ومكانته .
ولا بد لي هنا ، من ان اشير الى حادثة تناولها الكثير من
الذين كتبوا عن المعري اما هذه الحادثة التي قيل ان المعري ترك
بغداد بسببها او انها كانت من الاسباب التي جعلت المعري يستعجل
الرحيل عن بغداد فهي قصة طرده من مجلس الشريف الرضي اثر
تلك المناقشة التي دارت بين الرجلين حول المتنبي .

انني ارى ما رآه الاستاذ طه الراوي وما اثنى عليه الدكتور زكي مبارك
من ان هذه القصة غير صحيحة ، ومن ذلك ان المعري رثى والده
الشريف بهذه القصيدة التي مطلعها :

أودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف وعنبر المستاف
وفي هذه القصيدة يثني المعري على كل من الشريف الرضي
وشقيقه المرتضي ايضا .

ابقيت فينا كوكبين سناهما في الصبح والظلماء ليس بخاف
فلو اعتبرنا ان المعري رثى الموسوي ، اي والد الشريف - قبل
هذه الحادثة المزعومة لكان ادب الشريف وكرامة مجلسه ثم
مبادئ الوداد والاخلاص لرجل كنقيب للطالبين من جهة - جعله لا يتعرض
لرجل رثى والده ومدحه هو وشقيقه - ثم عليه احترام عاهته من جهة
اخرى . والافتراض الثاني ، لو كانت هذه الحادثة حصلت قبل موت
الموسوي لما اقدم المعري على رثائه ، ثم علي مدح الذي اهانه وطرده
من مجلسه فلذا تجدني لا اصدق هذه القصة . كما انني ادعوك انت ان لا
تصدقها .

لقد حاول المعري ان يطيل اقامته في بغداد اذ ان الحياة

العقلية والعملية في بغداد كانت تؤمن له غير قليل من المتعة ، وكانت حفاوة اهل بغداد به تحببهم اليه .

ولكن الدهر الذي كان قد امعن في ايذائه والاساءة اليه منذ الصغر لم يرغب ان تطول هذه الغفوة الهائلة ، فاذا بالاخبار تفقد من المعرة ان امه مريضة ، اذا لم يكن من بد إلا ان يشد رحاله الى المعرة .

اثارني عنكم امران والدة لم القها وثناء غير مسفوتا هذان سبيان وجيهان الرحيل ، ولكن هنالك الأسباب العديدة التي جعلت المعري يعجل بالرحيل ، منها انه لم يقدر له ان يعوض عن النقص الذي كان يحس به ، فلقد كثر حساده وكثرت سخريتهم ، والمعري كما نرى قليل الجلد على مصارعة الناس ، ومقارعة الخطوب ، وفي اعتقادي انه لو ترك بغداد من اجل والدته او من اجل المال لعاد اليها لأن اكثر الشعراء كانوا يعيشون برحاء في بغداد .

اذا لقد كان رحيله عن بغداد قد قرر فأتى خبر مرض والدته ووفاتها يستعجل هذا الرحيل .

وعاد الرجل متعب الى بيته في المعرة ، واجكن ماذا وجد؟ وجد الظلام ، وظل الموت يحتم على صدر هذا البيت ، ان كان للبيوت صدور ، لقد ماتت والدته قبل ان يصل الى المعرة .

تفجع ابو العلاء على امه ما شاء له التفجع :

رحمك الله من ساكنة رمس اصبحت حياتك كأمس

لقد تمت المأساة ، ولم تكن هذه المرحلة من الاعتقاد بمهادنة الدهر له ثم التغلب على الاحداث سوى غفوة استيقظ الرجل منها واعصابه مرهقة ، وعقله مجهد ، ونفسه قد عافت هذه المظاهر ، عندئذ

وضع منهاجاً للحد من هذا النضال مع حياة لا طائل في مناهضتها ،
وسيبقى ابد الدهر لا يقتصر حزنه على والدته فحسب بل سيبقى
هو نفسه رفيق هذا الحزن العميق على نفسه ايضاً :

فان ينقطع منك الرجاء فإنه سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر
واضحى وقد شملته هذه الوحدة يتحسر على ايام بغداد :

يا لهف نفسي على اني رجعت الى

هذي البلاد وقد فارقت بغداد

ومنذ ذلك الوقت ، بعد هذا الفشل الذريع مني به ، لزم المعري
سجنه بل سجونته :

اراني في الثلاثة من سجونني فلا تسأل عن النبأ النبئث
لتقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الحبث
ترى كيف كانت حياة المعري في هذه السجون ؟ ما هو دور هذه
السجون في فلسفة المعري وخاصة سجنه الاخيرة ؟ سنحاول ان
نتبين ذلك في هذه الصفحات القليلة .

لقد كتب المعري لنفسه ان تمرب من الناس وتنشد في وحدتها
ما لم تجده بينهم من الراحة ، والاستقرار والاطمئنان ، بعد ان
سئمت الحياة الزاخرة بالرياء والفساد ، ثم هؤلاء البشر الذين تتراكم في
صدورهم عوامل الغش والخداع .

انها الوحدة ، الوحدة وحدها تحل مشكلته :

في الوحدة الراحة العظمى فأخى بها

قلباً وفي الكون بين الناس اثقال

ولكي يكون الانسان معتصماً بالوحدة عليه ان يتخلى عن الكثير من مطالب الحياة التي تقرها الصلة الاجتماعية . عليه ان يقنع بما هو فيه ، فلذا قنع المعري بما يأتيه من وقف يدر عليه القليل من الدنانير في السنة ، ومقتسماً لهذا القليل ايضاً مع خادمه . الحمد لله لقد اصبحت ذا دعة ارضى القليل ، ولا اهتم بالقوت ومشكاه الوحيد ايضاً ، انه يكون قد فقد الوفاء ، والصدق ، والاخلاص حتى يبتعد عن الناس بعد ان يكون قد نفذ يده من وجود من يتنسم فيهم الاخلاص الصحيح ، والصدقة الحقة ، انه القلب ، القلب الذي حرم من قطرات الحنان والحنو .

وما تحسن الايام ان ترزق الفقى وان كان ذا حظ صديقاً يوافقه يضاحك خل خله وضميره عبوس وضاع الود لولا مرافقه ارأيت اين يذهب المعري ، انه يتهم الضائر بالرباء وعدم النقاء . ولكن هل بقي المعري في الحقيقة رفيق وحدته التي طالما ارادها لنفسه ، كلا . لم يستمر الرجل رهين هذه الوحدة وقتاً طويلاً ، بل ان الشعراء والادباء والطلاب تقاطرت على سجنه من اكثر الاقطار الاسلامية كلها انت الى هذا المنهل تنهل منه العلم والعرفان ، وتدرس هذه الصوفية الهادئة ، الثائرة ، الهازئة ، الجادة .

الهادئة بهذه الحياة اللينة اللطيفة الساكنة ، والثائرة بهذه الافكار العنيفة التي تجلو وتكشف عن حقائق النفوس ، ونخايا الصدور . ثم تجتمع كي تتناول الى معرفة مصدرها ... ومصيرها . لقد توفرت عوامل عديدة كي تدفع بالمعري الى ان يتفلسف

فهو الذي فطر على البحث والاستطلاع ، وهو الذي كره رياء هؤلاء الناس وتقليدهم ، ووجدانهم على ضلال من حيث لا يفقهون .
إذا لم يكن منه إلا أن خالفهم في حياتهم العملية والعقلية فهو الذي اعتزل الناس ومشاربهم وتقليدهم المقيت ... وتجور من العادات والتقاليد التي تغل تطلع النفوس نحو التحرر والانعتاق ، ثم وضع هذه النفس بين يدي العامل الذي لا يقيم للتقليد اعتباراً ولا للعادة مقاماً ، بين يدي العقل .

ولقد خضع المعري الى سلطة العقل لاسباب قاهرة ، اجبرته على ذلك متكاتفة ، وجعلت منه انساناً مرهف الاحساس بعد ان ابتلته الحياة بالمصائب والآلام . ثم هذه الحياة الاجتماعية التي كانت سيئة الى ابعد حدود سوء ، وهذه الاحداث من سياسية الى اقتصادية الى دينية والتي قدمنا بايجاز وصفها وتعريفها في مستهل هذا البحث . وهذه الحياة المثيرة ، هذه الحياة القلقة ، ثم طبيعته وغميزته الوحشية كما عرفها هو جعلت منه قلقاً حذراً ثم تطور هذا الحذر وذاك القلق بعد ان رافقتها نفسية الباحث ، المحب لمعرفة الحقائق كي يمكن له تحليلها التعليل الصحيح ، كل هذه العوامل ساهمت في ان يكون باحثاً ومنقباً عن الاسباب والعوامل التي تدفع بالناس الى كل هذه الاعمال . التي تدفع بهم إلى سلوك طريق الاعوجاج .

وتطلع المعري ليجد الفساد يشمل اكثر مرافق الحياة ، ففي السياسة استغلال ، وانتقام ، وظلم من رجال فطروا على الجشع والانانية يتصون دماء الضعفاء والفقراء :

مُلّ المقام فكم أعاشر أمة امرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجاروا كيدها فعثروا مصالحها وهم أجراؤها

أما من اين تناول المعري هذه الصور ، وهذه المادة ؟ فانه تناولها من الحياة نفسها . لقد كان المعري منقياً ودارساً ، ومستقصياً ، اطلع على الفلسفات القديمة ، ثم درس الاديان كما تقدم عندما وصل الى انطاكية واللاذقية وبغداد وغيرهما كما اطلع على المذاهب السياسية في زمنه وفي الأزمنة السابقة .

ننتقل من هذه الراوية من حياة المعري ورائته الى نقطة هامة في بناء فلسفته ، وذلك عندما نظرق القاعدة التي قامت عليها الفلسفة العلائية ، وعند معرفتنا لهذه الفلسفة يمكننا ان نتلمس معرفة فيما اذا كان المعري قد خالف شرائع الاسلام ام انه بقي محافظاً على ما اتت به الشريعة ، ومقرأ لها .

الواقع ان المعري اعتمد العقل طريقه الى المعرفة فأقر ما اقره العقل ، وكذب ما كذبه ، ولم يتأثر فيما لو انهم مخالفة المعتقدات الدينية التي قد تعترض سبيل العقل ، وبمعنى اوسع حيث يقدم الشرع على العقل .

فالمعري شديد الوثوق من قدرة العقل في الحكم على الحياة ومن انه المقياس الصحيح للمعرفة والعلم . وهذه لزومياته تنطق في اكثر من مناسبة واحدة بايمان الرجل بالعقل ايماناً مطلقاً لا جدل فيه .

سأتبع من يدعوا إلى العقل جاهداً

وأرحل عنها ما امامي سوى عقلي

ثم انظر كيف يكذب كل عامل سوى العامل العقلي .

كذب الظن لا إمام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء

فاذا ما اطعته جلب الرحمة عند المسير والارساء
لقد اطاع المعري عقله ، فالى اين قاداته هذه الطاعة وهل جلبت
له الرحمة التي يدعي والتي ينشد ؟

انا لا اعتقد ان عقل المعري جلب لنفسه الرحمة والطمأنينة
والراحة ، ولو آمن ايماناً مطلقاً بكل هذه المذاهب والاراء التي شك
بها لكانت له الرحمة والراحة عندئذ ، اما عقله فلم يقده إلا الى
الشك والقلق والحيرة ، فأين راحة الايمان ورحمته من رجل يقول .

وانما نحن في ضلال وتعليل فان كنت ذا يقين فهاتمه
وهذه الحيرة الموجعة .

ينخبرونك عن رب العلي كذباً وما درى بشؤون الله انسان
فكيف عرف اذن المعري ربه ؟

لقد عاش فترة طويلة رفيق الحيرة والشك . هل الله موجود
ام غير ذلك ؟

ولقد حاول ان يجد تعليلاً كي يعيش في نعيم الراحة ،
نعم الايمان فوجد هذا :

فالهلل المنيف والبدر والفر قدو الصبح والشرى والماء
والشرى والشمس والشار والنثرة والارض والضحي والسماء
هذه كلها لربك ما عابك في قول ذلك الحكماء

انا اعتقد ان المعري كان مؤمناً بقوة غير منظورة ، تحرك هذا
العالم ، وتسيره الى غرض ما ، هذه القوة هي الله .

ولكن المعري مع اعترافه بوجود الله يتجاهل البحث في

صفاته ، ولكنه لا يسعه إلا ان يقول بأن الله قدير ، ومثال ذلك ما تقدم في الابيات التي ذكرناها عن بسط سلطته على الثريا والهلل والشمس والارض وغيرها من الكواكب ، والمعري ايضا موحد حين يقول :

بوحداية العلام دنا فذرني اقطع الايام وحدي
وكانما المعري لا يرغب ان يخوض في ماهية الله وحقيقته
فيقول في هذا .

الله اكبر لا يدنوه القياس ولا يجوز عليه كان او صار
ولكن هذه الراحة والايمان بوجود الله ثم اتصافه بالقدرة
والوحدانية لا تبعث الطمأنينة في قلب المعري ، وهو يرى ما في
هذه الحياة من شرور منتشرة ، وآثام ترتكب كل صباح ومساء ،
ويرى الدنيا :

قد فاقت الدنيا بأدناسها على براياها واجناسها
وشك المعري من هذه الناحية شأنه شأن اكثر المفكرين
والفلاسفة العالمين ، الذين وقفوا من هذا الامر موقف الحائر . ما
دامت الحكمة والعدل والقدرة من صفات الله فلماذا امر الشقاء
منتشر ، والمآسي مستفحلة ؟ ولماذا بوار السعادة مفقودة ؟ ولماذا
عوامل الفساد والشر مهيمنة على الارض ومن فيها ؟

ولزوميات المعري زائفة بثل هذه الاسئلة الصريحة. التي تدل
دلالة واضحة ليس فيها مواربة على ان المعري كان مؤمناً
ايماناً مطلقاً بالله ، واذا كان قد انتابه فترات من القلق في بعض
الاحيان فهذا ليس بغريب على شخص ابتلته الحياة ، وسخرت
منه الايام ، وتحامل عليه القدر ، انما هذا لا يمنع ان يكون مؤمناً

واذا اردنا التوسع في هذه الناحية من نواحي فلسفة المعري
لثبت لنا ان المعري اسلامي العقيدة فيما يتعلق بصفات الله ووحدانيته ،
كما يتفق بذلك مع عامة الديانات ثم يجاري الفلاسفة ايضا .

انفرد الله بسلطانه فما له في كل حال كفاء

وانظر كيف يقر بوحداية الله .

توحد فان الله ربك واحد ولا ترغبين في عشرة الرؤساء

وهذه احدى القضايا التي جعلت ايمان المعري في بعض الأحيان
قلقاً نوعاً ما ألا وهي مشكلة الصلاح على الارض ، فالمعري يؤمن
بالقدرة الشاملة ، والوحدة المطلقة لله تعالى . فكيف اذن فقد
الصلاح والخير على الارض ؟

واذا اعتبرنا ان قدرة الله انزلت الأديان على الارض بنية
الاصلاح والهدى .

واذا اعتبرنا — كما يرى المعري — ان هذه الاديان نفسها لم تحل المشكلة
بل زادت تعقيداً :

لقد حجب الدين والضياء وانما ديننا رياء

كم وعظ الواعظون منا وقام في الارض انبياء

فانصرفوا ، والبلاء باق ولم يزل داؤك العياء

عندئذ يبرز امامنا هذا السؤال ، هل المعري على حق في هذه
النظرة الى الأديان والانبياء ؟

الحقيقة ان حالة العصر السيئة من اكثر الوجوه عامة ، والدينية منها
بصفة خاصة تترك النفس الحساسة رهينة الحيرة والشك ، فالفساد
المنتشر وإستغلال رجال الاديان للوضع الإجتماعي يترك الاديب

والمفكر في حالة لا تبشر بأيمانه بصلاح رجال الاديان ، ثم في الاديان نفسها .

واذا جاز لنا ان نتكلم في هذا الموضوع محاولين ايجاد عذر للرجل في هذا الصدر لقلنا :

ان جميع الاديان لم تقم على مبادئ التسامح والرحمة والمحبة كما يقال بل انها بأسرها عمدت عمداً او مجبرة على الحرب ، والنزاع ، والقتال في سبيل تدعيم شرائعها وتشبيث كلماتها ورسالتها ، واذا كانت بعض الأديان قد لحق بمشيعيها العذاب والاضطهاد فما ذلك إلا لأن اهلها كانوا في ذلك الوقت مستضعفين ، ولم يكن ذلك تسامحاً ورحمة ، ودليل ذلك انه عندما قويت شوكة اهلها عمدت الى القوة في فرض وجودها .

ونقطة اخرى في هذا السبيل ، فاذا كانت هدف جميع الاديان موحدة هي سعادة الانسان وتهيئته الى بلوغ الحياة الاخرى طاهراً صادقاً ، والامتناع عن اتيان الأثم والمنكر ، فلماذا اذن تجد هذه الاديان نفسها واصحابها في تطاحن مستمر ، وفي تكالب على هذه الحياة الدنيا . اذا كان الامر كذلك فالمعري من هذه الناحية صاحب عذر وجيه ، ولا بد لي ان اذكر هنا ايضا ان المعري لم تكن له القدرة على التجلد حتى في مناقشته وآرائه لمثل هذه الامور ، ولو لم يكن له وظيفته الاجتماعية الخاص ، ثم موضوع نظره ، ولو كان في عصر غير عصره لاختلقت حتماً نظراته الى الحياة . والى العدل والى كل شيء . ولكنني مع كل هذا ارى ان المعري لم يوجد لنفسه مخرجاً انما ورط نفسه بورطة اكثر تحاملاً ، واكثر شذوذاً عن المعنى المألوف ، وذلك عندما وضع الحق كل الحق فيما يتعلق بهذه الناحية على الاديان نفسها وعلى رجال الاديان ايضا .

كتاب محمد ، وكتاب موسى وانجيل ابن مريم ، والزبور
نهت امماً . فما قبلت وبارت نصيحتها ، فكل الناس بور
والمعري في هذه الناحية ايضا متشائماً محارباً ومقدعاً في هجائه .
مساجدكم ومواخيركم سواء فبعداً لكم من بشر
وما انتم بالنبات الحميد ولا بالنخيل ولا بالعش
اريد من كل هذا ان اصل إلى هذه النتيجة التي اعتقد ان
المعري كان يعتقدها ويقرها . هذا الاعتقاد الذي شذ به عن المعتقد
الديني وهو ان جميع الشرائع من صنع البشر وليس لله فيها اي
رأي . وان الرسل ليسوا اهل الرحمة ، واصحاب الحق ، والدعوات
الصالحة ، وليس هم يرسل خير كما يعتقد عامة الناس ، بل كانت
له بالانبياء نظرة تختلف عن هذا بكثير .
والواقع ان المعري كان يعلق الكثير من الآمال والاماني على
الانبياء في مستهل لزومياته فهو يعتقد ان عامل النبوة اجتماعي وجدت
لتهذيب النفس وصل الأئمة :

وموء الناس حتى ظن جاهلهم ان النبوة تقويه وتديس
قالت معانر « لم يبعث إلهكم الى البرية عيساها ولا موسى
ولو قدرت لماقبت الذين طغوا حتى يموء حليف النبي مرموساً
الى هنا والمعري يدافع عن النبوة ويعتقد انها ضرورة لسعادة
البشر وخير الانسانية . ولكن هل بقي المعري متين الايمان
بصلاح النبوة وخيرها وضرورتها لسعادة البشر ؟ الجواب ، كلا ، لم يستمر
ذلك طويلاً فسرعان ما قذف المعري بهذا الرأي ضارباً عرض

الحائط بكل رأي ، اليس هو من المفكرين الاحرار ؟ ألم ينتقد رجال الدين دونما خوف من غضبهم ، فهو والحالة هذه لا يقبل الاشياء على علاقتها بل يدرس ويحقق ، وحسبه من هذه الحياة اعتقاده بأنه لم يداري ، فلقد ضرب رجال الدين ضربته ، وقال فيهم رأيه الصريح الحر دونما خوف ودونما مداراة

رويدك قد غردت وانت حر بصاحب حيلة يمدظ الذناء
يحرم فيكم الصبياء صبحاً ويشربها على عمد مساء
ثم اليس قوله : في اللاذقية فتنة ... الخ ألا يدل كل هذا
على ان الحقيقة لم يعرفها احد من هؤلاء جميعاً ، بل انها لا زالت
بعيدة عنهم .

وهذا هو الآن يصل الى الانبياء ويقول فيهم رأيه صريحاً ، ويشك
بكتبهم التي قالوا انها أنزات عليهم من السماء :
ولا تحسب مقال الرسل حقاً ولكن قول زور سطروده
وكان الناس في عيش رغيد فجاءوا بالمال فكدروه
ثم هذا التقاتل بين الشرائع والمذاهب :

اتى عيسى فبطل ثمرع موسى وجاء محمد بصلاة خمس
وقالوا لابني بعد هذا وأودى الناس بين غد وامس
هذه الشرائع التي تكذب بعضها بعضاً ما نصيبها من الصحة ؟
ارأيت فالمعري يضع امر الفوضى والاختلاف ، وتكدر الحياة
على الانبياء واصحاب الرسالات .
انا اعتقد ان المعري كان مؤمناً بالله ايماناً مطلقاً ، كما انه

لا يرى ثمة سبباً بين السماء والارض ، لذلك فهذا الفساد المنتشر في الارض ليس للقدرة الالهية اي رأي فيه ولا دخل في انتشاره والاديان السماوية لم تقدر على نحوه بل زادته انتشاراً ، وليس لله اية علاقة في هذا كله .

إله قادر وعبيد سوء وجبر في المذاهب واعتزال وظواهر الحياة تدل ايضاً على وجود خالق عظيم ، رتب هذا الكون وأوجده :

عجبي للطبيب يلحد في الحالا لق بعد درسه التشريحاً ولكن المعري مع ايمانه بالله ومع اعتقاده بفساد الاديان ، يعتقد ان اصلها هو الدين الاسلامي ، وانسب الانبياء هو النبي محمد ﷺ ، وانا ارى انه ليس للتقليد الموروث اي دخل في هذا الرأي ، فالمعري اخذ من الاديان ما اتفق مع تفكيره وصادف ان اتفق الدين الاسلامي اكثر من غيره مع نظيرته الى الحياة والى معاملات الناس والاصالح لهم ، فوجد ان الدين الاسلامي هو ذاك الدين الاصلح والأجدر للحياة ، لذا احترم النبي وقدره بل ومدحه :

دعاكم الى خير الامور محمد وليس العوالي في القنا كالسوافل
فصلي عليه الله ما ذر شارق وما فت مسكاً ذكره في المحافل
ونعود مذكرين اجمال رأيه في الأديان :

انما هذه المذاهب اسباب لجذب الدنيا الى الرؤساء ترى هل اراد المعري بالمذاهب هنا مذاهب المعتزلة ، واخوان الصفاء وغيرها من المذاهب في الاديان الاخرى . كلا . بل قصد

بجل الأديان :

وخلاصة القول في هذا ، ان المعري يعتقد بوجود إله رغم ما انتابه من شك اول الامر في مثل هذا الاعتقاد ، ومع كل هذا ، فان هذا الاعتقاد اصبح حقيقة راهنة .

اما الاديان فانها لم تحقق الاغراض التي اتت من اجلها ، بل زادت في الخلاف ، وبذر الشقاق والنزاع بين الناس ، وان العدالة الاجتماعية لم توجد يوماً وسوف لا توجد لان طبيعة الانسان وخاصة المسيطر منه قائمة على الشر والفساد .

للمعري العذر في هذا . فان الحياة الاجتماعية في ذلك الوقت كانت معدومة تماماً ، لان الامراء والملوك كانوا يحكمون ، ويتصرفون بأمور الناس كما يطيب الالهواء والنزعات دونما رادع او وزاع ، ولم يكن لرجل العادي ، اي رأي ولا توجيه في اي امر من الامور . وسنعود الى نظرة المعري فيما يتعلق بأساليب الحكم في مكان آخر . ولقد اثبت نظريته في الاديان ، اختلاف اهل الدين الواحد وانقسامهم على انفسهم شيعاً ومذاهباً ، هذا الانقسام الذي زاد الشقاق ، وزاد البغضاء ايضاً فأندفع الناس السذج الى خضم من النزاع لانهاية له :

شيع اجلت يوم خم ما نشنت أخرى تعارضها بيوم الغار
والناس في ضد الهدى متشيع لزم العلو وناجى شاري
ثم سخريته من المتصوفين :

صوفية مارضوا للصوف نسبتهم حتى ادعوا انهم من طاعة صوفوا
تبارك الله ، دهر حشوه كذب فالرء فيه بغير الحق موصوف

الناس دائماً وابدأ اصل الشر والبلاء ، وطبيعتهم كما يعتقد دائماً منذ الفطرة رفيقة الشر والفساد كما تقدم .

وهكذا كان اهل الارض قد فطروا

فلا يظن جهول انهم قسدوا

ونعود مع المعري الى الارض ، فهو اذاً يعتقد بأن الفساد ممكن من النفوس منذ الازل ، انه ليس بدخيل على القلوب ، بل هو في صميم نشأتها ولقد زاد هذا الفساد في الانسانية تكالب الرؤساء على الانتفاع من مراكرهم .

مل المقام فكم أعاشر امة امرت بغير صلاحها امرأوها
انني افهم هنا ان المعري لا يفضل الملكية وحكم الامراء ، فهو يعتقد ان الامراء يستغلون مكانة عائلاتهم ، ووضعهم الاجتماعي لأمر ليس في مصلحة الرعية في شيء . اذن فالمعري كان يكره جميع أساليب الحكم التي كانت معروفة في عصره ، كان يعتقد ان المراكز والنفوذ تساهم في تمكين الفساد ، وفي ابراز ما تحمل النفس الانسانية من شرور وآثام .

والمعري ديمقراطي النوعة ان جاز لنا ان نطلق عليه هذه الصفة ، فهو يكره الافتخار بالنسب .

لا يفخرون الهاشمي على امرى : من آل بور

فالحق يحلف ما علي عنده إلا كقنبر

والمعري يرى ان اجتماع الناس يزيد من اضطراب الاهواء والتهالك على المفاسد والذائد . وهذا حق فان طبيعة الجبلي او

البدوي اكثر صفاء وعزة وطيبة من واقع المدني بصورة عامة .
اذا كثر الناس شاع الفسا . د كما فسد القول لما كثر
ولو كان في المجتمع الخير ، وفي الاجتماع الصلاح لما عـزف
المعري عنها .

والمعري وهو الذي عرف شعور الضعيف والفقير ، وشعور
الغني والقوي ، وادرك تمنيات النفس الانسانية دافع عن الضعيف
وطالب الغني بمساعدة الفقير ومشاركته في امواله ونتاجه مشاركة
عادلة تضمن لكل منها حصته ، ولا يعني هذا انه شيوعي كما
تعني الشيوعية اليوم ، وهو الذي هاجم حكم الامراء لا
يجبذ ايضاً كما ارى حكم الطغاة والاستبداد من البشر الذي يرغبون
صهر القوى الانسانية في بوتقة تنتج الدمار والحراب وتبطلش بالناس
بطشاً جباراً لا رحمة فيه ، وكيف يتفق هذا مع الذي دعى الى
الرحمة بالحيوان مع المذاهب التي لا ترحم ولا تغفر ولا تقرر
برغبات الانسان ، ولا تحترم انسانيته ، معتبرة اياه آلة بيدها تستغل
امكانياته دونما السماح له بأن يكون حراً في تفكيره ، وفي عمله
وفي رغباته المشروعة .

ياقوت ما انت يا قوت ولا ذهب

فكيف تعجز اقواماً مساكيننا

واحسب الناس لو اعطوا زكاتهم

لما رأيت بني الاعدام شاكيننا

ليس هو بشيوعي ولكنه انسان ، اديب ، وشاعر ، وفيلسوف

يرغب في مشاركة الناس بعضهم لبعض في السعادة ما أمكن ذلك ،
وما أراد إلا الرفق بالناس من بني الناس حتى العبيد أراد الرفق
بهم والحيوان أيضاً .

إذا كسر العبد الأنا فقد هـ اذاة له ان الاء الى كسر
قلت ان المعري كان فيلسوفاً ، وكان شاعراً ، فلذا لا بد له
ان يقول في امور الحياة واهلها ما يجده على انسجام يتفق مع ميوله واراته
وهذا ما وعدنا به في تبين الخصائص التي قامت عليها الفلسفة
العلائية من آلهة واجتماعية ، وقلت أيضاً ان فلسفة المعري وجدت ان
طبيعة الانسان فاسدة ومن هذه الزاوية نظر المعري إلى الناس ، وازيد
هنا في توضيح هذه النقطة التي ارتكزت عليها اكثر فلسفة المعري
الحياتية ،

ان مازت الناس اخلاق يعاش بها فانهم عند سوء الطبع اسواء
جری الناس مجرى واحد في حياتهم

فلم يرزق التهذيب انشى ولا فحل
الم تر ان الخير يكسبه الفتى طريفاً وان الشر في الطبع متلد
هذه من اراء المعري ، او اقوله في طبيعة الانسان وهذه الاراء
قادته الى ان يكون جبرياً .

حوتنا شرور لا صلاح لمثلها فان شذ منا صالح فهو نادر
وما فسدت اخلاقنا بأختيارنا ولاكن بأمر سببته بالمقادير
وفي الاصل غش ، والفروع توابع وكيف وفاء النجل والاب غادر

اذن ليس هنالك إلا ان نقبل ما يقع وما يصادفنا في حياتنا
بالرضى والاستسلام دونما اعتراض لانه ليس لنا اي رأي في ذلك
حتى وجودنا في هذه الحياة ليس لنا اي رأي فيه ايضاً ، ورحيلنا
عنها من الالغاز الغامضة .

خرجت الى ذي الدار كرهاً ورحلتي

إلى غيرها بالرغم والله شاهد

ولم تفلت الدنيا من سخطه وغضبه ، واذا قلنا انه اطلق عليها
اسم أم دفر ، تبين لنا انه كان ينكر عليها حسناتها ، واذا كان
في بعض الاحيان لا ينكر انها خيرة ولكن هذا الاقرار بصلاحها
لا يدوم طويلاً عندها يعود الى ذمها والجل عليها .
لذا كره المعري الدنيا ، وفضل العدم على هذه الحياة التي ليست
سوى مرتعاً للشرور .

ولم يقتصر امره على هذا فحسب ، بل وجد ان وجود الانسان
في هذه الحياة مجرد ذاته من ضروب العبت والخطأ الذي لا طائل
فيه ، فلذا فضل بل نادى بقطع النسل ، واعتبر ان النسل جناية
على الابرياء الذين في الغيب لانهم ارسلوا الى بيئة موبوءة كان
اصحح لهم لو لم يصابوا اليها بل لو لم يخلقوا ابداً .

على الولد يحنى والدٌ ولو أنهم ولاية على امصارهم خطباء
ثم ليس اكثر من هذا الرأي يبين مدى كره المعري للنسل .

هذا جناه ابي علي وما جنيت على أحد

اذن فليس سوى الموت المخلص من هذا الواقع الاليم الذي
نعيش فيه ، وهنا برزت للمعري مشكلة كان لا بد له ان

يعطني رأيه الصريح فيها ، وهي حين موت الانسان ، الى اين مصيره ؟
واذا كان المعري يعتقد كما يعتقد غيره من الفلاسفة بأن جسد
الانسان من تراب :

تراب جسومنا وهي التراب اذا ولي عن الآل اغتراب
فما هو يا ترى رأي المعري بالروح ؟

ليس من شك في ان المعري عرف ماهية الجسم ، ولكن
هل عرف حقاً ماهية الروح ؟
يمكننا ان نقول بصراحة ، لا . لم يعرف ماهية الروح بل
كان مقلداً في هذا .

الروح طائر محبس في سجنه حتى يمن رده بالاطلاق
اما الى اين مصير هذا الطائر بعد خروجه من سجنه ؟ يجيب
المعري على ذلك بصراحة ايضاً ، بأنه لا يدري كشأن الفلاسفة فيما
يتعلق بما وراء الطبيعة .

دفنهم في الارض دفن تيقن ولا علم بالارواح غير ظنون
وتبرق لنا هنا قضية دينية ثانية ، ما رأي المعري في البعث اذن ؟
فالاسلام يقول بمخلود الارواح ، وانها تنقل بعد الموت الى الملأ
الاعلى ، حتى الاجساد تبعث يوم القيامة فتشقى هنالك او تسعد
حسب اعمالها في الارض ، فهل كان المعري هنا مسلماً .
الواضح ان المعري هنا مضطرب العقيدة ايضاً ، وليس له في البعث
رأياً ثابتاً ، فتارة نراه يقول بالبعث ، وتارة ينكر ذلك .

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الاجسام قلت اليكما

ان كان رأيكما فلست بخاسر او صح قولي فالحسار عليكم
هذا نجده يقول بمبدأ الرهان الذي قال به مونتسكيو فيما بعد ،
ولكن هذا الامر لا يطول لدى المعري اذ سرعان ما يعود
عن هذا قائلاً :

تخطئنا الأيام حتى كأننا زجاج لا يعاد له سبك
ولكن المعري مع شكه في البعث المزعوم نجده يؤمن بقدرة
الله عليه اذا اراد ذلك .

وقدرة الله حق ليس يعجزها حشر جسم ولا بعث لاموات
والمعري في هذا يوناني النزعة لا يلتقى بالنزعة الاسلامية إلا ما ندر
من الوقت ، ليعود ويفترق عنها طويلاً .

ونعود مع المعري الى فلسفته العملية او الحياتية لتبين بقية
رأيه في مشاكل الحياة وامور الناس .

اذا قلنا ان المعري يعتبر ان الولادة جنائية ، فكيف ترى
رأيه في الزواج والنساء وهما الوسيلة الصريحة والوحيدة للولادة ، لقد
قال في ذلك ناهياً ومحذراً من الزواج :

فان انت لم تملك وشيك فراقها فعف ولا تنكح عواناً ولا بكراً
ثم انظر كيف يفضل الرهينة على الزواج :

ويعجبني عيش الذين تهربوا

سوى اكلهم كد النفوس الشحائح

ورأي المعري صريح في هذا المعنى ، فهو يعتبر ان في الزواج كل الشر للرجل لأنه يكلفه مطالب عديدة بينما يرحب بزواج المرأة ويحث عليها على ذلك .

واطلب لبنتك زوجاً كي يراعيها

وخوف ابنك من نسل وترويح

ومرد ذلك كما أرى الى سوء ظنه بالمرأة على الاطلاق ، واعتقاده ان العفيفة الطاهرة فيهن نادرة ، وللمعري في المرأة اراء غريبة . اراء قاسية تبلغ حد الظلم ، وملخص هذه الراء : من انه يرى ان المرأة لا تصلح لشيء لأن في نفسها كل الشر ، وكل الغواية حتى انه حرم عليها العلم اذا امكن . واذا كانت لا بد لها من العلم فلتتعلم النسيج والغزل :

علموهن النسيج والغزل والردن وخلوا كتابه وقراءة
ثم في موضع اخر :

ألا ان النساء حبال غمي بهن يضيع الشرف التليد
ورأي المعري بعد كل هذا في المرأة واضح كل الوضوح ومعروف كل المعرفة ، واشعاره فيها كثيرة وكلها تدور على مهاجمتها . ولقد اعرض المعري عن النساء - او هن اعرض عنه - كما اعرض عن اللذائذ بوجه عام ، وكان يعتبر ان اللذة تورث الألم ، يضاف الى ذلك انه كان زاهداً قانعاً بما هو فيه من الفاقة .

ولم اعرض عن اللذات إلا لان خيارهن غني خنسنه
ولقد كان يرى ايضاً الاشتراكية في النساء .

وما دمنا قد تناولنا موضوع الاشتراكية ثانية ، فهل كانت

المعري اشتراكياً كما هي الاشتراكية في مفهومنا المعري ، منهم من يقول بذلك ويعتمد قوله :

لو كان لي أو لغيري قدر انملة من البسيطة خلت الامر مشتركاً
الجواب على ذلك : هو ان المعري لم يكن اشتراكياً كما هو المفهوم
الحالي للأشترائية ، ولكنه كان فيلسوفاً يطلب المساواة والراحة
لبنى البشر ، اما النظام الاشتراكي فلم يكن يفكر به مطلقاً ، بل
كان يطلب العطف على الفقير ، ويتمنى ان يعيش الضعيف عيشة
محترمة كأنسان له في الانسانية ما لغيره

كيف لا يشرك المضيقين في النعمة قوم عليهم النعماء
والمعري كما ذكرنا سابقاً ينشد الرحمة والعطف ليس للأنسان
فيحسب بل لكل ذي روح ، وقصة المعري مع الديك مشهورة
وثبت هنا ذلك بقوله :

فلا تأكلن ما اخرج البحر ظالماً ولا تبغ قوتاً غريض الذبائح
ولا تفجعن الطير وهو غوافل بما وضعت فالظلم شر القبائح
ومذهب الامتناع عن اكل اللحوم منتشر في الهند ولدى الكثير
من الفلاسفة ، ولكن لنا هذا السؤال البسيط هنا : ما هو موقف المعري
ياترى لو ثبت ان للنبات روح ايضاً ؟ الواقع ، والحالة هذه لقد كان على
الانسان ان يموت من الجوع .

لقد بينا في هذه الدراسة المقتضبة الأسس التي قام عليها المذهب
العلائني وعالجنا نواحي هذا المذهب ، وبقي علينا ان نبين خصائص
فن المعري وشعره وأدبه .
كان المعري شاعراً لبقاً ، وفحلاً من فحول الشعر وهذه هي

ازومياته خير دليل على انه كان شاعراً مطلعاً وهو الذي اخذ نفسه في نظم ازومياته بازوم ما لا يلزم ، فجعل القافية في حرفين حيث يكفي الحرف الواحد ، وجعلها في ثلاثة حيث يكفي الحرفان .

واذا كان المعري قد ظهر في بعض من شعره غامضاً ، فهذا لا يشوه ولا يحط من قدرته الفنية ، بل ان ذلك اقتضته الظروف الزمنية والدينية والاجتماعية ، ومع ايماني بعبقرية المعري لا بد لي من ان اقول هنا : ان المعري هدم اكثر مما اشاد ، ومنها يكن من امر زمنه ومصائبه فان تلك العبقرية كانت عليها ان تتحف الحياة بأراء فيها التشييد والبناء الذي يدفع بالعبقرية الانسانية مراحل بعيدة في طريق التقدم والمجد .

والمعري الى جانب كل هذا خصب الخيال ، وسنثبت في مختاراتنا المزيد من رسالة الغفران التي كتبها المعري سنة ٤٢٤ هـ في الرد على رسالة كان قد بعث اليه بها رجل من ادباء حلب اسمه علي بن منصور ، المعروف بابن القارح .

اما اسم هذه الرسالة فيعود الى ان الكاتب كثيراً ما استعمل لفظة « الغفران ... ومشتقاتها » فهو اول ما يطرح على سكان الجنان من الاسئلة « بم غفر لك » وعلى اهل النار ، « لم لم يغفر لك ؟ »

وهذه الرسالة في اعتقادي ثمرة ناضجة من ثمار عبقرية المعري ، وهي تشبه الألعابوة الالهية لدانتي . وفيها طرافة وسخرية لاذعة وفيها غنى واطلاعاً واسعاً ، ثم هذا التهمك باقدس مقدسات الأنسان ، وذلك يجعله الله شرطياً عمه ارضاء شهوات المخلصين في تلك الجلسة التي لا تمت بحلة الى الجنة التي عرفت عنها الكتب المقدسة ، وفي هذه الرسالة يظهر فن المعري النثري ايضا .

وسوف لا اطيل الحديث عن « رسالة الغفران » فيها هي الرسالة بنفسها بين يديك . وسوف تتلمس بنفسك ما انطوت عليه عبقرية المعري من خيال خصب ، وما جمعت هذه العبقرية من قدرة واسعة في الأطلاع على آداب المتقدمين ، إلى هذه البراعة الراسخة في اللغة ، وإذا كانت بعض مفردات الرسالة صعبة غامضة ، فما ذلك إلا لان المعري اراد كما يظهر ان يثبت مقدرته اللغوية ، ثم توجيه النقد بهذا الاسلوب الذي يجمي في غموض اكثر الفاظه بعض مقاصد المعري وسخريته ،

واعيد هنا من اني سوف لا اطيل في الحديث عن رسالة الغفران فانا اعتقد ان التعريف بهذه الرسالة والحديث عنها والتفلسف حولها ، يشوه ما لهذه الرسالة من طرافة وجراءة قلما نجدها عند اي مفكر مسلم آخر ، وإذا سمحنا لأنفسنا ان نذكر رأيا عن هذه الرسالة فنقول : انها تنمى لاراء المعري وعقيدته ونظراته الى الكون والحياة والناس ايضا . اما لماذا اثبتناها هنا اي قبل المنتخبات الشعرية فما ذلك الا لأنها نثراً ، بل هي بنفسها اثراً طريفاً خالداً وبذلك نحرض على جمال الفن الطباعي ، فيأتي نثر المعري بعد دراستنا عنه ، ويتبع ذلك المنتخبات من شعره .

توطئة الرسالة

وصف رسالة ابن القارح

وصلت الرسالة التي بجرها بالحكم مسجور (١) ، ومن قرأها لا شك مأجور (٢) ، اذ كانت تأمر بتقيل الشرع (٣) ، وتعييب من ترك اصلا الى فرع . وغرقت في امواج بدعها الزاخرة ، وعجبت من اتساق عقودها الفاخرة . ومثلها شفع ونفع ، وقرب عند الله ورفع .

وفي قدرة ربنا جلّت عظمته ، ان يجعل كل حرف منها شبح نور ، لا يمتزج بمقال الزور «٤» ، يستغفر لمن انشأها الى يوم الدين ، ويذكره ذكر محب خدين . ولعله ، سبحانه ، قد نصب المنجية من اللهب ، معاريج من الفضة او الذهب ، تعرج بها الملائكة من الارض الراكدة الى السماء ، وتكشف سجون الظلماء ، بدليل الآية : « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » وهذه الكلمة الطيبة كأنها المعنية بقوله : « الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ، اصلها ثابت وفروعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها . » وفي تلك السطور كالم كثير كله عند الباري ، تقديس ، اثير ! (٥)

(١) مسجور ، مملوء

(٢) مأجور ، مثواب

(٣) تقيل الشرع ، اي التمسك بالقوانين الدينية

(٤) الزور ، الكذب

(٥) اثير ، محبوب

رسالة الغفران

القسم الاول

— الجنة —

وصف الجنة

الاشجار والأنهار — وصف الحجرة

و كأني وقد غرس لمولاي الشيخ الجليل ، إن شاء الله ، بذلك الثناء ،
شجراً في الجنة لذيذ اجتناء . كل شجرة منه تأخذ ما بين المشرق
والمغرب بظل غاط ، ليست في الاعين كذات انواط (١)
وتجري ، في اصول ذلك الشجر ، انهار تختلج من ماء الحيوان (٢)
والكوثر (٣) يمدها في كل أوان ، من شرب منها النغبة (٤) فلا
موت ، وقد أمن هنالك الفوت . وسعد (٥) من اللبن متخرقات
لا تغير بان تطول الأوقات . وجعافر (٦) من الرحيق المختوم ،
كما قال علقمة

تشفي الصداع ، ولا يؤذيه حالبها

ولا يُخالط ، منها ، الرأس تدويم (٧)

١ [ذات انواط : اسم شجرة ورد ذكرها في الحديث .

٢ ماء الحيوان : امي ماء الحباء .

٣ الكوثر : نهر في الجنة تنفجر منه جميع انهارها .

٤ النغبة : الجرعة .

٥ سعد : السواقي .

٦ جعافر : جداول .

٧ تدويم : الدوار الذي يحصل نتيجة السكر .

ويعمد اليها المغترف بكؤوس من المسجد ، وأباريق خلقت
من الزبرجد (١) ولو نظر اليها عدي بن زيد (٢) ، لشغل عن المدام
والصيد ، واعترف بأن أباريق مدامه أمر هين لا يعدل بنابت
من حميص (٣) ، او ما حقر من خربصين (٤)
فاما الاقشير السعدي (٥) فإنه قال ، ولعله سيندم :

افنى تلادى ، وما جمعت من نشب

قرع القوازي افسواه الاباريق (٦)

ما هو وما شرابه ؟ تقضت في الخائنة (٧) آرابه ! لو عين
تلك الاباريق لأيقن أنه فتن بالغرور ، وسربغير موجب للسرور .
وكم على تلك الأنهار من آنية زبرجد وياقوت ! بين اصفر ، واحمر
وازرق ، يخال ان لمس أحرق ، كما قال الصنوبري (٨) :

تخيله صاطماً وهجه فتأبى الدنوّ الى وهجه !
وفي تلك الانهار أوان على هيئة الطير السماجة ، والغانية عن
الماء السائحة ، فمنها ما هو على صور الكراكي (٩) وآخر تشاكل

[١] الزبرجد : حجر كريم

[٢] عدي بن زيد : شاعر عرف عنه وصفه للخمر ، وهو نصراني وجاهلي .

[٣] حميص : نبات حامض .

[٤] خربصين : نبات له حب يتخذ منه طعام .

[٥] الاقشير السعدي : شاعر اموي ، كوفي اشتهر بوصف الخمر .

[٦] القوازي : اقداح الشراب .

[٧] الخائنة : ابي الدنيا .

[٨] الصنوبري : شاعر حلي اشتهر بوصفه للجنان .

[٩] الكراكي : ج . الكركي : طائر كبير

المسكاكي (١) وعلى خالق طواويس وبط ، فبعض في الجارية (٢) وبعض في الشط . ينبع من افواهها شراب ، كأنه ، من الرقة شراب ، لو جرّع منه جرعة الحكمي (٣) لحكم بأنه الفوز . وشهد له كل وصاف للخمر ، من محدث وعتيق .

انهار العسل

ويعارض تلك المدامة انهار من عسل مصفى ما كسبته النحل العادية الى الأنوار (٤) ولا هو في موم (٥) متوار ، ولكن قال له العزيز القادر :

« كن ! » فكان . واهماً لذلك عسلاً ! لو جعله الشارب المحرور غذاءه طول الأبد ، ما قدر له عارض موم (٦) ، ولا لبس ثوب المحموم . وذلك كله بدليل الآية :

مثل الجنة التي وعد المتقون ، فيها انهار من ماء غير آسن (٧) وانهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات . «

فليت شعري عن النمر بن تولب العكلي (٨) ! هل يقدر له ان يذوق ذلك الأري (٩) ، فيعلم ان شهد الفانية ، اذا قيس اليه ، وجد يشاكه الشري (١٠) وهو لما وصف أم حصن (١١) ذكر حوارى (١٢) بسمن وعسل مصفى ، قال :

(١) المسكاكي : ج المسك ، طائر من القنابر

(٢) الجارية : يقصد بها المياه (٣) الحكمي : ابو نواس

(٤) الأنوار : الزهور البيضاء (٥) الموم : الشمع

(٦) الموم ، مرض يصيب الحجاب بين القلب والكبد

(٧) آسن ، اسن الماء ، اتن (٨) العكلي ، شاعر مقل

(٩) الأري ، الشهد من العسل (١٠) الشري ، الخنظل

(١١) أم حصن ، المرأة التي يشبهها الشاعر المذكور (١٢) الحوارى ، الخبز الأبيض

الم بصحبتى ، وهم هجوع خيال طارق من امر حصن
لها ما تشتهي عسلا مصفى اذا شئت ، وحوارى بسمن
ولو خالط من (١) من عسل الجنان ما خلقه الله ، سبحانه ،
في هذه الدار الفانية الخادعة كالصاب والمقر (٢) ، لعدو من اللذائذ
المرتقيات .

الاسماك

واذا من الله ، تبارك اسمه ، بورود تلك الأنهار ، صاد فيها
الوارد سمك حلاوة لم ير مثله ، او بصر به احمد بن الحسين (٣)
لأحتقر الهدية التي أهديت اليه فقال فيها :

أقل ما في أقلها سمك^٤ يسبح في بركة من العسل

فأما الأنهار الخمرية فتلعب فيها أسماك هي على صور السمك البحرية
والنهرية ، الا انه من الذهب والفضة وحنوف الجواهر ، المقابلة
بالنور الباهر . فاذا مد المؤمن يده الى واحدة من ذلك ، شرب
من فيها عذبا ، لو وقعت منه الجرعة في البحر الذي لا يستطيع
الشارب ، حلت منه اسافل وغوارب (٤)

١ [الن : قدر صغير

٢ [المقر : المر ، الخامض

٣ [احمد بن الحسين : المتنبى

٤ [غوارب : الموج المرتفع

ندامي الجثة

علماء اللغة والنحو

وكأني به ، اذا استحق تلك الرتبة ، بيقين التوبة ، وقد
اصطفى له ندامى من ادباء الفردوس ، كأخي ثالة (١) واخي
دوس (٢) ، ويونس بن حبيب الضبي (٣) وابن مسعدة الجاشعي (٤)
فهم ، كما جاء في الكتاب العزيز :

« وزعنا ما في صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين
لا يسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين . »

فصدر احمد بن يحيى (٥) ، هنالك ، قد غسل من الحقد على
محمد بن يزيد ، فصارا يتصافيان ويتوافيان . وابو بشر
عمرو بن عثمان (٦) قد رخصت سويداء قلبه من الضغن على علي
بن حمزة الكسائي (٧) واصحابه ، لما فعلوا به في مجلس البرامكة
وابو عبيدة (٨) صافي الطوية لعبد الملك بن قريب (٩) والملائكة

-
- ١ [اخو ثالة : (محمد بن يزيد) مؤلف كتاب « السكامل » في اللغة والادب والنوادر
٢ (اخو دوس ، كنية ابن دريد من مشاهير اللاغويين في العصر العباسي الثاني
٣ (يونس بن حبيب ، يونس النحوي ، لأنه اختصر في عالم النحو
٤ (ابن مسعدة الجاشعي ، من علماء العصر العباسي ايضا في اللغة والنحو
٥ (احمد بن يحيى ، هو المعروف بشعلب ، من اشهر النحاة في العصر العباسي الثاني
٦ (ابو بشر عمرو بن عثمان ، سيبويه
٧ (الكسائي ، امام مذهب السكوفيين
٨ (ابو عبيدة ، (معمر بن المثنى ، يهودي الاصل ، شعوي النزعة . من اشهر العلماء
بأخبار العرب
٩ (عبد الملك بن قريب ، الأصمعي ، من اشهر الادباء ولد ومات في البصرة (٧٣٩ -

يدخلون عليهم من كل باب « سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار ! »
وابو عبيدة يذاكرهم بوقائع العرب ، ومقاتل الفرسان والأصمعي
ينشدهم ما أحسن قائله ...

وتنش نفوسهم للعب ، فيقذفون تلك الآنية في أنهار الرحيق ،
ويصفقها الماذي (١) أي تصفيق وتقترع تلك الآنية فيسمع لها اصوات
تبعث بمثلها الاموات . فيقول الشيخ : « آه لمصرع الأعشى ميمون !
وددت أنه ما صدته قریش لما توجه الى النبي (ﷺ) . ولو أنه
اسلم ، لجاز ان يكون بيننا في هذا المجلس ، فينشدنا غريب
الأوزان بما نظم في دار الاحزان ومحدثنا حديثه مع من مدحه
او هجاه ، وخانه في الزمن او رجاه ! ؟

النزهة في الجنة

ثم انه (٢) ادام الله تمكينه ، يخاطر له حديث شيء كان يسمى
« النزهة » في الدار الفانية ، فيركب نجيباً (٣) من نجب الجنة خلق
من ياقوت وذر ، في سحسج (٤) بعد عن الحر والقر ، فيسير في
الجنة على غير منهج ومعه اناء فيهج ، وشيء طعام الخلود . فاذا
رأي نجيمه يملع (٥) بين كثران العنبر رفع صوته متمثلاً بقول
البكري (٦)

(١) الماذي ، العمل الابيض

(٢) انه ، يعني ابن القارح

(٣) النجيب ، الجمل الفتي

(٤) سحسج ، الريح اللينة

(٥) يملع ، يسبر سريماً خفيفاً

(٦) البكري ، « الأعشى »

ليت شعري متى تحب بنا النا قة بين العذيب فالصيبون (١)
محقباً زُكرةً ، وخبز رقاقٍ وحباقاً ، وقطعة من نونِ (٢)

أخبار الشراء

الاعشى

فيستف هائف : « اتشعر ايها العبد ، المغفور له لمن هذا الشعر ؟ » .

فيقول الشيخ : « نعم ! حدثنا اهل ثقتنا عن اهل ثقتهم ، ان هذا الشعر لميمون بن قيس بن جندل . » فيقول الهائف : « انا ذلك الرجل من الله علي بعد ما صرت من جهنم على شفير ، ويشت من المغفرة » فيلتفت اليه الشيخ هائماً هائماً مرثحاً . فاذا هو بشاب غرائق (٣) وقد صار عشاء حورا ، وانحناء ظهره قواماً . فيقول : « سحبتني الزبانية الى سقر (٤) فرأيت رجلاً في عرصات (٥) القيامة ، يتلألاً وجهه تلألؤ القمر ، والناس يهتفون به من كل أوب (٦) : « يا محمد يا محمد ! الشفاعة ؟ نعم بكذا ؟ نعم بكذا » فصرخت في ايدي الزبانية : « يا محمد اغثني ، فان لي بك حرمة ! » فقال : « يا

(٢) العذيب والصيبون ، موضعان

(٣) الزكرة ، زق صغير للخمر ، والنون ، السمك

(٤) غرائق ، حسن الوجه

(٥) سقر ، من اسماء جهنم

(٦) عرصات : الساحات

(٧) أوب ، جبة

علي ! بادره فانظر ما حرمته » . فجاءني علي بن ابي طالب ،
صلوات الله عليه ، وانا اعتل (١) كي ألقى في الدرك الاسفل
من النار . فزجرهم عني ، وقال : « ما حرمتك ؟ » فقلت انا :
القائل :

الا اي هذا السائي : اين يمت ؟ فان لها ، في اهل يثرب موعدا !
فأليت ، لا ارثي لها من كلاله

ولا من حفي حتى تلاقى محمدا (٢)

وقد كنت اؤمن بانه وبالحساب ، واصدق بالبعث ، وانا في
الجاهلية الجهلاء . فذهب علي الى النبي ﷺ فقال : « يا رسول
الله ، هذا أعشى قيس قد روى مدحة فيك ، وشهد انك نبي
مرسل . » فقال : « هلا جاء في الدار السابقة ! » فقال علي ،
رضوان الله عليه : « قد جاء ، ولكن صدته قريش وحبه للخمر »
فشفع لي ، فادخلت الجنة على ان لا اشرب فيها خمرا فقبرت عينايا
بذلك . وان لي منادح (٣) في العسل وماء الحيوان . وكذلك
من لم يتب عن الخمر في الدار الساخرة ، لم يسقها في الاخرة .

زهير بن ابي سلمى

وينظر الشيخ في رياض الجنة ، فيرى قصرين منيفين . فيقول
في نفسه : « لأبلغن الى هذين القصرين فأنظر لمن هما . » فاذا

(١) اعتل ، اسحب

(٢) الكلاله ، التعب

(٣) منادح ، اغاني

قرب منها رأى على أحدهما مكتوباً : « هذا القصر لزهير بن
أبي سامى المزني . » (١) وعلى الآخر : « هذا القصر لعبيد بن
الابرص الاسدي . » (٢) فيعجب من ذلك ويقول : « هذان
ماتا في الجاهلية ! ولكن رحمة ربنا وسعت كل شيء . وسوف
التمس لقاءهما فأسألها بم 'غفر لها . »

فابتدىء بزهير فيجده شاباً كالزهرة الجنية ، قد 'وهب له قصر
من ونية (٣) ، كأنه ما لبس جلباب هـرم ، ولا تأفف من
البرم (٤) ، وكأنه لم يقل في الميمية :

سئمت تكاليف الحياة ، ومن يعيش

ثمانين حولاً ، لا أباً لك ، يسأم !

ولم يقل في الأخرى :

ألم ترني عمرت تسعين حجةً وعشرأً تباعاً عشتها ، وثمانيا !

فيقول : « جبر جبر ! » (٥) انت أبو كعب وبجير ! فيقول
نعم ! فيقول ، أدام الله عزه : « بم غفر لك ، وقد كنت
زمان الفترة والناس همل ، لا يحسن منهم العدل ؟ » فيقول :
« كانت نفسي من الباطل نفورا ، فصادفت ملكاً غفوراً . وكنت
مؤمناً بالله العظيم . ورأيت ، فيما يرى النائم ، جبلاً نزل من
السماء ، فمن تعلق به من سكان الأرض نجا . فعلمت انه من أمور

(١) زهير ، من أشهر شعراء الجاهليين

(٢) عبید ، من شعراء الجاهليين

(٣) الونية ، اللؤلؤة

(٤) البرم ، برم بالشيء ، ضجر منه

(٥) جبر ، نعم

الله ، وارصيت بني وقلت لهم عند الموت : « ان قام قائم يدعوكم الى عبادة الله فأطيعوه . » ولو ادركت محمداً لكنت اول المؤمنين به . وقلت في الميمية ، والسفه ضارب بالجران . فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ، ومها يكتم الله يعلم ! يؤخر ، فيوضع في كتاب ، فيدخر

ليوم حساب ، او يعجل فينتقم

فيقول : الست القائل :

وقد اغدو علي ثبة كرام نشاوى ، واجدين لما نشاء (١)
يجرون البرود ، وقد تمشت حمياً الكاس ، فيهم ، والغناء !
افأطلقت لك الخمر كغيرك من اصحاب الخلود ؟ ام حرمت عليك مثلاً حرمت على أعشى قيس ؟ فيقول زهير : « ان أخا قيس ادرك محمداً فوجبت عليه الحجة لانه بعث بتحريم الخمر ، وحظر ما قبح . وهلك انا ، والخمر كغيرها من الاشياء ، يشربها اتباع الانبياء ، فلا حجة علي . »
فيدعوه الشيخ الى المنادمة فيجده من ظرفاء الندماء ، فيسأله عن اخبار القدماء .

عبيد بن الابرص

ثم ينصرف عنه الى عبيد . فاذا هو قد أعطي بقاء التأييد « ٢ »

(١) ثبة : جماعة

(٢) التأييد : ويقصد به الخلود

فيقول : « السلام عليك : يا اخا بني أسد ! » فيقول : « وعليك السلام !

- وإهل الجنة اذكيا ، لا يخالطهم الاغبياء - اهلك تريد ان تسألني بم غفر لي ؟ » فيقول : « أجل ! وان في ذلك لعجباً ! فيقول عبيد : « اني كنت أدخلت الهاوية ، وكنت قلت ايام الحياة :

من يسأل الناس يهرموه وسائل الله لا يخيب ! وسار هذا البيت في آفاق البلاد . فلم يزل يُنشد ، ويخفف عني العذاب ، حتى أطلقت من القيود والأصفاد . ثم لم يزل يكرر حتى شملتني الرحمة ببركة هذا البيت ، وان ربنا لغفور رحيم ! » فاذا سمع الشيخ ما قال ذلك الرجلان طمع في سلامة كثير من الشعراء .

عدي بن زيد

فيقول لعبيد : « ألك علم بعدي بن زيد العبادي ؟ » فيقول : « هذا منزله قريباً منك ! » فيقف عليه فيقول : « كيف كانت سلامتك على الصراط ؟ » فيقول : « اني كنت على دين المسيح ! ومن كان من اتباع الانبياء قبل ان يُبعث محمد : فلا بأس عليه ، وإنما التبعة على من سجد للأصنام ... »

فيقول الشيخ : « لقد هممت ان أسألك عن بيتك الذي استشهد به سيبويه ، وهو قولك :

أرواحٌ مودع ام بكور انت ، فانظر لاي حال تصير !

« فانه يزعم ان « أبت » يجوز ان ترفع بفعل مضمر يفسره
قواك « فأنظر » ، وانا استبعد هذا المذهب ولا اظنك اردته !
فيقول عدي بن زيد : « دعني من هذه الابطال ...
« ولكني كنت ، في الدار الفانية ، صاحب قنص ، فهل لك
ان تركب فرسين من خيل الجنة ، فنبعثهما على حيرانها (١)
وخيطان (٢) نعامها ، واسراب طبائها ، وعانات (٣) حمرها ، فان
للقيص لذة ! » فيقول الشيخ : « انما انا صاحب قلم ، ولم اكن
صاحب خيل ! ... وما يؤمني ، اذا ركبت طرفا (٤) - وانا
كما قال القائل :

لم يركبوا الخيل الا بعد ما كبروا فهم ثقال ، على اكتافها عنف !
أن يقدفني السابح على صخور زمرد ، فيكسر لي عضداً او
ساقاً فأحير ضحكة في اهل الجنان » ! فيبتسم عدي ويقول : « ويحك
اما علمت ان الجنة لا يهرب لديها السقم ، ولا تنزل بسكنها النقم ؟ »
فيركبان ساجدين من خيل الجنة ، مركب كل واحدٍ منهما لو
عدل بمالك العاجلة من اولها الى آخرها ، لرجع بها وزاد في القيمة
عليها . فاذا نظر الى عوار ترتع في رياض الفردوس ، صوب الشيخ
الجليل المطرد (٥) الأخنس (٦) ذبال ، قد رتع هنالك طويل ايام
وليال . فاذا لم يبق بين السنان وبينه الا قيد ظفر ، قال له :

(١) الصيران ، القطعان من بقر الوحش .

(٢) الخيطان ، النعام .

(٣) العانات ، القطعان من حمر الوحش .

(٤) الطرف ، الجواد الصغير السن .

(٥) المطرد ، الرمح القصير .

(٦) الاخنس ، الثور المتوحش .

« أمسك يا عبد الله ! فاني است من وحش الجنة التي انشأها الله سبحانه ، ولم تكن في الدار الزائنة . ولكني كنت في محلة الغرور اروح في بعض القفار . فمر بي ركب مؤمنون قد اكرى (١) زادهم فصرعوني ، واستعانوا بي على السفر . فعوضني الله بأن اسكنني في الخلود . » فيكف عنه الشيخ ويعمد لعلج (٢) وحشي ، ما التفت عنده بمحشي ، فاذا صار الحرص منه بقدر الخلة ، قال : « أمسك يا عبد الله ! فان الله انعم علي ورفع عني البؤس . وذلك صادني صائد بمخلب وكان اهائي (٣) له كالسلب ، فباعه في بعض الأمصار فاتخذ منه غرب (٤) شفي بمائه السكر ، وتطهر بنزيعه (٥) الصالحون . فشملتني بركة من اولئك ، فدخلت الجنة ارزق فيها بغير حساب . »

ابو ذؤيب الهزلي

وينصرف مولاي الشيخ وصاحبه عدي . فاذا هما برجل محتلب ناقة في اناء من ذهب فيقولان : « من الرجل ؟ » فيقول : « ابو ذؤيب الهذلي » (٦) فيقولان : « حيت وسعدت ! احتلب مع انهار من لبن ؟ » فيقول لا بأس ! انما خطر لي ذلك مثلاً خطر لكما القنص . فقيض الله بقدرته لي هذه الناقة مطلقاً . فقامت احتلب على العادة . واريد ان اشوب ذلك بضرب (٧) نحل . »

(١) اكرى ، نقص

(٢) الملح ، حمار الوحش

(٣) الاهاب ، الجلد

(٤) الغرب ، الدلو

(٥) النزيع ، الماء الأخوذ من البئر .

(٦) ابو ذؤيب الهذلي ، احد الشعراء المخضرمين

(٧) الضرب ، العسل

فاذا امتلأ إناؤه من الرسل (١) ، كون الباري ، جلت عظمتة خلية من الجوهر ، رتع ثولها (٢) في الزهر فاجتني ذلك أبو ذؤيب ومزج حليبه . فيقول : « الا تشربان ! » فيجرعان من ذلك الحليب جرعاً لو اُفرقت على اهل سقر لفازوا بالخلد .

النابعتان

ويمضي في نزهته تلك فيمر بشابين يتحادثان كل واحد منهما على باب قصر من در ، قد اعفي من البؤس والضر . فيسلم عليهما ويقول « من انما ؟ — رحمكما الله ! — وقد فعل ! » فيقولان : « نحن النابعتان ، نابغة بني جعدة (٣) ونابغة بني ذبيان . (٤) فيتجادثون جميعاً . ثم يشتهون مرأى الاعشي ، « فلا تتم الكلمة الا وابو بصير قد خسمهم » فيتذاكرون في شعر النابغة الذبياني واختلاف الرواة فيه ، ويشتهون حضور الرواة فيأتيهم حالاً المازني والشيباني ، وابو عبيدة ، والاصمعي ...

مجلس غناه

ويعرف من إوز الجنة . فلا يلبث ان ينزل على تلك الروضة ويقف وقوف منتظر لأمر . ومن شأن طير الجنة ان يتكلم . فيقول (الشيخ) . « ما شأنكن ؟ » فيقلن . « ألهمنا ان نسقط في هذه الروضة . فنغني لمن فيها » فيقول . « على بركة الله القدير ! » فينتفضن فيصرن جوارى كواعب يرفلن في وشي الجنة

(١) الرسل ، اللبث .

(٢) الثول ، النحل

(٣) النابغة الجعدي ، حسام بن قيس

(٤) النابغة الذبياني ، من أشهر شعراء الجاهلية — وهو الذي مدح بني غسان

وبأيديهن المظاهر (١) وأنواع ما يلتمس به الملاهي . فيعجب ،
وحق له العجب ، وليس ذلك بعجيب من قدرة الله ، جلت عظمته .
فتغني أحداهن بصوت « لو نحت من حنم أحجار ثم سمع ذلك
الصوت لرقص » . وبعد أن يتمخنها ويتيقن حذقها يقول .
« ويحك ألم تكوفي الساعة إوزة طائرة ! فمن أين لك هذا
العلم ؟ لو نشأت بين معبد وابن سريج (٢) ، لما هجت السامع بهذا
الهيج ! فكيف نقضت عنك بله الأوز ؟ » فتقول : « وما الذي
رأيت من قدرة بارتك ! أنك على سيف (٣) بحر لا يدرك له عبر
سبحان من يحيي العظام ، وهي رميم ! »

لبيد

فبينما هم كذلك إذ يمر شاب في يده محجن (٤) ياقوت ، فيسلم
عليهم فيقولون : « من أنت ؟ » فيقول : « أنا لبيد (٥) بن ربيعة
ابن مالك بن جعفر ابن كليب ... » فيقول : « أكرمت
أكرمت ! لو قلت : لبيد ، وسكت ، لشهرت باسمك ! فما بالك
في مغفرة ربك ؟ » فيقول : « أنا بحمد الله في عيش قصر أن
يصفه الواصفون ، لا هرم ولا برم » . فيقول الشيخ : تبارك
الملك القدوس ! كأنك لم تقل في الدار الفانية .

(١) المظاهر ، آلات طرب تشبه العود - ومفردها مزهر

(٢) معبد وابن سريج : مثنيان مشهوران في العصر الأموي

(٣) سيف البحر ، شاطئه .

(٤) المحجن : العصا

(٥) لبيد : من مشاهير شعراء الجاهلية

ولقد سئمت من الحياة وطولها

وسؤال هذا الناس : « كيف ليبدؤ ؟ »

فأنشدنا ميميتك المعلقة فيقول : « هيهات ! اني تركت الشعر
في الدار الحادعة . ولن اعود اليه في الدار الآخرة ، وقد عوضت
ما هو خير وأبر ! .

المودة الى الغناء

ويخطر له غناء القيان في الفسطاط (١) ومدينة السلام (٢) ويذكر
ترجييعهن بميمية الخبل السعدي (٣) فتندفع تلك الجوارى التي نقلتهن
القدرة من خلق الطير الى خلق الحور ، ملحنة قول الخبل .

ذكر الرباب ، وذكرها سُقْمٌ وصبا ، ليس صبا عزمٌ !
فلا يمر حرف ولا حركة الا ويوقع في النفوس مسرّة . لو
عدلت بمسرات اهل العاجلة ، منذ خلق الله آدم الى ان طوى
ذريته ، لكانت الزائدة على ذلك زيادة اللج المتموج على دمة
الطفل ، والهضب الشامخ على الهباءة (٤) .

مشاجرة النابغة الجعدي والاعشي

ويقول نابغة بني جعدة ، وهو جالس يستمع . ، يا ابا بصير
اهذه الرباب التي ذكرها السعدي هي ربابك التي ذكرتها في قولك :
فما نطق الديكُ حتى ملاء ت كوب الرباب له ، فاستدارا ؟

(١) الفسطاط : مدينة بمصر

(٢) مدينة السلام : بغداد

(٣) الخبل السعدي ، شاعر جاهلي

(٤) الهباءة ، الغبار .

فيقول ابو بصير : « قد طال عمرك ، يا ابا ليلى ، واحسبك
اصابك الفند (١) فبقيت على فندك الى اليوم ... اما علمت ان
اللواتي يسمين بالرباب اكثر من ان يحصين ؟ افتظن ان الرباب هذه
هي التي ذكرها القائل :

ما بال قومك ، يا رباب خزر^٢اً كانهم غضاب^٣ ! (٢)
او التي ذكرها امرؤ القيس في قوله :

« وجارتهما ام الرباب بأسل » ؟

فيقول نابغة بني جعدة : « اتكلمني بمثل هذا الكلام ، يا خليع
بني ضبيعة ؟ وقد مت كافراً واقمرت على نفسك بالفاحشة . وانا
لقيت النبي (ﷺ) فانشدته كلمتي ...

أغرّك ان عدك بعض الجاهل رابع الشعراء الاربعة ؟ واني
لأطول منك نفساً واكثر تصرفاً . ولقد بلغت بعدد البيوت ما لم
يبلغه احد من العرب قبلي ...

فيغضب ابو بصير ويقول : « اتقول هذا ، وان بيتاً مما بنيت
ليعدل بمائة من بنائك ! وان اسهبت في منطقك ، فان المسهب
كحاطب الليل ... اتعيرني مدح الملوكة ، يا جاهل ! ، ولو قدرت
على ذلك هجرت اليه اهلك وولدك ! ولكنك خلقت جباناً ... »
فيقول الجعدي : « اسكت يا ضل بن ضل » (٣) . فاقسم
ان دخولك الجنة من المنكرات . ولكن الاقضية جرت كما شاء
الله . لحقك ان تكون في الدرك الاسفل من النار ، ولقد صلي بها من

(١) الفند ، الحرف

(٢) خزر ، ضيق العين

(٣) ضل بن ضل ، يراد به لا يعرف من اهل

هو خير منك ! ولو جاز الغلط على رب العزة لقلت انك غلط بك ... »
ويشب نابغة بني جعدة على ابي بصير فيضربه بكوز من ذهب ..
فيقول الشيخ ، اصلح الله به : « لا عزبسة في الجنان ! انما
يعرف ذلك في الدار الفانية ، بين السفلة والهجاج (١) ، وانك يا ابا
ليلي لمتترع (٢) ولولا ان في الكتاب الكريم : « لا يصدعون
عنها ولا ينزفون ! » لظنناك اصابك نزف في عقلك ! فاما ابو
بصير فما شرب الا اللبن والعسل ، وانه لوقور في المجلس .
ويريد ان يصلح بين الندماء فيقول : « يجب ان يحذر من ملك
يعبر ، فيرى هذا المجلس ، فيرفع حديثه الى الجبار الاعظم فلا يجر ذلك
الا الى ما تكرهان ! » واستغني ربنا ان ترفع الاخبار اليه ؟ ولكن
جري ذلك مجرى الحفظة في الدار العاجلة ...

ثم يصطلحان ويمر بالجالسين حسان بن ثابت فيتحدث معهم مدة .
ويفترق اهل ذاك المجلس وبعد ان اقاموا فيه كعمر الدنيا
اضعافاً كثيرة !

عوران قيس

فبينما هو يطوف في رياض الجنة يلقاه خمسة نفر على خمس اينسق
فيقول : « ما رأيت احسن من عيونكم في اهل الجنان ! فمن انتم
خلد الله عليكم النعيم ! » فيقولون : « نحن عوران قيس ... »
فيسأل احدهم ، الشاخ بن ضرار ، عن اشياء في شعره فيلقيه
تنسي كل شيء ، وكذلك تميم بن أبي ، فلا ينال منها جواباً شافياً
لان صعوبة يوم الموقف ، وفيه انتظار الحكم الآلهي ، تنسي
الانسان كل ما عمله في الدنيا .

ثم يستطرد ابن القارح الى ذكر قصته في « يوم الموقف » :

(١) الهجاج ، الحمقى (٢) متترع ، مسرع الى التهلكة

القسم الثاني

يوم الموقف

دينونة ابن القارح

فيقول : انا اقص عليك قصتي :
لما نهضت انتفض من الرِّيم (١) ، وحضرت عرصات القيامة ،
ذكرت الآية : « تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره
خمسین ألف سنة فاصبر صبراً جميلاً ! » فطال عليّ الامد ، واشتد
الظماً والرمد ، وانا رجل مهياف (٢) . فافتكرت ، فرأيت
امراً لا قوام لمثلي به . ولقيني الملك الحفيظ بما كتّيب لي من فعل
الخير ، فوجدت حسناقي قليلة كالرياض في العام الأرمِل (٣) . إلا
ان التوبة في آخرها كأنها مصباح أبيل (٤) ، رفع لسالك سبيل .

حواره مع رضوان

فلما اقيمت في الموقف زهاء شهر او شهرين ، وخفت من العرق
في العرق ، زينت لي النفس الكاذبة ان انظم ابياتاً في رضوان
خازن الجنان ، عملتها في وزن : « قفا نبك من ذكرى حبيب

(١) الرِّيم ، القبر

(٢) مهياف ، سريع العطش

(٣) الارمل ، السنة التي يقل بها المطر

(٤) أبيل ، راهب

وعرفان » ووسمتها برضوان . ثم ضانكت الناس ، حتى وقفت منه بحيث يسمع ويرى . فما حفل بي ، ولا اظنه أبه لما اقول .

فغبرت برهة نحو عشرة ايام من ايام الفانية . ثم عملت ابياتاً في وزن : « بان الحليط ولو طوعت ما بانا » (١) ووسمتها باسمه كذلك . ثم دنوت منه ففعلت كفعلني الاول ، فكنت كأنما احرك ثبيراً (٢) ، او التمس من العضم (٣) عبيراً . فلم ازل اتتبع الاوزان التي يمكن ان يومم بها « رضوان » حتى افنيته ، وانا لم اجد عنده مغوثة ، ولا اظنه فهم ما اقول ! فلما استقصيت الغرض وما نجحت ، دعوت باعلى صوتي : « يارضوان يا امين الملك الجبار الاعظم على فراديس الجنان ! الم تسمع ندائي لك ، واستغاثتي بك ؟ » فقال : « لقد سمعتك تذكر « رضوان » وما علمت مقصدك فما الذي تطلب ايها المسكين ؟ » فقلت : « انا رجل لا صبر لي على اللواب (٤) ، وقد استطلت مدة الحساب ، ومعني حك بالتوبة ، وهي للذنوب كلها ماحية . وقد مدحتك بأشعار كثيرة ، ووسمتها باسمك ! » فقال : « وما الاشعار ؟ » فقلت : « الأشعار جمع شعر ، والشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد او نقص أبانه الحسن . وكان اهل العاجلة يتقربون به الى الملوك والسادات ، فبجئت بشيء منه اليك لعلك تأذن لي بالدخول من هذا الباب ، فقد استطلت ما الناس فيه ، وانا ضعيف . ولا ريب اني ممن يرجو المغفرة وتصح له بمشيئة الله تعالى . » فقال : « انك لغيبين الرأي ، أتأمل ان

(١) من شعر جرير في الهجاء

(٢) ثبير ، اسم جبل

(٣) العضم ، تراب صعد التفتت

(٤) اللوب ، العطش الشديد

آذن لك بغير اذن من رب العزّة ؟ هيهات ! هيهات ! ... »

حواره مع زفر

فتركته وانصرفت بألمي الى خازن آخر يقال له « زفر » .
وبعد ان يمدحه بعدة قصائد يدخل فيها اسم « زفر » فلا ينجح
بحجج فيقول زفر :

لا اشعر بالذي قصدت ، واحسب هذا الذي تجيئني به قرآن
ابليس المارد ، ولا ينقق على الملائكة . انما هو للجان وعلموه نولد
آدم . فما بُغيتك ؟ « فذكرت له ما اريد . فقال : « والله ما اقدر
لك على نفع . فمن اين انت ؟ » فقلت : « من امة محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب ! » فقال : « صدقت ! ذلك نبي العرب ،
ومن تلك الجهة أتيتني بالقريض ، لان ابليس الملعين نفثه في بلاد
العرب ، فتعلمه نساء ورجال . وقد وجب علي نصيحتك ، فعليك
بصاحبك لعله يتوصل الى ما ابغيت » . فيئست مما عنده .

- ثم يهتدي إلى حمزة بن عبد المطلب ، عم محمد ، فيمدحه فيوصله -

الى علي بن ابي طالب . ولكنه يضيع صك التوبة في الطريق
فيطلب علي شاهداً على توبته ، فيشهد له قاضي حلب . على انه لا
ينال الخلاص قبل انتهاء الدينونة : فيتذمر ثم يلجأ الى « العترة المنتخبة »
حتى تخرج فاطمة فتوصي به اخاها ابراهيم فيتعلق ابن القارح بركابه ،
ويطير الفرس ، حتى يصل الى الصراط .

عبور الصراط

فلما خلصت من تلك الطموش (١) ، قيل لي : « هذا الصراط

فاعبر عليه « فوجدته خالياً لا أعريب (١) عنده . فبلوت نفسي في العبور ، فوجدتني لا استمسك . فقالت الزهراء ، صلى الله عليها جارية من جواربها : « يا فلانة أجيزيه ! » فبجعت تمارسني (٢) ، وأنا اتساقط عن يمين وشمال . فقلت لها : « يا هذه ! ان اردت سلامتي ، فاستعملي بي قول القائل في الدار العاجلة :

« ست ، ان اعيالك امري فاحمليني زَقْفُونَه ! »
« فقالت : وما زَقْفُونَه ؟ » قلت : « ان يطرح الانسان يديه على كتفي الآخر ويمسك بيديه ، ويحمله ، وبطنه الى ظهره . اما سمعت قول الجحجلول من اهل كفرطاب .
« صليت حالي الى الخلف ، حتى

صرت امشي الى الوراء زَقْفُونَه ؟ »
فقالت : « ما سمعت بزَقْفُونَه ، ولا الجحجلول ، ولا كفرطاب إلا الساعة » . فتحمليني ونجوز كالبرق الخاطف .

طلب الجواز

فلما صرت الى باب الجنة ، قال لي رضوان : « هل معك من جواز ؟ » فقلت : « لا ! » فقال : « لا سبيل الى الدخول الا به ! »

فبجعت (٣) بالامر . وعلى باب الجنة ، من داخل ، شجرة صفصاف ، فقلت : « اعطني ورقة من هذه الصفصافة ، حتى ارجع

[١] لا عريب ، لا احد

[٢] تمارسني ، تداوني

[٣] بجعت ، دهرت

الى الموقف ، فأخذ عليها جوازاً . فقال : « لا اخرج شيئاً من الجنة الا باذن من العلي الاعلى تقدر وتبارك ! »
فلما دجرت (١) بالنازلة ، قلت : « أنا لله وانا اليه راجعون
لو ان الأمير ابي المرجي خازناً مثلك ، لما وصلت انا ، ولا غيري
الى درهم من خزائنه ! »

دخوله الجنة

والتفت ابراهيم ، صلى الله عليه ، فرآني ، وقد تحلفت عنه .
فرجع الي ، فاجذبني جذبة حصّاني بها في الجنة . وكان مقامي في
الموقف مدة ستة اشهر من شهر العاجلة ، فلذلك بقي علي حفظي
ما نزقته الاهوال ، ولا نهكه تدقيق الحساب .



القسم الثالث

المقام في الجنة

حميد بن ثور

يلتقي الشيخ بتطوافه في امصار الجنة بجماعة من الشعراء فيسألهم
فأيكم حميد بن ثور ؟ « (١) فيقولون : « هذا ! » فيسلم عليه
الشيخ ويقول : « إيه يا حميد ! لقد احسنت في قولك :
ارى بصري قد رابني ، بعد صحة

وحسبك ذاء ان تصحح وتسألها

فكيف بصرك ؟ » فيقول : « اني لأكون في مغارب الجنة ،
فالبحر الصديق من اصدقائي وهو بمشارقتها ، وبينني وبينه مسيرة الالف
اعوام للشمس التي عرفت سرعة سيرها في العاجلة . فتعالى الله القادر
على كل بديع ! »

مأدبة الجنة

تهيئة الطعام

ويبدو له ان يصنع مأدبة في الجنان ، يجمع فيها من امكن من
شعراء الحضرة والاسلام ، والذين أملوا كلام العرب ، وجعلوه
محفوظاً في الكتب . ويخطر له ان تكون كمآدب الدار العاجلة

اذ كان البارى ، جلّت عظمته ، لا يعجزه ان يأتهم بجميع الاغراض من غير كلفة ولا ابطاء . فتنشأ ارحاء (١) على الكوثر تجمع الطحن بر الجنة .

ويحبس (٢) في صدره ارحاء تدور فيها البهائم ، فيمثل بين يديه ما شاء من البيوت فيها احجار من جواهر الجنة ، تدبر بعضها جمال تسوم (٣) في عضاه (٤) الفردوس ، واينق ، وصنوف من البغال ، والبقر .

فاذا اجتمع من الطحن ما يظن أنه كاف للمأدبة ، تفرق خدمة فجاؤوا بالعماريس (٥) ، وضروب الطير التي جرت العادة يأكلها : كأبجاج (٦) العكارم (٧) ، وجوازل (٨) الطواويس ، والسمين من دجاج الرحمة ، وفراريج الخلد . وسيقت البقر ، والغنم ، والابل لتعتبط (٩) . فارتفع يعار (١٠) المعز ، وثواج (١١) الضان ، وصياح الديكة لعيان المدينة . وذلك كله ، بحمد الله ، لا ألم فيه ، وانما هو لعب ! فلا اله الا الله الذي ابتدع خلقه من غير روية ، وصوره بلا مثال !

-
- (١) ارحاء ، حمارة الطحن
 - (٢) يحبس ، يضمرفي صدره
 - (٣) تسوم ، ترعى
 - (٤) العضاه ، نبات ذو شوك
 - (٥) العماريس ، ج عمروس ، الجدي
 - (٦) ابجاج ، فراخ الطير
 - (٧) العكارم ، انثى الحمام
 - (٨) جوازل ، فراخ الحمام
 - (٩) لتعتبط ، لتعجر
 - (١٠) يعار ، صوت المعز
 - (١١) الثواج ، صياح الغنم

فاذا حصلت النحوض (١) فوق الاوفاض (٢) ، قال : احضروا
من الجنة الطهارة الساكنين بجلب على ممر الأزمان . فتحضر جماعة
كثيرة فيأمرهم باتخاذ الاطعمة . وتلك لذة يهبها الله ، عز سلطانه
بدليل قوله : « وفيها ما تشتهيه الانفس ، وتلد الاعين ، وانتم
فيها خالدون ! وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ! لكم
فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ! »

المدعوون

فاذا أتت الاطعمة افترق غلمانة لاحضار المدعوين . فلا يتركون
في الجنة شاعراً اسلامياً ولا مخضرمأ ، ولا عالماً بشيء من اصناف
العلوم ، ولا متأدياً ، الا احضروه ، فيجتمع خلق كثير ، فتوضع
الحون من الذهب ، والفواثير (٣) من اللجين . عليها الآكلون
وتنقل اليهم الصحف ...

الشرب والغناء

فاذا قضاوا الارب من الطعام ، جاءت السقاة بأصناف الاشربة
والمسمعات بالأصوات المطربة . ويقول : « عليّ بمن في الجنة من
المغنين والمغنيات ، بمن كانوا في الدار العاجلة فقُضيت له التوبة . »
فتحضر جماعة من رجال ونساء ، فيهم الغريض ، ومعبد ، وابن
سريج ، وابراهيم الموصلي ، وابنه اسحق

(١) الاوفاض ، الاخشاب حيث يقطع اللحم

(٢) الحون ، ما يوضع عليه الطعام

(٣) الفواثير ، وهي الحوان ، اي ما يوضع عليه الطعام

الرقص

ويذكر الأبيات التي تنسب إلى الخليل بن أحمد (١) ، والخليل يومئذٍ
في الجماعة ، وإنما تصلح لأن يرقص عليها . فينشئ الله القادر ،
بإطف حكمته ، شجرة من الجوز ، فتونع لوقتها . ثم تنفض
عددًا لا يحصيه إلا الله ، سبجانه . وتنشق كل واحدة منه عن
جوار يرقن الرائين ، يرقصن على الأبيات المنسوبة إلى الخليل وأولها :
ان الخليط تصدع فطير بدائك ، اوقع (٢)

فتتهز أرجاء الجنة ...

ويقول : « لمن هذه الأبيات ، يا أبا عبد الرحمن ؟ » فيقول
الخليل : « لا أعلم ! » فيقول : « أنا كنا في الدار العاجلة نروي
هذه الأبيات لك . » فيقول الخليل لا أذكر شيئاً من ذلك .
ويجوز أن يكون ما قيل حقاً . فيقول : « انسييت ، يا أبا عبد
الرحمن ، وانت اذكرى العرب في عصرك ! » فيقول الخليل : «
إن عبور الصراط ينفض الخلد (٣) مما استودع . »

ويعبر طاووس من طواويس الجنة يروق من رآه حسناً . فيشتهيه
أبو عبيدة مصوصاً (٤) . فيتكون كذلك في صحفة من الذهب .
فإذا قضى منه الوطر ، انضمت عظامه بعضها إلى بعض ، ثم تصير
طاووساً كما بدا . فتقول الجماعة : « سبجان من يحيي العظام وهي
رميم ! » ويفتق أهل ذلك المجلس ، وهم ناعمون !

(١) الخليل : من أشهر علماء اللغة والنحو .

(٢) تصدع : تفرق . (٣) الخلد : البال ، الفكر .

(٤) المصوص : طعام من لحم الطير يطبخ وينقع في الخل .

القسم الرابع

جنة العناريت

ويبدو له ان يطالع الى اهل النار ، فيركب بعض دواب الجنة ويسير . فاذا هو بمدائن ليست كمدائن الجنة ، ولا عليها النور الشعشائي وهي ذات ادحال وغماليل فيقول لبعض الملائكة : « ما هذه يا عبد انا ؟ » فيقول هذه جنة العناريت الذين آمنوا بمحمد ﷺ وذكروا في « الاحقاف » وفي « سورة الجن » وهم عدد كثير . فيعرج عليهم . فاذا هو بشيخ جالس على باب مغارة ، فيسلم عليه فيحسن الرد ... فيقول : « ما اسمك ايها الشيخ ! » فيقول : « أنا الحيتعمور احد بني الشيصبان ، ولست من ولد ابليس ، ولكننا من الجن الذين كانوا يسكنون الارض قبل ولد آدم . »

اناشيد الجن

فيقول : « اخبرني عن اشعار الجن . فقد جمع المعروف » بالمرزباني قطعة صالحة . « فيقول ذلك الشيخ : « انما ذلك هذيان لا معتمد عليه ! وهل يعرف البشر من النظم الا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الارض ؟ وان لهم خمسة عشر جنساً من الموزون ، قل ما يعدوها فقاتلون ، وان لنا لآلاف اوزان ما سمع بها الانس وانما كانت تخطر بهم أطيفال (١) منا عارفون ، فتنفث اليهم مقدار

الضوازة (١) من اراك نعان (٢) ولقد نظمت الرجز والقصيد قبل
ان يخلق آدم بكور (٣) او كورين .
ثم يتلو عليه من نظمه راوياً قصته .

لغة الجن

فيقول : « لله درك يا ابا هدهد رش ! فكيف السنتكم ؟ أيكون
فيكم عرب لا يفهمون عن الروم ، وروم لا يفهمون عن العرب ،
كما نجد في أجيال الانس ؟ » فيقول : « هيهات ! ايها المرحوم !
إننا اهل ذكاء وفطن ولا بد لأحدنا ان يكون عارفا بجميع اللسان
الأنسية ولنا ، بعد ذلك ، لسان لا يعرفه الانيس ! »
ويتلو عليه قصيدة فيها ذكر مغامراته زمن الكفر ثم ذكر
توبته ، منها :

مكة أقوت من بني الدرديس ° فإلجني بها من حسيس ! (٤)

* * *

لا انتهى عن غرضي بالرقى

إذا انتهى الضيغم ، دون الفريس ° (٥)

(١) الضوازة : السواك .

(٢) الاراك : شجر السواك .

(٣) الكور : ١٥٠ سنة .

(٤) الدرديس : من قبائل الجن .

(٥) الرقي : التعاويذ .

وأدلى الظالماء في فتية

ملجن ، فوق الماحل العبريسيس (١)

في طام تعزف جنائنه أقفر ، إمن عفاريت ليس (٢)
تحملنا في الجنج خيل له - ا اجنحة ليست كخيل الانيس
وأينق تسبق ابصاركم مخلوقة بين نعام وعيس (٣)

* * *

لا نسك في أيامنا عندنا

بل نكس الدين ، فما إن نكيس (٤)

فلا حد الاعظم والسبت كال اثنين والجمعة مثل الخميس
لا تُجس نحن ، ولا هود ولا نصارى يبتغون الكنيس
نمزق التوراة من هونها ونحطم الصليبان حطم اليبيس
نحارب الله جنوداً لا ؛ ليس أخي الرأي الغيبين النجيس
ونسلم الحكم إليه - اذا قاس - فنرضى بالضلال المقيس .

* * *

(١) ادلىج : سار في الليل .

(١) ليس : البس : شجاع .

(٢) عيس : الجمال .

(٣) نكس : اعمل شأنه .

ترن للشارخ والشيخ أن

يفرغ كيساً في الحنا ، بعد كيس (١)

وتقتري جن سليمان كي

نطلق منها كل غاو حبيس (٢)

صير في قارورة رصصت فلم تغادر منه غير النسيس (٣)

ونخرج الحسناء من بيتها مطرودة عن سوء ظن حديس

* * *

لا اتقي البر لأهواله واركب البحر أوان القريس (٤)

نادمت قابيل ، وشيتاً وها بيل على العاتقة الخندريس

ورھط لقمان وأيساره عاشرت من بعد الشباب اللبیس

* * *

ثمت آمنت ! ومن يرزق الايمان يظفر ، بالخطر النفيس

جاهدت في بدر ، وحاميت في

أحد ، وفي الخندق رعت الرئيس

(١) الشارخ : الفتى .

(٢) تقتري : تتبع .

(٣) النسيس : بقية الروح ،

(٤) القريس : البرد الكبير

وراء جبريل وميكال نحن لي في الكبة خلي اللسيس (١)
 وطار في اليرموك ، بي سابح والقوم في ضرب وطعن خليس
 حتى تجلت عني الحرب كالج مرة في وقدة ذاك الوطيس
 والجل الانكد شاهده بش نتيج الناقة العنتريس (٢)
 وزرت صفين على شطبة جرداء ، ما سائسها بالاريس (٣)
 مجدلاً بالسيف أبطالها وقاذفاً بالصخرة المرمريس
 وسرت قدام علي غد اة النهر حتى قل غرب الخميس (٤)
 صادف مني واعظ توبة فكانت اللقوة عند القبيس
 فيعجب لما سمعه من ذاك الجني ويكره الاطالة عنده ، فيودعه

الاسد والفريسة

ويجم (٥) فادا هو بأسد يفترس من صيران (٦) الجنة وحسيلها (٧)
 فلا تكفيه هنيذة ولا هند (٨) . فيقول في نفسه : « لقد كان
 الاسد يفترس الشاة العجفاء فيقيم عليها الايام ، لا يطعمم سواها

(١) الكبة : الصدمة بين الجيشين

(٢) الجل الانكد : جل عائشة

(٣) شطبة : فرس حسنة القوام

(٤) الخميس ، الجيش

(٥) يجم ، يمشي

(٦) صيران ، قطعان بقر الوحش

(٧) الحيل ، المجول

(٨) هنيذة ولا هند ، اي مائة ولا مائتان

شيئاً ! » فيلهم الله الاسد ان يتكلم ، وقد عرف ما في نفسه ،
فيقول : « يا عبد الله ! اليس احذكم في الجنة ، تقدم له الصحيفة ، فيأكل
منها مثل عمر السموات والارض ، يلتذ بما اصاب ، فلا هو مكتفٍ
ولا هي الفانية . وكذلك انا افترس ما شاء الله . فلا تأذي الفريسة
بظفر ولا ناب ، ولكن تجد من اللذة كما اجد ، بلطف ربها العزيز . »

اقصى الجنة بيت الخطيئة

فيذهب ، فاذا هو ببيت في اقصى الجنة ، كأنه حفش (١)
أمة راعية . وفيه رجل ليس عليه نور سكان الجنة ، وعنده شجرة
قيئة (٢) ثمرها ليس بذاك : فيقول : « يا عبد الله ! لقد رزيت
بحقير ! » فيقول : « والله ! ما وصلت اليه الا بعد هياط ومياط (٣)
وعرق من شقاء ، وشفاعة من قریش وددت انها لم تكن ! »
فيقول : « من انت ؟ » فيقول : « انا الخطيئة العبسي ! (٤)
فيقول : « بم وصلت الى الشفاعة ؟ » فيقول : « بالصدق ! »
فيقول : « في اي شيء ؟ » فيقول : « في قولي :
أبت شفتاي اليوم الا تكلماً بهجر ، فلا ادري لمن انا قائله !
ادري لي وجهاً شوه الله خلقه فقبُح من وجهه ! وقُبُح حامله !
فيقول : « ما بال قولك :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس [٥]
لم يُغفر لك به ؟ » فيقول : سبقني الى معناه الصالحون . ونظمته
ولم اعمل به ، فحرمت الاجر عليه »

(١) الحفش ، البيت الحقير (٢) قيئة ، صغيرة (٣) هياط ومياط ، مجيء وذهاب

(٤) الخطيئة ، اشهر شعراء الهجاء (٥) العرف ، المعروف

القسم الخامس

جبرئيل

الخنساء وشقيقتها

... ويمضي ، فاذا هو بامرأة في اقصى الجنة ، قريبة من المطلع الى النار ، فيقول : « من انتِ ؟ » فتقول : « أنا الخنساء (١) السليمية . أحببت ان أنظر الى صخر . فاطلعت ، فرأيت كالجبل الشامخ ، والنار تضطرم في رأسه فقال : « لقد صح مزعمك في ! يعني قولي :

وان صخر لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار» (٢)

بشار بن برد وابليس

فيطلع فيرى إبليس ، لعنه الله ، وهو يضطرب في الأغلال والسلاسل ومقامع (٣) الحديد تأخذه من ايدي الزبانية . فيقول « الحمد لله الذي أمكن منك يا عدو الله ، وعدو اوليائه ، لقد اهلكت من بني آدم طوائف لا يعلم عددها الا الله ! » فيقول : « من الرجل ؟ » فيقول : « انا فلان بن فلان من أهل حلب ، كانت صناعتي الأدب . » ... فيقول ابليس : « فما فعل بشار بن برد (٤) »

(١) الخنساء ، (تمارض بنت عمرو) كبرى شعراء العرب .

(٢) علم ، جبل

(٣) مقامع ، العصي التي يضرب بها الانسان

(٤) بشار ، بشار بن برد من شعراء العصر العباسي الاول

فان له عندي يسداً ليست لغيره من ولد آدم : كان يفضلني دون الشعراء ، وهو القائل :

ابليس أفضل من ابيكم آدم فتبينوا ، يا معشر الاشرار
النار عنصره ، وآدم طينة^١ والطين لا يسمو سمو النار

لقد قال الحق ولم يزل قائله من المفقوتين !
فلا يسكت من كلامه ، الا ورجل في أصناف العذاب ،
يغمض عينيه حتى لا ينظر الى ما نزل به من النقم ، فيفتحها
الزبانية بكلايب من نار . واذا هو ببشار بن برد قد اعطي عينين
بعد الكمه ، ينظر الى ما نزل به من النكال .

الملك الضليل

ويسأل عن امرئ القيس بن حجر (١) فيقال : « ها هوذا
بحيث يسمعك . » يا ابا هند ، أخبرني عن التسميط (٢) المنسوب
اليك ، اصحيح هو عنك ؟ » وينشد الذي يرويه بعض الناس :

يا قوم ، ان الهوى اذا اصاب الفتى

في القلب ، ثم ارتقي فقد بعض القوى

فقد هوى الرجل

فيقول : « والله ! ما سمعت هذا قط ، وان الكذب لكثير
واحسب هذا لبعض شعراء الاسلام ، ولقد ظمني واساء الي . »
فيعجب بما سمعه ...

(١) امرؤ القيس ، أشهر شعراء الجاهلية .

(٢) التسميط : نوع من الشعر الخمس ،

عنترۃ العبسي

وينظر ، فاذا عنترۃ (١) متلدد (٢) في السعير . فيقول :
« مالك يا اخا عبس ؟ كأنك لم تنطق بقولك :
ولقد شربتُ من المدامة ، بعد ما

ركد الهواجر ، بالمشوف المعلم ، (٣)

بزجاجة صفراء ذات اسرة

قرنت بأزهر ، في الشمال ، مقدم (٤)

« واني اذا ذكرت قولك : « هل غادر الشعراء من متردم ! »
لأقول : انما قيل ذلك وديوان الشعر قليل ، محفوظ . فاما الآن فلو
سمعت ما قيل بعد مبعث النبي (ﷺ) ، لعتبت نفسك على ما قلت
ولقد شق علي دخول مثلك الى الجحيم . »

علقمة بن عبدة

وينظر فاذا علقمة بن عبدة . فيقول : « اعزز علي بمكانك !
ما اغنى عنك سمطاً لؤلئك (٥) ولو شفعت لأحد ابيات صادقة ليس
فيها ذكر الله سبحانه ، لشفعت لك ابياتك في وصف النساء ،
اعني قولك :

(١) عنترۃ ، من اشهر فرسان الجاهلية وشعرائها

(٢) متلدد ، متحير

(٣) ركد ، سكن

(٤) ازهر ، ابريق مقدم ، مسدود بالفدام

(٥) سمط لؤلئك ، يعني اشهر قصائده

فان تسألوني بالنساء ، فاني بصيرٌ بأدواء النساء ، طيب :
اذا شاب رأس المرء ، او قل ماله
فليس له ، في ودهن ، نصيب ! ..

عمرو بن كلثوم

« فليت شعري ! ما فعل عمرو بن كلثوم ؟ » (١) فيقال :
ها هوذا من تحتك . ان شئت ان تحاوره فحاوره . . فيقول :
« كيف انت ايها المصطبج (٢) بصحن الغانية ، والمغتبق (٣) من
الدنيا الغانية ! لوددت انك لم تساند في قواك :

كأن متونهم متون عُذر تصفقها الرياحُ اذا جرينا !
فيقول : عمرو : « إنك لقرير العين ، لا تشعر بما نحن فيه .
فاشغل نفسك بتمجيد الله ، واترك ما ذهب فانه لا يعود . واما
ذكرك سنادي فان الاخوة ليكونون ثلاثة او اربعة ، ويكون
فيهم الأعرج ، والانجق (٤) فلا يعابون بذلك . فكيف اذا بلغوا
المائة في العدد ؟ »

طرفة

ويعمد لسؤال طرفة بن العبد (٥) فيقول : « يا ابن اخي ،
يا طرفة ، خفف الله عنك ! اذكر قولك :

(١) عمرو بن كلثوم : بطل وشاعر جاهلي

(٢) المصطبج ، الشارب صباحا

(٣) المغتبق ، الشارب مساء

(٤) الانجق ، الاعور القبيح

(٥) طرفة بن العبد ، صاحب المعركة الثانية شاعر جاهلي معروف ، مات وهو في سن الشباب

كسريم يروي نفسه في حياته سنتعلم ، إن متنا غداً ، اينما الصدي !
« قولك :

ارى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوي في البطالة مُفسد (١)
« فكيف صبحك الان وغبوقك ؟ اني لاحسبها حميما ! ولو
لم يكن لك أثر ، في الدار العاجلة ، إلا قصيدتك التي على
الدال ، (٢) لكنت ابقيت اثرأ حسناً ! » فيقول طرفة :
« وددت اني لم انطلق مصراعاً ، ودخلت الجنة مع الهمج والطمع ..

أوس بن حجر

ثم يرى اوس بن حجر (٣) فيسأله عن بيت ورد في شعره وفي
شعر النابغة لمن هو ! فيقول أوس :
« قد بلغني أن نابغة بني ذبيان في الجنة فأسأله عما بدا لك .
فأعلمه بخبرك ، فهو أجدر ان يعي هذه الاشياء . فاما انا فقد ذهلت :
فان توقد ، وبنان يعقد ، اذا غلب عليّ الظمأ ، رُفع الي شيء كالنهر
فاذا اغترفت منه لأشرب ، وجدته سعيراً مضطرباً . ولقد دخل
الجنة من هو شرّ مني ولكن المغفرة ارزاق ، كأنها النشب (٤)
الدار العاجلة ! »

الأخطل

واذا هو برجل يتضور (٥) فيقول : « من هذا ؟ » فيقال :

(١) نحام ، حريس على جمع المال

(٢) اي المعلقة .

(٣) أوس بن حجر ، من اقدم شعراء الجاهلية

(٤) النشب ، المال .

(٥) يتضور ، يتوجع

« الاخطال التغلبي ! » (١) فيقول له : « ما زالت صفتك للخمر حتى غادرتك اكلاً للخمر ! فكم طربت السادات على قولك : أناخوا ، فجزوا شاصيات كأنها رجال من السودات لم يتسر بلوا (٢) فقلت : « اصبحوني الا ابا لايكم ! »

وما وضعوا الاثقال الا ليفعلوا (٣)
فصبوا عقاراً في الافاء كأنها

اذا لمحوها ، جذوة تتأكل ! (٤)

ثم يقول له : « اخطأت في امرين : جاء الاسلام ، فعجزت ان تدخل فيه . وعاشت يزيد بن معاوية . » فيزفر الاخطال زفرة تعجب لها الزبانية ويقول : « آه على ايام يزيد ! أسوف (٥) عنده عنبراً وامزح معه مزح خليل .. ولقد فاكته بعض الايام وانا سكران ملتخ (٦) فقلت :

الا اسلم ، سلمت ، ابا خالد ! وحياءك ربك بالعنقر (٧)

اكلت الدجاج ، وأفنيتها . فهل في الخنايص من مغمز (٨)

(١) الاخطال ، اشهر شعراء الامويين اشتهر بوصفه للخمر

(٢) شاصيات ، زقاق ملئت حتى ارتفعت قوائمها .

(٣) اصبحوني ، استقوني عند الصبح

(٤) العقار ، الخمر

(٥) أسوف ، أشم

(٦) ملتخ ، غير مترن بكلامه بسبب السكر

(٧) العنقر : نبات طيب الرائحة .

(٨) الخنايص : ج . خنوص : ولد الخنزير .

فما زاد عن ابتسام ، واهتز للصلة ! »
ويسأله الشيخ عن مذهب يزيد « أكان موحداً أم ملجداً »
فيقول الاخطل : كانت تعجبه هذه الابيات :
أخالد ؟ هاتي خبريني وأعلمني حديثك اني لا اسر التناجيا (١)
حديث ابني سفيان ، لما سما بها الى أحد ، حتى أقام البواكيا (٢)
وكيف بغى امرأ علي ، ففاته واورثه الجُد السعيد معاويا .
وقومي فمُليني ، على ذاك قهوة تحلبها العيسي كرمًا شاميا . (٣)
اذاما نظرفا في امور قديمة وجدنا حلالا شرها المتواليما
فلا خلف بين الناس ، ان محمداً تبوأ رمسا ، في المدينه ثاويا !
فيقول : « عليك البهلة ! قد ذهلت الشعراء من اهل الجنة والدار
عن الممدح والنسيب ، وما شُدهت (٤) عن كفرك ولا اساءتك !
وابليس يسمع ذلك الخطاب كله ، فيقو للزبانية : « ما رايت
اعجز منكم ، إخوان مالك ! ألا تسمعون هذا المتكلم بما لا يعنيه
فلو ان فيكم صاحب نخيزة (٥) ، لوثب وثبة حتى يلحق به فيجذبه
الى سقر ! » فيقولون : « ليس لنا على اهل الجنة سبيل ! »
ثم يعود الى كلام الاخطل فيقول : أأنت القائل هذه الابيات :

(١) اعاني : جاهري .

(٢) سما : ارتفع .

(٣) عابني : اسقيني

(٤) ما شدهت : ما حرت بما انت فيه !

(٥) : نخيزة : طيعة .

ولست بصائمٍ رمضَن طوعاً ، ولستُ بآكلٍ لحمٍ الاضاحي
ولست بقائم ، كالغيرِ ادعو قبيل الصبح : « حي على الفلاح ! »
ولكنني سأشربها شمولاً وأسجد عند مُنبليج الصباح !
فيقول : « اجل ! واني لنادم سادم (١) ! وهل اغنت الندامة ! »

المهلل

ويمل من خطاب اهل النار ، فينصرف الى قصره المشيد . فاذا
صار على ميلٍ او ميلين ، ذكر انه ما سأل عن مهلل التغلبي ،
ولا عن الشنفرى ، وتأبط شراً . فيرجع على ادراجهِ ، فيقف
بذلك الموقف وينادي : « ابن عدي بن ربيعة ؟ » فيقال : « زد
في البيان ! » فيقول : الذي يستشهد النحويون بقوله :
ضربت صدرها إلي ، وقالت : « ياعديا لقد وقتك الاواقى »
فيقال : « انك لتعرف صاحبك بامرٍ لا معرفة عندنا به !
ما النحويون ؟ وما الاستشهاد ؟ وما هذا الهذيان ؟ »
فيقول : « اريد المعروف بمهلل (٢) التغلبي ، اخي كليب
وائل الذي كان يضرب به المثل . » فيقال : « ها هوذا يسمع
حوارك ، فقل ما تشاء ! » فيقول : يا « عدي بن ربيعة ! أعزز
علي بولوجك هذا المواج ! لو لم آسف عليك الا لأجل قصيدتك
التي اولها :

أليستنا بذئ حُسم ، أنيري ! اذا انت انقضيت ، فلا تحوري !

(١) سادم ، بمعنى نادم .

(٢) المهلل ، (عدي بن ربيعة) من اقدم الشعراء الجاهليين .

« لكانت جديرة ان 'تطيل الاسف عليك . »

الشنفري وتأبط شراً

ويسأل عن الشنفري (١) الأزدي فيلغيه « قليل التشكي » (٢)
والتألم لما هو فيه . فيقول : « اني لا اراك قلقاً مثل قلق اصحابك ! »
فيقول : « اجل ! اني قلت بيتاً في الدار الخادعة ، فانا اتأدب به
وذلك قولي :

غوى فغوت ! ثم ارعوى بعد وارعوت

والمقبر ، ان لم ينفع الشكو ، اجل ! »
واذا هو قرين مع تأبط شراً (٣) ، كما كان في الدنيا الغرارة .

(١) الشنفري ، شاعر جاهلي قديم

(٢) « قليل التشكي » ، هكذا ينعتة صديقه تأبط شراً

(٣) تأبط شراً ، شاعر جاهلي كان معاصراً للشنفري

القسم السادس

الرجوع الى الحق

آدم

فاذا رأى قلة الفوائد لديهم ، تركهم في الشقاء السرمد ، وعمد
لمحلته في الجنان . فيلقى آدم ، عليه السلام ، في الطريق . فيقول :
« يا أبانا ، صلى الله عليك ! قد روي لنا عنك شعر منه قولك :
نحن بنو الارض وسكانها منها خلقنا ، واليهما نعود !
والسعيد لا يبقى لاصحابه والنحس تمحوه ليالي السعود !
فيقول : « ان هذا القول حق ، وما نطقه الا بعض الحكماء
ولكني لم اسمع به حتى الساعة . » فيقول : « فلعلك ، يا أبانا ،
قلته ثم نسيت ! فقد علمت ان النسيان متسرع اليك ، وحسبك
شهاداً على ذلك الآية المتلوة في قرآن محمد ﷺ : « ولقد عهدنا
الى آدم من قبل ، فنسي ولم نجد له عزماً ! » وقد زعم بعض
العلماء أنك سميت « انساناً » . لنسيانك . واحتج على ذلك بقولهم
في التصغير : « أنيسيان » . وفي الجمع : « أناسي » وقد روي
أن الانسان من النسيان عن ابن عباس ، وقال الطائي :
لا ينسي تلك اليهود ، وانما سميت إنساناً لانك ناسي ! »
فيقول آدم ﷺ : « أبيت الا عقوقاً وأذية ! إنما كنت اتكلم

العربية ، وانا في الجنة . فلما هبطت الارض ، نقل لساني الى السريانية ، فلم انطق بغيرها الى ان هلكت . فلما ردني الله ، سبحانه وتعالى ، الى الجنة عادت علي العربية . فاي حين نظمت هذا الشعر ؟ في العاجلة ام في الآجلة ؟ والذي قال ذلك يجب ان يكون قاله وهو في الدار الماكرة ، الا ترى قوله : « منها خلقنا واليها نعود » ؟ فكيف اقول هذا المقال ولساني سرياني ؟ واما الجنة قبل ان اخرج منها ، فلم اكن ادري بالموت ، فيها ، وانه مما حكم على العباد . واما بعد رجوعي اليها ، فلا معنى لقولي : « واليها نعود ! » لانه كذب لا محالة ، ونحن معاشر اهل الجنة خالدون مخلدون ! »

فيقول : « ان بعض اهل السير يزعم ان هذا الشعر وجده يعرب في متقدم الصحف السريانية ، فنقله الى لسانه ، وهذا لا يمنع ان يكون . وكذلك يروون لك ، صلى الله عليك ، لما قتل قابيل هابيل :

تغيرت البلاد ، ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح !
واودي ربع اهلها فبانوا وغودر في الثرى الوجه المليح !

فيقول آدم عليه السلام : « أعز علي بكم ، معشر بني ! انكم في الضلالة متهوكون ! (١) آليت (٢) ما نطقت هذا النظم ، ولا نطق في عصري . وانما نظمه بعض الفارغين ، فلا حول ولا قوة الا بالله ! كذبتهم على خالقكم وربكم ، ثم على آدم ابيكم ، ثم على حواء امكم ، وكذب بعضهم على بعض ! »

(١) متهوكون : متهورون .

(٢) آليت : اقسمت .

اللذة القصوى

ويذكر الشيخ ما كان يلحق أخا الندام ، من فتور في الجسد من المدام ، فيختار أن يعرض له ذلك من غير أن ينزف له لب (١) « فاذا هو يخال في العظام الباعمة دبب نمل ، أسرى في المقمرة على رمل ، فيتوهم بقول إياس بن الارت :

أعاذل ، لو تربت الخمر حتى يظل لكل امرأة دبب
أذن لعذرتني ، وعلمت اني لما ألتفت من مالي ، مصيب !

ويتكى على مفرش من السندس ، ويأمر بالخور العين ، أن يحمل ذلك المفرش ، فيضعه على سرير من سرر أهل الجنة ، وإنما هو زبرجد أو عسجد . فيكون الباري فيه حلقاً من الذهب تطيف به من كل الأنحاء حتى يأخذ كل واحدة من الغلمان ، وكل واحدة من الجواري المشتبهة بالجمان ، واحدة من تلك الحلق ، فيحمل على تلك الحال إلى محله المشيد بدار الخلود . فكلما مر بشجرة نضجت أغصانها بماء الورد قد خلط بماء الكافور ، وبمسك ما جني من دماء الفور (٢) ، بل هو بتقدير الله الكريم . وتناديه الثمرات من كل أوب ، وهو مستلق على الظهر : « هل لك ! يا أبا الحسن ، هل لك ! » فاذا أراد عنقوداً من العنب أو غيره ، انقضب له من الشجرة بشيئة الله ، وحملته القدرة إلى فيه . وأهل الجنة يلقونه بأصناف التحية ، « وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين »

ينتهي أبو العلاء ، بهذا المقطع ، تصوير الجنة والنار وما فيها ، ثم يبدأ بالرد على رسالة ابن القارح ونحن نقف بدورنا عند هذا الحد من رسالة الفخران لننتقل إلى المنتخبات .

(١) نزف له : حصل له دوار . (٢) الفور : ج . فائر : نوع من الفولان

منتخبات شهرية

قدرة الله

انفرد الله بسلطانه فقاله في كل حال كفاء
ما خفيت قدرته عنكم وهل لها عن ذي رشاد خفاء
إن ظهرت نار كما خبروا في كل أرض فعلينا العفاء
تهوى الشُّرَيَّا ويلين الصفا من قبل ان يوجد أهل الصفاء
فدُفِّدَ الصديق ومات الهدى واستحسن الغدر وقل الوفاء
واستشعر العاقل في سُقمه ان الردى مما عناه الشفاء
واعترف الشيخ بأبنائه وكلهم ينذر منه انتفاء
ربهم بالرفق حتى إذا شبوا عنا الوالد منهم جناء
والدهر يشتف أخلاءه كأنما ذلك منه اشتفاء

نار الشيعة

أولو الفضل في اوطانهم غرباء تشد وتناى عنهم القرباء
فما سبئوا الراح السكيت للذة ولا كان منهم للخراد سبباء

وحسبُ الفني من ذلة العيش أنه

يروحُ بأدنى القوت وهو حباء

إذا ما خبت نار الشبيبة ساءني ولو نصَّ لي بين النجوم خباء

أرايبك في الودِّ الذي قد بذلته فاضعف أن أجدي لديك رباء

وما بعد مراحِ الخس عشرة من صباً ولا بعد مرِّ الأربعين صباء

أجدك لا ترضى العبادة ملبساً ولو بان ما تسديه قيل عباء

وفي هذه الأرض الركون مَنابت فمنها علمندي ساطع وِكباء

تواصلَ حبلُ النسلِ ما بين آدم وبينني ولم يوصلَ بلامي بساء

تشاءب عمرو إذ تشاءب خالدٌ بعدوى فما أعدتني الثوباء

وزهدني في الخلقِ معرفتي بهم وعلمي بأنَّ العالمين هباء

وكيفَ تَلافي الذي فات بعد ما تلمَّعَ نيرانُ الحريقِ أباء

إذا نزلَ المقدار لم يك ثلقطاً نهوضٌ ولا للمخدرات إباء

وقد نطحتُ بالجيشِ رَضى فلم تُبَلِّ

ولزَّ برايات الخسيسِ مُقباء

على الولدِ يحني والد ولو أنهم ولادةٌ على امصارهم مُخطباء

وزادكُ بعداً من بنيك وزادهم عليك حقوداً أنهم نجباء

يرون أبا ألقاهم في مؤرَّبٍ من العقد ضلت حبله الأرباء
وما أدب الأقوام في كل بلدة إلى المين إلا معشر أدباء
تبَّعنا في كل نقبٍ ومخرمٍ منايا لها من جنسها نقباء
إذا خافت الأسدُ الخماصُ من الظبا
فكيف تعدِّي حكمن ظبا

الحكمة الفاتحة

إذا كان علمُ الناس ليس بنافعٍ ولا دافعٍ فالخسرُ للعلماء
قضى الله فينا بالذي هو كائنٌ فتمَّ وضاعتُ حكمةُ الحكماء
وهل يَأْبَقُ الإنسان من مأك ربه فنخرج من أرض له وسما
سنتبع آثار الذين تحملوا على ساقَةٍ من أعبدٍ واماء
لقد طال في هذا الأنام تعجبي فيا لرواءٍ قوبلوا بطماء
أرامي فتشوى من أعاديهِ أسهمي

وما صاف عني سهمه برماء
وهل أعظمُ الأغصونُ وريقةٌ وهل ماؤها إلا جنى دماء
وقد بان أن النحس ليس بغافلٍ له عملٌ في أنجمٍ - الفهماء
ومن كان ذا خودٍ وليسُ بمكثرٍ فليس بمسحوبٍ من الكرماء

نهابُ أمورا ثم نركب هولها على عنت من صاغرين قماء
أفيقوا أفيقوا يا مغواة فأنما ديانا تكم مكر من القدماء
أرادوا بها جمع الحطام فأدر كوا وبادوا وماتت سنة اللؤماء
يقولون ان الدهر قد حان موته ولم يبق في الايام غير ذماء
وقد كذبوا ما يعرفون انقضاءه فلا تسمعوا من كاذب الزعماء
وكيف أقضي ساعة بمسرة وأعلم ان الموت من غرمائي
خذوا حذرا من اقربين وجانب ولا تدهلوا عن سيرة الحزماء

البلاء باق

قد حجب النور والضياء وإنما ديننا رياء
وهل يجود الحيا أناسا منطويا عنهم الحياء
يا عالم السوء ما علمنا ان مصليك اتقيا
لا يكذبن امرؤ جهول ما فيك لله اولياء
ويا بلاداً مشى عليها اولو افتقار واغنياء
اذا قضى الله بالخازي فكل اهلك اشقياء
كم وعظ الواعظون منا وقام في الارض انبياء
فانصرفوا والبلاء باق ولم يزل داؤك العياء

حكم جرى للمليك فينا ونحن في الأصل اغبياء

استعجال الموت

حياة عناء وموت عنا	فليت بعيد حمام دنا
يد صفرت ولهة ذوت	ونفس تمت وطرف رنا
وموقد نيرانه في الدجى	يروم سناء برقع السنى
يحاول من عاش ستر القميص	وملء الخيصر وبرء الضنى
ومن ضمه جدث لم يُبَل	على ما أفاد ولا ما اقتنى
يصير تراباً سواء عليه مس الحرير وطعن القنا	
وشرب الفناء بخضر الفسند	كأن على آسهن الفنا
ولا يزدهي غضب حله	ألقبه ذاكر أم كنا
يهنأ بالخير من ناله	وليس الهناء على ما هنا
واقرب لمن كان في غبطة	بلقيا المني من لقاء المنا
أعائبة جسدي روحه	وما زال يخدم حتى ونى
وقد كلفته أعاجيبها	فطوراً فرادى وطوراً ثنا
يُنْأني ابن آدم حال الغصون	فهايك أجنث وهذا جنى
تغير حناؤه شيبه	فهل غير الظهر لما انحنى

إذا هو لم يُجَنِّ دهرٌ عليه جاء الفريَّ وقال الحنَّاس
وسيات من أمه حرة حصان ومن أمه فرتي
ولي مورد بآناء المنون ولكن ميقاته ما أنى
زمان يخاطب أبناءه جهاراً وقد جهلوا ما عنى
يبدل باليسر إعدامه وتهدم أحداثه ما بنى
لقد فزت أن كنت تعطي الجنا ن بمكة اذ زرتها أو منى

الموت راحة

تعالى رازق الأحياء طراً لقد وهت المروءة والأحياء
وان الموت راحة هبرزي أضرب بلبه داء عياء
ومالي لا أكون وصي نفسي ولا تعصي اموري الأوصياء
وقد فتشت عن أصحاب دين لهم نسك وليس لهم رياء
فألفيت البهائم لا عقول تقيم لها الدليل ولا ضياء
وإخوان الفطانة في اختيال كأنهم لقوم أنبياء
فأما هؤلاء فأهل مكر وأما الأولون فأغبياء
فإن كان اتقى بلهاً وعياً فأعيار المذلة أتقياء
وأرشد منك أجرب تحت عبء تهب عليه ريح جرّبياء

وجدتُ الناسُ كُلَّهُمْ فقيرٌ ويُعندَمُ في الأثام الأغنياءُ
نحبُّ العيشَ بغضاً للعنايا ونجن بما هويُنَا الأشقياءُ
يموت المرءُ ليس له صفيٌّ وقبل اليوم عزَّ الأصفياءُ
أتدري الشمس أن لها بهاءً فتأسف أن يفارقها الأياءُ

الأحلام الضائعة

اسرينا وظالبنا هاجمٌ وعند الصباح حمدنا السرى
بنوا آدم يطلبون الثرا عند الثريا وعند الثرى
فتى زارعٌ وفتى دارعٌ كلا الرجلين غداً فامترى
فهذا بعين وزايٍ يروح وذلك يؤوب بضادٍ ورا
وعامل قوت ذرا حبه وخدن ركار ضحا فاذرى
وكورك فوق طويل المطأ وسرجك فوق شديد القرا
وميجرى ذفاريها جدُّها بمثل الظلام إذا ما جرى
كأن مبصاق الدبى فوقها إذا وقدت في الأنوف البسرا
وذلك من حر أنفاسها يضاعفه حرُّ يوم جرى
تاوم على أم دفر أخاك وراءك أن هوى قد ورى (١)

عهدُكُ مُتَشَبِهٌ سَيِّدِ الضَّرَاءِ
تَدْبُ فَانِ وَجَدْتَ مُخْلَسَةً
هُوَ الشَّرُّ قَدْ عَمَّ فِي الْعَالَمَيْنِ
لِيَفْتَنَ فِي صَمْتِهِ نَاسُكَ
فَكُنُوا صَبُوحِيَّةَ الشَّرْبِ أُمَّ
وَقَالُوا بَدَا الْمُشْتَرِي فِي الظَّلَامِ
وَتَرَجَوْا الرَّبَّاحَ وَأَيْنَ الرَّبَّاحُ
عَذِيرِي مَنْ مَارِدٍ فَاجِرٍ
فَهَوَّنَ عَلَيْكَ لِقَاءَ الْمُنُونِ
وَنَادَى إِذَا أَوْعَدْتُكَ أَعْتَرِي
وَنَفْسِي تَرْجَى كَأَحَدِي النُّفُوسِ
وَكَمْ نَزَلَ النُّقِيلُ عَنْ مَنْبَرٍ
وَأَخْرَجَ عَنْ مُلْكِهِ عَارِيًّا
إِذَا الضَّيْفُ جَاءَكَ فَأَبْسِمَ لَهُ
وَلَا تَحْقِرِ الْمُزْدَرَى فِي الْعِيُونِ
وَلَا تَحْمِلِ الْبُزْلُ تِلْكَ الْوَسُو

وَلَسْتَ مُشَابِهَ لَيْثِ الثَّوْرِي
فِيَا لِسُلَيْمِكِ أَوْ الشَّنْفَرِي
أَهْلُ الْوُهُودِ وَأَهْلُ الذَّرَا
إِذَا افْتَنَ فِيمَا يَقُولُ الْوَرَى
لَيْلَى وَمَكَّةُ أُمَّ الْقُرَى
فِيَالَيْتَ شَعْرِي مَاذَا اشْتَرَى
وَنَعْتُكَ فِي نَفْسِكَ الْخَيْسَرِي
تَقْرَأُ وَالْمُخْزِيَاتِ اقْتَرَى
وَقُلْ حِينَ تُطْرُقُ أُطْرُقُ كَرَا
فَصَبْرًا عَلَى الْحَكْمِ لَمَّا اعْتَرَى
وَتُذَرِّي النُّوَابِ سَكَنَ الذُّرَى
فَعَادَ إِلَى عُصْرٍ فِي الثَّرَى
وَخَلَّفَ مَمْلَكَةً بِالْعُرَا
وَقَرَّبَ إِلَيْهِ وَشَيْكَ الْقِرَى
فَكَمْ نَقَعَ الْهَيْسَنُ الْمَزْدَرَى
قَ إِلَّا بِأَزْدَارِهَا وَالْعُرَا

أَجَلٌ خَزَرْتَنِي وَثَابَةٌ
 فَاتِ سَرَاءِ اللَّيَالِي دُمِي
 وَنَوْمِي مَوْتٌ قَرِيبُ النُّشُورِ
 نَوْءٌ مَلْ خَالَقْنَا أَنَا
 نِسَاءً عَلِيٌّ إِذَا مَا هَلَكْتُ
 فَأُودِي فَلَانٌ بِسَقْمٍ أَضَرَّ
 أَبَانَئِيبِلِ أَدْرِكْ أُمَ بِالرِّمَا
 فَهَلْ قَامَ مِنْ جَدَثٍ مَيِّتٌ
 وَلَوْ هَبَّ صَدَقَهُ مَعْشَرٌ
 وَلَمْ يَقْرَ فِي الْحَوْضِ رَاعِي السَّوَا
 أَفَرٌّ وَمَا كَفَرًا نَافِرٌ
 أَحْنُ إِلَى أَمَلٍ فَاتِنِي
 مَتَى قَرَّرَ الْهَاتِفُ الْعِكْرِمِي
 وَقَدْ يَفْسُدُ الْفِكْرُ فِي حَالَةٍ
 سَقَاكَ أَلْمَنِي فَتَمَنَّنِيهَا
 فَلَا تَدْنُ مِنْ جَاهِلٍ أَهْلٍ
 سِوَاهَا الَّتِي مَشَتْ الْخَسِينِ رِي
 أَوْ أَنْ شَبِيتْنَا فَانْسِرَا
 وَمَوْتِي نَوْمٌ طَوِيلُ الْكَرَى
 صَرِينَا لِنَشْرَبَ ذَاكَ الصَّرَى
 مَنْ شَادَ مَكْرَمَتِي أَوْ زَرَى
 وَأُودِي فَلَانٌ بِعَرَقٍ ضَرَا
 حَ بَيْنَ أَسْنَتَيْهَا وَالشُّرَا
 فَخُبِرَ عَنْ مَسْمَعٍ أَوْ مَرَا
 وَقَالَ أَنَسٌ طَغَى وَاقْتَرَى
 مَ إِلَّا لِيُورِدَهُ مَا قَرَى
 بِمَعْتَصَمٍ مِنْ قَضَاءٍ فَرَى
 وَمَا لِلشُّبُوبِ وَعَيْشِ الْفَرَا
 هَبَّجَ شَوْقًا إِلَى قَرِي قَرَى
 فَيُوْهِمُكَ الدُّرُّ قَطْرَ السَّرَا
 وَصَاغَ لَكَ الطِّيفُ حَتَّى انْبَرَى
 لَوْ أَنْتَزَعْتَ كَخْسُهُ مَا دَرَى

أبى سيفه قتل أعدائه وساف وليدته أوهري
وتخلف الانس في شأنها وأبعد بن باع ممن شري
مغنية أعطيت مرغبا فغنت ونائحة تكترى
وهاو ليخرج ماء القلب وراق ليجنى ثولا أرى
فان نال شهدا فأيسر به على انه بسقوط حرى
نزول كما زال اجدادنا ويبقى الزمان على ماترى
نهار يضى ليل يجي ونجم يغور ونجم يرى

الحكام

مالي غدوت كفاف رؤبة قيدت

في الدهر لم يُقدّر لها إجراؤها
أعلت علة قال وهي قديمة
أعيا الاطبة كلهم إبراؤها
طال الشواء وقد أتى لفاعلي
أن تستبد بضمة صجراؤها
فترت ولم تفتر لشرب مدامة
بل للخطوب يغولها إسراؤها
ملء المقام فكم أعاشر أمة
أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

فرقاً شعرتُ بأنّها لا تقنّني خيراً وأنّ شرارها سُعراؤها
أثرت أحاديث الكرام بزعمها وأجاد حبس أكفها إثراؤها
وإذا النفوس تجاوزت أقدارها حدّ البعوض تغيرت سُجراؤها
كصحيحة الأوزان زادتْها القوى

حرفاً فبان لسامعٍ نكراؤها
كرّيت فسُرّت بالكري وحياتها أكرت فجر نوايها كراؤها
سبحان خالقك الذي قرّرت به غبراء توقد فوقها خضراؤها
هل تعرف الحسد الجياد كغيرها فالبسهم تحسدُ بينها غراؤها
ووجدت دنياها تشابه طامثاً لا تستقيم لناكح أقراؤها
هُويت ولم تُسعف وراح غنيها تبعاً وفاز براحة فقراؤها
وتجادلت فقهاؤها من حبها وتقرّأت لتناها قراؤها
وإذا زجرت النفس عن شغف بها فكان زخر غويتها إغراؤها
الله ، رجال الأديان

فقدت في أيامك العلماء وادّهمت عليهم الظلماء
وتغشى دهمنا الغي لما عطّات من وضوحها الدهماء
للعليك المذكرات عبيد وكذلك المؤنثات إماء
فالهلل المنيف والبدر والفقر قد والصبح والثرى والماء

والشَّريَا والشمسُ والنَّارُ والسَّحَابُ والارض والضحى والسَّماء
هذه كلها لربك ما عا بك في قول ذلك الحكماء
خَتَانِي يَا أَخِي استغفر الله فلم يبقَ فيَّ الا الذَّماء
ويقال الكرامُ قولاً وما في العصر الا الشَّخوص والاشَّماء
واحاديثُ حَبْرَتِهَا غَوَاةٌ وافترتها للمكسب القُدَماء
هذه الشَّهبُ خَلَّتْهَا شَبَكُ الدَّهر لها فوق اهلها الما
عجيباً للقضاء تمَّ على الخلقِ فهِمَّتْ ان تُبَسِّلَ الحَزَماء
او ما يُبصرون فَعَلَ الردى كيف يَبِيدُ الاصهار والاشَّماء
غَلَبَ الْمَيِّنُ منذ كان على الخلق وماتت بغیظها الحكماء
فَارْقُبْنِي يا عصماء يوماً ولو انك في رأس شاهقٍ عصماء
وارى الاربعَ الغرائزَ فينا وهي في جُثَّةِ الفتى خَصَماء
إن توافقن صحَّ اولاً فما يَنْسَفُكُ عنها الامراض والانغماء
ووجدتُ الزمانَ اعجمَ فظاً وجَبَّارٌ في حكمها العَجَماء
إن دنياك من نهارٍ وليلٍ وهي في ذاك حيةٌ عَرَماء
والبرأيا حازوا ديونَ منايَا سوف تُقْضَى ويحْضُرُ الغَرَماء
وَرَدَّ الْقَوْمُ بعد ما مات كعبٌ وارْتَوَى بالنميرِ وفدَّ ظمأ

حيوانٌ ، وجامدٌ غير نامٍ ، ونباتٌ له بسقيًا فناء
وَلَوْ أَنَّ الْأَنْعَامَ خَافُوا مِنَ الْعَقَبِيِّ كَمَا جَارَتْ الْمِيَاهُ الدَّمَاءُ
اجدروُ الناس في العواقب بالرحمة قومٌ في بدنهم رَحْمَةٌ
وَعَظِيمُنَا مِنْ قَوْلِ زَائِعٍ حَقٍّ إِنَّا فِي أَسْوَاقِنَا لَوُؤَاءُ
إِنِّي آدَمُ آدَمَ السَّرْبِ حَوًّا وَكَ فِيهِ حَوًّا أَوْ أَدَمَاءُ
قَرَمْتَنَا الْإِيَّامُ هَلْ رَأَيْتِ النَّجَّامَ لَمَّا ثَوَى بِهَا قَرَمَاءُ
عَالَمٌ حَائِرٌ كَطِيرٍ هَوًّا وَهَوَّافٍ تَضَمُّهَا الدَّامَاءُ
وَكُنْ أَلْهَامُ عَمْرٍو بْنِ دَرَمَاءُ فَلَسْتَهُ مِنْ أُمَّه دَرَمَاءُ
وَالْبَبَّاهُ الشَّمِيمُ تَحْمِيهِ مِنْ وَطْءٍ مُعَادِيكَ أَرْبَابُ شَمَاءُ
وَعَرَانَا عَلَى الْخَطَامِ ضَرَابٌ وَطَعَانٌ فِي بَاطِلٍ وَرِمَاءُ
أَسْوَدُ الْقَلْبِ أَسْوَدُ وَمَتَى مَا تَصْنَعُ أُذُنِي فَأُذِنَهُ صَمَاءُ
قَدْ رَمَى نَابِلٌ فَأَنْمَى وَأَصَمَى وَلِيَالِيكَ لَهَا إِغْنَاءُ
إِنْ رَبَّ الْحَصَنِ الْمَشِيدِ بَتِيمًا تَوَلَّى وَخَلَّفتُ تِيمَاءُ
أَوْمَاتٌ لِلْحَذَاءِ كَفُّ الشَّرِيَّا تَمَّ صَدَّ الْحَدِيثِ وَالْإِيَّامُ
شَهَدَتْ بِالْمِيلَاكِ أَنْجُمُهَا السَّتَّةُ ثُمَّ الْخَضِيبُ وَالْجُذْمَاءُ
فِيهِمُ النَّاسُ كَالْجَهْلُولِ وَمَا يَظْفَرُ إِلَّا بِالْحُسْرَةِ الْفُسْهَاءُ

تلتقى في الصعيد أمّ و بنت وتساوى القرناء والجماء
وأنيقُ الربيع يُدركه القيظ وفيه البهضاء والسحماء
وطريقي إلى الحمام كَرِيهٌ لم تُهَبْ عند هَوْلِهِ اليَهَاءُ
ولو أن البهضاء صادم حربٍ وهي من كلِّ جانبٍ صرّماء
كيف لا يُشرك المضيقين في النعمة قومٌ عليهم النعماء

نار الشبيبة

أولو الفضل في أوطانهم غرباءُ تشدّ وتناهى عنهم القرباءُ
فما سبئوا الراح الكميت للذة ولا كان منهم للخرادِ سبأُ
وحسبُ الفتى من ذلة العيش أنه يروح بأذنى القوت وهو حبا
إذا ما خبت نار الشبيبة ساءني ولو من نص لي بين النجوم خبا

كلهم سيء

إن مازت الناس أخلاق يعاش بها فإنهم عند سوء الطبع أسواء
أو كان كل بني حواء يُشبهني فبئس ما ولدت في الخلق حواء
مُبعدي من الناس برء من سقامهم وقربهم للحجبا والدين أدواء
كالبيت أفرد لا إيطاء يدركه ولا سناد ولا في اللفظ إقواء

نوديتُ ألويتُ فانزل لا يراد أني

سيري لوى الرمل بل للثبت إلواء

وذلك أن سواد ألفود غيره في غرة من بياض الشيب أضواء

إذا نجومٌ قَتيرٌ في الدُّجى طلعت فللجفون من الاشفاق أنواء

سكارى وعذارى

أقيمي لا أُمعد الحُجَّ فرضاً على مُعجزِ النساء ولا العذارى

ففي بطحاء مكة شرُّ قومٍ وابت رجال شعبة سادنيها

قيامٌ يدفعون الوفد شفعاً إلى البيت الحرام وهم سُكارى

ولو كانوا اليهود أو النصارى وقولي إن دعاك البرُّ آرى

من الكذب الموه ما توارى فمقد جاءت خيولهم تبارى

وأقضية المهيمن لا تُجارى إلى طرق الهدى أمماً خيارى

وأينقهم بمتلفة حصارى فلا تثقي بما صنعوا وصانعوا

جرت زمناً وتسكن بعد حين لعل قران هذا النجم يثني

فقد أودى بهم سغب وظم وأينقهم بمتلفة حصارى

فقد أودى بهم سغب وظم وأينقهم بمتلفة حصارى

فقد أودى بهم سغب وظم وأينقهم بمتلفة حصارى

وما أدري أمن فوق المهارى ألب إذا نظرت أم المهارى
أنتهم دولة قهرت وعزت فباتوا في ضلالتها أسارى
وظنوا الطهر متصلاً بقوم وأقسم إنهم غير الطهارى
وما كريت عيون الناس جمعاً ولكن في دُجنتها تكارى
لهم كليم تخالف ما أجبنوا صدورهم بصحته تمارى



الفساد

آدم

فَسَلُّ^١ اَبُو عَالَمْنَا آدَمَ وَنَحْنُ مِنْ عَالَمْنَا اَفْسَلُ (١)
والخير محبوب ، ولكنه يعجز عنه الحيُّ ، اويكسل
والارض للطوفان مشتاقه^٢ لعلها من درت تُفسل^٣ .

حواء وبنوها

ان مازت الناس اخلاق^٤ يعاش بها
فانهم عند سوء الطبع اسواء
او كان كلُّ نبي حواء يشبهني فبيئس ما ولدت في الخلق حواء

الاجساد

ايا جسد المرء ، ماذا دهاكا وقد كنت من عنصر طيب
تخبئت ، اذ جُعت^٥ اربع^٦

لديك ، واضحكت في الحي بي (٢)

فلا تجزعن^٧ اذا ما الحما^٨ . مُ صاح بوفد الضنا : هي بي !

(١) اسل : احقر

(٢) اربع : هي العناصر الاربعة ، الماء والهواء والنار والتراب

تصير طهوراً ، اذا ما رجعت إلى الأصل ، كالمطر الصيب

كلاب و كلب

وقد غلب الاحياء في كل وجهة هوام ، وان كانوا غطارفة غلباً
كلاب تغاوت او تعاوت لجينة واحسبني اصبحت الامها كلباً

هل ينفع المسك ؟

بنت عن الدنيا ولا بنت لي فيها ، ولا عرس ، ولا أخت
ان مدحوني ، ساءني مدحهم وملت اني في الثرى سخت (١)
جسمي انجاس ، فما سرني اني بمسك القول ضمخت
من ومسح صاغ الفتى ربه فلا يقولن توسخت

الارض لا تحمل

كأنما الارض شاع فيها من طيب ازهارها يخور
اثنت على ربها السواري والنبت والماء والصخور
ونحن فوق التراب ثقل يكاد من تحتنا يخور

الانسان اظلم

قد فاضت الدنيا بأدناسها على براياها واجناسها
وكلُّ حيٍّ فوقها ظالمٌ وما بها اظلمٌ من ناسها

متفرقات

والشرُّ في الجذ القديم عريضةٌ في كل نفس منه عرقٌ ضارب

* * *

فلا تعذlina ، كلنا ابن لثيمة
وهل تعذبُ الاثمارة ، ان لؤم الغرسُ ؟

* * *

لقد فعلوا الخير القليل تكلفاً
وجاءوا الذي جاءوه من شرهم طبعاً

* * *

القلب كالماء ، والاهواء طافيةٌ عليه مثل حباب الماء في الماء

* * *

تفرقوا كي يقل شرُّكم فانما الناس كلهم وسخٌ !

* * *

يغدو على خله الانسان يظلمه كالذئب يأكل عند الفرة الذيبا

* * *

ابن الحق ؟

وجدتُ الناس في هرج ومرج غواية بين معتزل ومرجي
فشأن ملوكم عزف ونزف واصحاب الامور جباة خرج (١)
افي الدنيا ، لحاها الله ، حق فيطاب في حنادسها بسرج ؟

الدين مكر

افيقوا ، افيقوا يا غواة فأنما ديانتم مكر من القدماء
ارادوا بها جمع الحطام فأدر كوا وبادوا ، وماتت سنة المؤمنين

مقلدون

عاشوا كما عاش اباؤهم سلفوا واورثوا الدين تقليداً كما وجدوا
فما يراعون ما قالوا وما سمعوا ولا يبالون ، من غي ، لمن سجدوا

العقل يحاسب

والعقل يعجب ، والشرائع كلها خير يُقلد لم يقسه قائل
متمسجون ومسلمون ومعشر متنصرون وهائدون رسائس (٢)

(١) نزف : سكر

(٢) رسائس : جمع رسيس وهو اول كل شيء ويقصد بها هنا : اليهودية اقدم الاديان

وبيوت نيرانٍ تزار تعبدًا ومساجد معمورة وكنائس
والصابئون يعظمون كواكبًا وطباعٌ كل في الشرور حبائس

العقل

يرتجي الناس أن يقوم امامٌ ناطقٌ في الكتيبة الخرساء (١)
كذب الظنُّ ، لا امام سوى العقل لمٍ مشيرًا في صبحه والمساء
فاذا ما اطعته جلب الرحمة عند المسير والارساء
انما هذه المذاهب اسبابٌ لجذب الدنيا الى الرؤساء
فانفرد ما استطعت فالقائل الصا دق يضحى ثقلا على الجلساء

احتيال

ولا تطيعنَّ قومًا ما ديانتهم الا احتيالٌ علي اخذ الاتاواتِ
وانما حمل التوراة قارئها كسبُ الفوائد لاحب التلاوات
إن الشرائع انقت بيننا إحنًا واودعتنا افانين الهداوات
وهل أباحت نساء القوم عن عرض للعرب الا باحكام النبوات !

حيرة

سألتُ المحدثَ عن شأنه فما زال يضعف حتى ارتبك

* * *

(١) : هو الامام المعصوم الذي تقول به الباطنية .

اجاز الشافعي^{هـ} فقال شيء وقال ابو حنيفة لا يجوز

* * *

عالم السوء

قد حجب الدين والضياء^{هـ} وإنما ديننا رياء^{هـ}
يا عالم السوء ، ما علمنا ان مصليك^{هـ} اتقياء^{هـ}
لا يكذبن امرؤ جهول ما فيك لله اولياء^{هـ}
كم وعظ الواعظون منا وقام في الارض انبياء^{هـ}
فانصرفوا ، والبلاء باق^{هـ} ولم يزل داؤك^{هـ} العياء^{هـ}
حكم^{هـ} جرى للعليك^{هـ} فينا ونحن في الاصل اغبياء^{هـ}

رجال الدين

رويدك قد غررت وانت حر^{هـ} بصاحب حيلة يعظ النساء^{هـ}
محرم فيكم^{هـ} الصهباء صبحاً ويشربها على عمد^{هـ} مساء^{هـ}
تحسأها فمن مزج^{هـ} وصرف^{هـ} يُعل^{هـ} كأنما ورد الحساء^{هـ}
يقول لكم غدوت^{هـ} بلا كساء^{هـ} وفي لذاتها رهن الكساء^{هـ}
إذا فعل الفتى ما عنه ينهى^{هـ} فمن جهتين ، لا جهة اساء^{هـ}

نتيجة البحث

وقد فتنشت عن اصحاب دين لهم نسك ، وليس لهم رياءُ
فألفيت البهائم لا عقول تقيم لها الدليل ، ولا ضياء
واخوان الفطازنة في اختيال كأنهم لقوم انبياءُ
فأما هؤلاء فاهلُ مكرٍ وأما الاولون فاغبياءُ

فساد المرأة

من قصيدة تبين آراء المعري في المرأة

ترنمُ في نهارك مستعينا بذكر الله في المترنمات (١)
وهينم ، والظلامُ عليك داجٍ ادى ورقِ سمعن مهينمات (٢)
ولا ترجع بايماء سلاماً على يعض اشرف مسلمات
فوارسُ فتنةٍ ، اعلامُ غيٍ لقينك بالاماور معلمات (٣)
وسامُ ما اقتنعن بحسن اصل فجيئتك بالخضاب موشمات
وقد يصبحن ، عن برٍ ونسكٍ ، باطيب عنبر متنسمات
كأنَّ خواتمَ الافواه فضت عن الصهب العذاب مختمات (٤)

(١) المترنمات : الطيور المفردة

(٢) الهينمة : هي الصوت الخفي

(٣) معلمات : المترنمات

(٤) الصهب : الخمر

ثنتين^١ الجاحم^٢ عن مراد^٣ بشيب^٤ ، فاثنتين^٥ مجمعات (١)
 خور الريق لسن^٦ بكل حال^٧ على^٨ طلائهن^٩ محترمت
 ولكن^{١٠} الاوانس^{١١} باعثات^{١٢} ركابك^{١٣} في مهالك^{١٤} مقتات
 صحنك^{١٥} فاستفدت^{١٦} بهن^{١٧} ولداً^{١٨} اصابك^{١٩} من اذاتك^{٢٠} بالسما^{٢١} (٢)
 ومن^{٢٢} رزق^{٢٣} البنين^{٢٤} فغير^{٢٥} ناء^{٢٦} بذلك^{٢٧} عن نوائب^{٢٨} مسقات
 فمن^{٢٩} ثكل^{٣٠} يهاب^{٣١} ، ومن^{٣٢} عقوق^{٣٣} وارزاء^{٣٤} يحئن^{٣٥} مصمات
 وان^{٣٦} تعط^{٣٧} الاناث^{٣٨} فاي^{٣٩} بؤس^{٤٠} تبين^{٤١} في وجوه^{٤٢} مقسمات^{٤٣} (٣)
 يُردن^{٤٤} بعولة^{٤٥} ، ويردن^{٤٦} حلياً^{٤٧} ويلقين^{٤٨} الخطوب^{٤٩} ملومات
 ولسن^{٥٠} بدافعات^{٥١} يوم^{٥٢} حرب^{٥٣} ولا في غارة^{٥٤} متغشحات^{٥٥} (٤)
 ودفن^{٥٦} ، الحوادث^{٥٧} فاجعات^{٥٨} ، لاحداهن^{٥٩} احدى^{٦٠} المكرمات
 وقد^{٦١} يفقدن^{٦٢} ازواجاً^{٦٣} كراماً^{٦٤} فيا للنسوة^{٦٥} المتألمات
 يلدن^{٦٦} اعادياً^{٦٧} ، ويكن^{٦٨} عاراً^{٦٩} اذا امسين^{٧٠} في المتهضمت^{٧١} (٥)

* * *

-
- (١) مجمعات : مهممات
 (٢) السما : من الوسم وهو السكي
 (٣) مقسمات : جميلات
 (٤) المتغشم : الشجاع
 (٥) المتهضمت : المضومة حقوقهن

وما الجاراتُ الا جارياتُ^١ بعيبك ان وُجدن مُهَيَّاتُ (١)
 فلا تسأل اهند ام كليس^٢ ثوت في النسوة المتخيمات
 ولا ترمق بعينك رائحات^٣ الى حمامهن مكمَّات
 ومن عاشرت من انسٍ فحاذر^٤ غوائل مُرَدِّ مُتَهَكَّات (٢)
 متى يطمعن فيك يُرين تيهًا لا طيبَ مطعمٍ متأجمات (٣)
 وليس عكوفهنَّ على المصلى^٥ أمانًا من غواردِ محرمات
 ولا تحمدِ حسانك ان توافت بايد للسطور مقومات
 فحمل مفازل النسوان اولى بن من اليراع مقلَّات
 سهام^٦ ان عرفن كتابَ لسنِ رجعن بما يسؤ مسمَّات (٤)
 ويتركن الرشيد بغير لب اتين لهدية متعلَّات
 ليأخذن التلاوة عن عجوز^٧ من اللائي ففرن مهتَّات
 يسببن المليك بكل جنح^٨ ويركعن الضحى متأثَّات
 فما عيب علي الفتياتِ لحن^٩ اذا قلن المراد مترجمات (٥)
 ولا يدنين من رجل ضرير يلقنهن آيا محكمات ،

(١) مهيات : مغمومات

(٢) مرَد : عاصيات

(٣) تأجم : استشاط غضبا

(٤) اللسن : اللغة

(٥) لحن : خطأ في الأعراب

سوى من كان مرتعشاً يدها ولمسته من المتشغيات (١)
وان طاوعن امرئ، فانه غيداً يورن عرائسات متيممات.
اخذن كرىش طاووس لباساً ومسكاً بالضحى متلغيات (٢)
وابعدهن عن ربّات مكرٍ سواحر يغتدين معزّيات
يقلن نهيج الغياب حتى يجيئوا بالركاب مزّيات (٣)
ونسطف هاجر الحلان كيا يزول عن السجايا المسئّمات (٤)

الشرف الضائع

اذا بلغ الوليد لديك عشراً فلا يدخل على الحرم الوليد
فان خالفتني ، واضعت نصحي فانت وان رزقت حجي ، بليد
الا ان النساء حبال غي بهن يضيع الشرف التليد .

خير النساء

خير النساء اللواتي لم يلدن لكم فان ولدن فخير النسل ما نفعا
واكثر النسل يشقي الوالدان به فليته كان عن آبائه دفعاً
اضاع داريك من دنيا وآخرة لا الحى اغنى ولا فى هالك شفعا
وكم سليل رجاء للجمال أب فكان خزيّاً باعلى هضبة رُفعا

(١) تشغم : شاب (٢) تلغم : تطيب (٣) مزّمات : من زهم الجمل : خطبه

(٤) المسئّمات : التي تحدث السّامة

السعادة

كلاهما عناء

حياة عناءٌ وموت عناءٌ فليت بعيدَ حمام دنا
يدٌ صفرت ، ولهأة ذوت ونفس تمنّت ، وطرف رنا
يحاول من عاش سترَ القمي ص وملء الخيص ، وبرء الضنى
اعائبه جسدِي روحه وما زال يخدم حتى ونى
ولي مورد بقاء المنون ولكن ميعاته ما أنى ،

الى الأذى

نادى حشا الام بالطفل الذي اشتملت

عليه : ويحك الا تظهر ومت كذا :

فان خرجت الى الدنيا لقيت اذى

من الحوادث ، بله القيظ والجهدا

وما تخلص يوما من مكارها وانت لا بد فيها بالغ أمدا

ورب مثلك وافاها على صغري حتى اسن فلم يحمد وما حمدا

لا تأمن الكف من ايامها شللا ولا النواظر كفا عن او رمدا

فان ابیتَ قبول النصیح معتدّاً فاصنع جميلاً ، وراعِ الواحد الصمد
فسوف تلقى بها الامال واسعةً اذا اجزتَ مدى منها رأيتَ مدى
وتركبُ اللجّ تبغي ان تبيد غنىً وتقطعُ الارض لا تلقى به ثمداً
وان سعدتَ فما تنفكُ في تعبٍ وان شقيتَ فمن للجسم لو همداً
ثم المنايا فاما ان يقال مضى ذميمَ فعل ، واما كوكب خمداً .

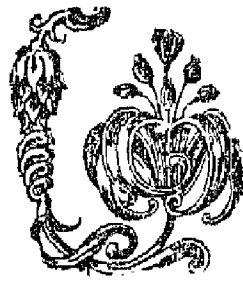
يا ام دفر

ما كان في هذه الدنيا بنو زمنٍ الا وعندي من اخبارهم طرفٌ
يخبر العقل ان القوم ما كرموا ولا افادوا ، ولا طابوا ، ولا عرفوا
عاشوا قليلاً ، وما جوا في ضلالتهم ولا يفوزون ان جوزوا بما اقترفوا
اذا شقيتَ فجسمٌ ناله نصبٌ ، وان ترفتَ فماذا ينفع الترفُ ؟
يا ام دفرٍ لحالكِ الله والدّةٌ منك الا ضاعة والتفريط والسرفُ
لو انك العرس اوقعتِ الطلاق بها لكنك الام ، هل لي عنك منصرفُ

ثوب .. وقلب

تقوالك زادٌ فاعتقد انه افضلُ ما اودعته ما في السقاء
آه غداً من عرقٍ نازلٍ ومُهجةٍ مولعةٍ بارتقاء

ثوبي محتاجٌ إلى غاسلٍ وليت قلبي مثله في النقاء
موت يسيرٌ معه راحةٌ خير من اليسر وطول البقاء
وقد بلونا العيش أطواره فما وجدنا فيه غير الشقاء
تقدم الناس ، فيا شوقنا الى أتباع الأهل والأصدقاء
ما أطيب الموت لشرا به ان صحّ للاموات وشكُّ التقاء



اين الحق؟

متفرقات

وانما نحن في ضلال وتعليل فان كنت ذا يقين فاته .

* *

سألتموني فاعيتني اجابتكم من ادعى انه دار فقد كذبا .

* *

اذا قلت المحال رفعت صوتي وان قلت اليقين اطلت همسي .

* *

اما اليقين ، فلا يقين وانما اقصى اجتهادي ان اظن واحدا

* *

نفارق العيش لم نظفر بمعرفة اي المعاني باهل الارض مقصود

* *

الغيب مجهول يحار دليله واللب يأمر اهله ان يتقوا .

* *

رأيت الحق اولوثة توارت بلج من ضلال الناس جم

مصيرنا

الروح و مصيرها

والروح ارضية في رأي طائفة وعند قوم ترقى في السماوات
تقضى ، على هيئة الشخص الذي سكنت
فيه ، الى دار نعيم او شقاوات

الروح ستسكن

روح اذا اتصلت بشخص لم يزل هو وهي في مرض العناء المكمد
ان كنت من روح فيا ربح انه كني او كنت من لهب فيا لهب اخمد !

هباء

لو كان جسمك متروكا بهيئته بعد التلاف ، طمعنا في تلافيه
كالذي عطل من راح تكون به ولم يحطم فعادت مرة فيه
لكنه صار اجزاء مقسمة ثم استمر هباء في سوافيه

لا تناسخ

يقولون ان الجسم ينقل روحه الى غيره حتى يهذبها النقل
فلا تقبلن ما يخبرونك ضللة اذا لم يؤيد ما اتوك به العقل

ماهية الروح

والروح شيءٌ لطيفٌ ليس يدركه

عقلٌ ، وليسكن من جسم الفتى حرجاً

سيحان ربك ، هل يبقى الرشاد له وهل يُحس بما يلقي اذا خرجا؟

وذاك نورٌ لاجساد يحسنها كما تبينّت تحت الليلة السُّرجا

قالت معاصر : يبقى عند جثته وقال ناس : اذا لاقى الودي عرجا (١)

الفساد في الاصل

حوتنا شرورٌ لا صلاحٌ لمثلها فان شدّ منا صالحٌ ، فهو نادرٌ

وما فسدت اخلاقنا باختيارنا ولكن بامرٍ سببته المقادر

وفي الاصل غش ، والفروع توابعٌ وكيف وفاء النجل ، والاب غادر؟

فقل للغرابِ الجون ، ان كان سامعاً ، أنت على تغيير لونك قادر؟ (٢)

عزلة

اذا حضرت عندي الجماعةُ اوحشت فما وحدتي الا صحيفة ايناسي

طهارة مثلي في التباعد عنكم وقربكم يجني همومي وادناسي

لا تعاشرهم

توحدٌ فان الله ربك واحدٌ ولا ترغبن في عشرة الرؤساء

يُقلُّ الأذى والعيب في ساحة الغنى وان هراً كدى ، قلةُ الجلساء

الغنى

اغنى الانام تقي في ذرى جبل يرضى القليل ويأبى الوثي والتاجا
وافقر الناس في دنياهم ملك يضحي الى اللجب الجراً محتاجا

للحيوان روح كالانسان

غدوت مريض العقل والدين فالقنى
لتسمع أنباء الامور الصحائح
فلا تأكلن ما اخرج الماء ظالمًا ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح (١)
ولا يبيض أمات ارادت صريحه لاطفالها دون الغواني الصرائح (٢)
ولا تنجعن الطير ، وهى غوافل ، بما وضعت ، فالظلم شر القبائح
ودع ضرب النحل الذي بكرت له
كواسب من ازهار نبت فوائح (٣)
فما احرزته كي يكون لغيرها ولا جمعته للندى والمنائح
مسحت يدي من كل هذا فليتني ابته لشأني قبل شيب المسائح (٤)

(١) غريض : طريء (٢) الصرائح : الصافيات اللون ، الجميلات

(٣) ضرب : غسل ابيض (٤) المسائح : ذوائب الشعر

الحجرة

البابلية باب كل بلية فتوقين هجوم ذاك الباب
حاة جرّت ملا الصديق وهجره وأذى النديم وفرقة الاحباب
هتكت حجاب المحصنات وجشمت

مهن العبيد تهم الارباب
وتوهم الشيب المدالف أنهم لبسوا على كبر برود شباب (١)
واذا تأملت الحوادث ألفت صهب الدنان اعادي الالباب

حقير يسير

لا تعدلاني فالذي ابتغي من هذه الدنيا حقير يسير
بت اسيراً في يدي برهة تسير بي وقتي اذا لا اسير
كطائر قيل الا تغتذي فقلت اني وجناحي كسير .

(١) مدالف : جمع مدلف وهو الشيخ يمشي ببطء



عطفاً امير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لانفترق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ابدأ سكلنا في المعالي 'معوق'
إلا اخلافة ميزتك فاني أنا عاقل منها وأنت مطوّق

... ماذا يمكننا ان نعتقد برجل يخاطب الخليفة بهذه اللهجة ؟ هل هو يمدح الخليفة حقاً ؟ أم يمدح نفسه ويفتخر بشخصه ؟

واذا كان لابد لنا من الجواب على هذه الاسئلة فنجيب : انه ليس في التاريخ السياسي والادبي في جميع العصور العباسية من بلغت به الجرأة والشجاعة والاعتماد بالنفس حتى يخاطب الخليفة بهذا الخطاب ، خصوصاً ، اذا ادركنا ان المخاطب هو احد الشعراء الذين تضيق بهم بغداد وان كان من اشراف الطالبين . فان الطالبين في ذلك الوقت لم تكن لهم القوة التي تدفع وتسمح لأحدهم ان يخاطب الخليفة بهذه اللهجة مهما كانت مكانة الخليفة من الضعف .

من هو قائل هذه الابيات :

مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وأنف حمي
واباء محلق بي عن الضيم كما راغ طائر وحشي
أي عذر له إلى المجد إن ذل غلام في غمده المشرفي

هذه الروح الوثابة ، وهذا الغناء الجياش يذكرنا بشاعر طالما تناقلت شعره السن الرجال ، يذكرنا بالمتنبي ، ولكن هل قائل هذه الابيات المحلقة هو المتنبي ، لا ، بل انه رجل ، كانت له آمال اكبر من آمال المتنبي . وكانت له شاعرية تمذ شاعرية المتنبي في بعض الفنون ، رجل ، قاسى ما قاسى المتنبي واكثر ، رجل عرفته مصائب الدهر ، وكوارث الايام ، ولكنه بقي صامداً ، لم تحطم تلك المصائب في نفسه اية ذرة من الآمال الكبيرة التي تضطرم في صدره ، بل انها زادت اضطرام تلك الثورة ليلفظها شعراً جميلاً قوياً .

ففى انشد الشعر وهو في العاشرة من عمره بينما كانت الايام تكيل

له ضرباتها ، وبينما كان والده الجليل يساق الى السجن من ديار فيها العز وفيها المكانة ولها الاحترام .

من هو ذلك الفتى الشاعر ؟ ومن هو ذلك الشيخ الجليل الذي تجدد ولده رجولته ، وبكى فراقه بعيون من الشعر ؟

اما الفتى فهو الشريف ابو الحسن محمد الرضي الموسوي ولد في بغداد سنة ٣٥٩ هـ والملك عندئذ لبختيار بن معز الدولة بن بويه والحلافة للخليفة العباسي المطيع لله .

واما الوالد فهو ابو احمد الحسين الموسوي يرتفع بنسبه الى ان يبلغ السيد موسى السكاظم ، ثم يتدرج الى ان يبلغ الحسين بن علي بن ابي طالب امير المؤمنين وآخر الخلفاء الراشدين .

كان والد الشريف يتولى نقابة الاشراف الطالبيين الى جانب اماره الحاج بالناس . وهذه مرتبة لا يصلها الا من له مناقب واعمال تؤهله كي يبلغها ، ولقد كان الحسين الموسوي ذلك الرجل .

وفي زمن لبختيار بن معز الدولة احرم الحسين من اماره الحج والنظر في المظالم ، وابتدأت بوادر القلق ، وغيوم الشك والوجل تتلبد فوق ذلك البيت الكريم . حتى اذا ات سنة ٣٦٧ هـ الموافقة ٩٧٧ م ودخل الى بغداد سلطان جديد هو عضد الدولة الذي ازال عن بغداد كلمة سلفه وسلطته ووحيد دولة آل بويه ، وارتد الى النظر في الحالة الداخلية ، وما ان بلغت سنة ٣٦٩ حتى ابتدأت تلك الغيوم تنقشع فوق ذلك البيت الكريم عن جو حافل بالرياح والاعاصير ، اذ امر عضد الدولة باعتقال رب البيت وحبسه في قلعة فارس ، ومصادرة املاكه ، واذا قلنا ان الشريف كان يومئذ في العاشرة من عمره لقبين لنا اي اثر تركته هذه الحادثة بل هذه الكارثة في نفسه . وقيل ان احدي قصائده الجيدة المبكرة نظمها في ذلك الوقت عندما بلغه ان المظفر بن عبدالله وزير عضد الدولة قال لأبيه حين جيء به

اليه : « كم تدل علينا بالعظام النخرة » ! يعني عظام اجداده الأئمة .
فثارت نفس الشريف لهذه الالهة ورد عليها بهذه القصيدة التي تدل على
عبقرية مبكرة ، وجرأة ظاهرة نادرة :

نصافي المعالي والزمان معاندٌ وننهض بالآمال والجد قاعدٌ
إلى ان يقول معرضاً بالخليفة تعريضاً جارحاً مشيداً بقوة
الفاطميين في مصر :

وطاغٍ يُعير البغى غرْبَ لسانه وليس له عن جانب الحق ذائدٌ
ولو كان بين الفاطميين رفرت عليه العوالي والخُبا والسواعد
قلنا ان عضد الدولة اعتقل الموسوي وارسل به الى فارس . ثم بينا ان
الشريف بقي في داره يتلهف على تلك الايام السعيدة في كنف ذلك الاب
الكريم العظيم كالطود الشامخ فاذا بهذا الواقع الاليم بعد سجن والده
يدعه ذاهل العقل ، رقيق الاحساس ، ولم تكن هذه النكبة إلا لتخلق
من الشريف شاعراً ينظر الى الحياة بمنظار الرجال وهو في سن الصبيان ،
وليس مثل الحياة والايام تصقل النفوس وتحرك الشعور ، فالشريف
الذي عرف حياة الشرف والعز والجاه ، ترى ماذا كان شعوره وهو يرى
نفسه في حالة يرثى لها من الهوان والفقر ؟

ان هذه الحادثة وان كانت ذات سيئات من بعض النواحي التي تتناول
شخص الشريف الرضي إلا انها احسنت اليه ، اذ صقلت ادبه وهزت نفسه وايقظت
شاعريته ، واهبت احساسه .

ولقد كنا ننتظر ان يقتحم الشريف ميدان الهجاء ، فيهجو عضد الدولة
الذي امر بسجن والده ، ولكن الشريف لم يفعل ذلك لان اعمال عضد الدولة
العمرانية واهتمامه بحالة البلاد جعلت شتمه صعباً ، يضاف اليها قوة عضد الدولة

وبطشه كل هذه العوامل ضف اليها محبة اهل العراق لعضد الدولة من جهة اخرى ، جعلت شعور الشريف يختبئ في نفسه الى حين الحاجة ، وحين يقدر له ان يزيع عن صدره هذا الشعور بكره عضد الدولة ودولته

ولم يطل الامر حتى توفي عضد الدولة في سنة ٣٧٢ والشريف في الثالثة عشر من عمره ، إلا ان الشريف مع هذا لم يأمن لدهر ولم يرتج اليه ، فهو يعلم ان موت عضد الدولة لا يحل مشكلته ، بل ان ابنائه سوف يسيرون على خطه والدهم ، إلا انه اسرع يبشر والده بموت عضد الدولة :

ابلاغعني الحسين (١) ألو كاً ان ذا الطود بعد عهدك ساخاً

إلا ان الامر لم يطل ايضاً هذه المرة كما طال في سالفها ، واذا مخاوف الشريف تنقشع شيئاً فشيئاً عندما اختلف ابناء عضد الدولة ، حمصام الدولة الذي استلم الملك بعد ابيه ، وشرف الدولة الذي اخذ البيعة لنفسه في بلاد فارس .

وكان لابد لشرف الدولة من ان يحسن إلى الذين اساء اليهم والده وهو الذي يتمشى مع سياسة مخالفة لسياسة اخيه الذي سار على سياسة والده ، وكان ان افرج عن ابي احمد الموسوي واخيه ابو عبدالله وغيرهم من الذين سجنهم والده .

وكان من المفروض ان يرحب الشريف بهذا الافراج ، ولكنه لم يستطع ايضاً لان حمصام الدولة كان له بالمرصاد .

ولكن الحرب ما لبثت ان قامت بين الاخوين ، وكانت الغلبة فيها لشرف الدولة فهزم اخاه ودخل بغداد دخول الفاتحين ، وصار من حق الموسوي دخول بغداد ورؤية ولديه الحبيبين ، إلا ان عودته الى بغداد لم يرافقها اعادة املاكه اليه فلذا كانت الفرحة بالعودة غير تامة .

ولا بد ايضاً من أن نأتي على ذكر قصائد الشريف عند ما كان والده لا يزال اسيراً في فارس ، اما هذه القصائد فهي التي دُعيت بالقوافي ، وهذه القوافي زاخرة بالتبرم والخجل والضيق ونتائج النكبة التي منيت بها هذه العائلة الكريمة .

خطوبٌ لا يقاومها البقاءُ وأحوالٌ يدبُّ لها الضرُّ
ودهرٌ لا يصحُّ به سقيمٌ وكيف يصح والام داءُ
الى ان يقول :

فلا تحزنْ على الايامِ فينا إذا غدرتْ وشيمنتنا الوفاءُ

وهنا يظهر الشريف التجرد في مقارعة الخطوب .

وفي قصيدة اخرى يقول :

فتى سُنَّه عن خمس عشرة حجةً ترَبَّى له فضلاً ومجداً ومحتداً

تقرء لا يفشى الى غير نفسه حديثاً ولا يدعو من الناس منجداً

وهناك قصائد عديدة قالها الشريف في مدح ابيه وشكوى الدهر

والايام ، وجميع هذه القصائد تتميز بروح الكتابة التي تشع بين سطورها

ثم مدح والده هذا المدح الذي تميز بتمجيد رجولته ، واحترام هذه الرجولة

ثم التعريض بمن خذلوه في هذه المحنة .

وفي سنة ٣٧٦ يعود الموسوي الى بغداد ، ونزید ، ان هذا الوقت

الطويل الذي قضاها والده في السجن والغربة جعلت منه شيخاً هزيل الجسم

قارع الايام طويلاً فاذا به يخلف عما كان عليه قبل رحيله ، ولكن الشريف

يستقبله استقبال الابن المشتاق لرؤية والده وحديقه :

طلوعٌ هدهدٍ إلينا المغيب ويومٌ مُتمزَّقٌ عنه الخطوب

لقيمك في صدره شاحباً ومن حلية العربي الشحوب
إليه تمجُّ النفوس الصدور وفيه تنهى العيون القلوب
انظر الى قلب الشاعر يرقص فرحاً من خلال هذه الكلمات . ولقد
مدح الشريف ايضاً شرف الدولة الذي انقذ والده :

وانت (١) طوقته بالمن جامعة قامت عليه مقام الحلى الخلل
وفي هذه السنة نفسها ادخل الفرع ثانية على قلب الشريف ايضاً عند ما
توفي المطهر بن عبدالله وزير عضد الدولة ، ولقد شمت الشريف بموت هذا
الوزير وهجاه بقصيدة دالية بعد موته ، والشريف يخرج عن حدود
اللياقة وفي هجوه لميت ، غير انه معذور لم يخرج عن كونه انساناً تالم
وشقي بسبب هذا الرجل الظالم .

وجبان لويت عنه فأمسى وجلّ العين من صراع الرقاد
وهكذا تستمر الحياة مع الشريف يفرح يوماً نفسه باسترداد
املاك ابيه اليه ، ثم الامتيازات التي كانت له قبل ذلك المصاب الذي وقع
له . وفي سنة ٣٨٠ تعود هذه الامتيازات كأمانة الحج ، والنظر في
المظالم إلى والد الشريف ، فتتهيج نفس الشريف بالشعر ويطلق لنفسه العنان
تعبّر عن هذه الفرحة .

أنظر إلى الايام كيف تعود وإلى المعالي الفر كيف تزيد
والى الزمان بنا وعاد عطفه فارتاع ظمآن وأورق عود
ويتعرض هنا إلى الأقارب الذين شتموا به فيقول :
حسدوك لما فات سعيك نسعيهم صعدأفا نقع الغليل حسود

وما اقبل عام ٣٩٦ حتى أُعيدت الأملاك إلى والده ، وكان الموسوي في هذه الأثناء قد فقد نور عينيه ، فيفرح الشريف بعودة هذه الأملاك لأنها تعين الشيخ على مطالب الحياة ، بعد ان فقد نعمة النظر .

وما رد الزمان عليك حفظاً من الاملاك والمال المضاع

وناحية اخرى تدل على احترام الشريف لوالده ، وتقديره له ، فلقد كان الموسوي دائم السعي لفض الخلافات الناشئة بين السنة والشيعة ، وكان رجلاً صالحاً كريماً ، فهو من اهل الصلاح والأصلاح ، ولقد قدر الشريف لوالده هذه المزايا الطيبة فمدحه معديداً مآثره في هذا السبيل .

ولولاك على بالجامح سورها وخسندق فيها بالدماء الذوائب

وفي سنة ٤٠٠ مات ابو احمد الموسوي ذلك الشيخ الصالح . وكانت موته كارثة حلت بولده الشريف ، فرثاه بقصيدة طويلة معديداً مناقبه ، ذاكر آحزنه لفراقه وتمثل هذه القصيدة صدق العاطفة نحو الراحل الكريم .

أنعاك للخيال المغيرة شزباً خبط المغار بهن من لم يحرم

كالسرب أوجس نبأة من قانص فمضى يلف مؤخراً بمقدّم

الخ ما في هذه القصيدة من التوجع على فقد والده .

اذن عليه منذ الان فصاعداً ان يشق طريقه بنفسه ، عليه ان يعتمد قواه في مكافحة الخطوب ، التي امت به منذ صغره والتي جعلت شعره يشيب وهو في العشرين من عمره .

ونعود إلى الشريف الفتى لنحدد العوامل التي تسببت لتجعل من الشريف رجلاً يسعى ليكون صاحب الكلمة الاولى في الديار الإسلامية بأسرها . نظرة إلى الشريف في مستهل شبابه لتبين هل كان من الممكن ان يفكر الشريف في مثل هذا؟ ثم ما هي الخصائص التي توفرت في الشريف

الرضي ، وما هي خصائص شعره ؟ ثم ما هي الفنون التي اعتمدها الشريف ؟ نحن ندرك ان الشريف امضى طفولته في بيت عز وجاه ، في بيت علم وادب ومعرفة وتقوى ، في بيت زعامة زمنية ودينية ، وليس هذا الوصف بكثير على نقيب الطالبين وهم يشكلون في ذلك الوقت كثرة لا يستهان بها ، وإلا لما اصبح امير الحج منهم ، وسأحاول في هذه الدراسة القصيرة ان اوضح ما امكن العوامل التي خلقت الشريف الطامح الشاعر الفنان ، وسأحاول ان اتناول كلام من هذه الشخصيات علي اوفق إلى اعطاء صورة صحيحة لحياة ذلك الشاعر الذي احتل مكانة مرموقة في عالم الأدب والسياسة .

في عصر الشريف الرضي وفي العصر الذي سبقه عرف الأدب العربي نهضة عظيمة في جميع الفنون والاداب والفلسفة وغيرها من امور المعرفة . وفي ذلك العصر برز اشهر علماء اللغة والشعر . ففيه عرف النقد الأدبي ، والجدل العلمي ، والنثر الفني ، والشعر الحر ، والتفكير الانساني . واذا قلنا ايضا انه كان للشريف الرضى إلى جانب والده شقيق من أئمة العلم واللغة . واذا اعتبرنا ايضا انه كان للتعلم في ذلك الوقت مكانة سامية ، لعرفنا لماذا اقبل الشريف الرضي على العلوم والأدب يعترف منها اعترافاً ، ثم يجادل ويناقش ويؤلف ، ومن تأليفه ، كتاب مجازات الآثار النبوية ، وكتاب تلخيص البيان عن مجازات القرآن ، وكتاب حقائق التأويل في متشابه التزيل ، وكتاب اخبار قضاة بغداد ، وكتاب الخصائص ، ومنهم من يعتقد ان نهج البلاغة من وضع الشريف الرضي ، ولنا عودة إلى الحديث عن نهج البلاغة ، وهذا الحديث رهن بتوضيح حالة العصر ، ومشاكله المذهبية . ان تأليف الشريف قد دل دلالة واضحة على سعة اطلاعه ، وتبصره بالفنون الأدبية ، والشريف لم تقتصر معرفته على الجوانب الجادة الصارمة من الأدب ، بل زاد من ثقافته في إطلاعه على الشعر الماجن ، ومعرفته اساليب اهل الهوى والحب . وهو الشاب صاحب العاطفة المتفتحة ، والوجدان الملهب ، وما دمنا

قد ذكرنا الوجدان فسجد لدى الشريف ذخيرة قيمة من الشعر الوجداني .
لم يقنع الشريف بدراسة الأدب في الكتب ، بل درس الحياة عن
كشب . فعرف الخيارات الناس وأشراهم ، وعرف أصحاب المراتبات السامية ،
وأهل الامكنة الوضيعة .

اذن لم يكن الشريف كالمعري . ولكنه كان كالمثنبي في معايشة
الناس ، ويزيد عنه في ان المثنبي صرف دهره وفنه من اجل فنون محدودة . او
بمعنى أوضح ، لقد كانت في حياته وشعره الصرامة التي لم تسمح للنسمة واحدة
تعطر هذه الصراحة القوية التي امتاز بها شعره . اما الشريف فقد عمل لعظام
الآمال ، كما ذاق مر الحياة ، واعطى نصيباً كبيراً من وقته وفنه لقلبه
ووجدانه .

وبين هذين العاملين عاش الشريف معظم ايامه محاولاً ان يوفق بينهما .
انها العقل والقلب ، المجد والحب ، لم ينتصر احدهما على الآخر ، فلم يكن
لينسى عقله وهو في طريقه ملبياً نداء قلبه ، ولم يتجاهل امر قلبه وهو في
طريقه لتلبية نداء واجبه وعقله . لذا كان الشريف والحالة هذه من فحول
الرجال ، وأعظم الشعراء ، وانقى اهل الوجدان .

قلنا سابقاً ان عصر الشريف كان عصر القلم ، القلم الذي كانت له المنزلة
السامية ، القلم الذي احترمه الشريف ومجّده في اكثر من مكان في شعره ،
فلنسمع الشريف يمدح صاحب بن عباد ولم يجد احسن من القلم لتمجيد
صاحبه .

لث القلم الماضي الذي قرنته بجري العوالي كان أجري وأجودهم .

وفي مكان آخر يمجد القلم بقوله :

له قلم أن جرى غربه
أمنّا القفا وخشينا اليراعا .

ان احترام الشريف للقلم يعتمد على ما كان للقلم من تأثير في علاقات الناس ، ثم اعجاب شديد . وبعد . ألا يحق للأديب الشاعر ان يعجب بالقلم وهو يشاهد ما للقلم من مكانة سامية ؟ ثم هذه المعاني الجميلة التي يسطرها القلم . انه يبعث الحياة . حياة المعاني والكلمات ، حياة الأدب . ولقد كرس الشريف عبقريته للغوص على كرام المعاني وطريفها ، ثم الالفاظ العذبة السهلة . ومن تمجيد الشريف للقلم تمجيده لأدبه واحترامه لقصائده اذ جعلها ذات مرتبة فريدة ، ومن ذلك قوله :

منحتك من منطقي تحفة رأيت بها فرحة تستلب
ارأيت اليه انه يعتبر قهيدته تحفة ، وينسجها كهديّة ثينة ، ولها ولا شك في نفس الرجل مكانة محترمة .

بينت كيف كان الشريف رجلاً مثقفاً وهذه الثقافة العالية يضاف اليها امر نسبه ومكانته التي جعلته يندفع نحو اهل العلم والادب من اهل زمانه ، فيصادقهم ويخلص لهم الود .

والشريف رجل مخلص اذا صادق ، دائم الغضب والنقمة إذا سخط . واخلاص الشريف للخليفة العباسي الطائع مضرب الأمثال وان حاول البعض ان يشوه هذا الاخلاص والصدق في العاطفة ، معتمدين في ذلك على الحادثة التي وقعت للطائع ، والتي تشبه إلى حد ما ، ما وقع للمتوكل عندما كان المبحري في ديوانه ، وكيف دخل بقاء الدولة عليه ، ومعه جمع من رجاله الاشداء وعندما قبل الارض بين يديه جلس على كرسي ، ثم دخل بعض من رجاله يتظاهرون بتقبيل يديه ، ف جذبوا الخليفة بجمل من سيفه ، ثم القوا به إلى الارض ، وكان الشريف في هذه الاثناء جالساً فلم يدافع عنه ولم ينجده بل توارى عن الانظار . لا اريد ان ابرر موقف الشريف الرضي في هذه الحادثة ولكنني اعتقد ان مساعدة الشريف للخليفة كان يعرفها الشريف من ضرور .

الجنون ، فلذا فضل ان يتواري لانه كان يدرك تمام الادراك
ان كل جهد يبذله مع هؤلاء القساة ان هو إلا ليزيد الامر عسرا ، ولكن
صدق العاطفة يبرز في ما قانه الشريف في الطائع قبل هذه الحادثة ، ثم بعدها .
ولم يكن للشريف ان يأتي على ذكر هذه الحادثة ويعتذر عن تقصيره لانه
كان يدرك كما ذكرنا بأنه لا فائدة من المساعدة والتجدة . واذا عرفنا ان
الشريف كان مرتبطاً مع اناس ، ومسؤولاً عن فئة خاصة منهم ، لتبين لنا ان
تفكير الشريف كان بعيداً جداً فان الضرر الذي سيلحق به سوف لا يقتصر عليه
بل سوف يلحق بأهله وعشيرته وجماعته . وفي هذه الحادثة يقول الشريف
بعد ان مضى الزمن عليها .

ومن نجائي يوم الدارين هوى غيري ولم أخلُ من حزمٍ ينجيني
مرقت منها مروق النجم منكدرأ وقد تلاقى مصاريم الردى دوني
وكنت أول طلاع ثنيتها ومن ورائي سر غير مأمون
من بعد ما كان رب الملك مبتسماً إلي أدنوه في النجوى ويدني
إلى ان يقول :

هيهات أغترُ بالسلطان ثانيةً قد ضلَّ ولاج ابواب السلاطين
اذن ، فهو خائف ، ترى هل استمر هذا الخوف ؟ وهل كره حقاً ابواب
السلاطين ؟ سنتبين ذلك قريباً ..

قلت ان الشريف مدح الطائع وسأثبت هنا بعض الامثلة في مدحه له
قبل موته وبعده . مدح الطائع قبل موته فيقول .

ارجوك للأمر الخطير وإنما يرجيَ المعظم للمعظم المعضل

ثم في قصيدة اخرى

وكم لك من غرام بالمعالي وهم في الاماني وارتياح
ثم ايضا

هذي الخلافة في يديك زمامها وسواك يخبط قعر ليل اليل
وغيرها :

يلقى الخطوب ووجهه طلق ويخوضهن وقلبه جذل

هذه امثلة من قصائد قالها الشريف والطائع يتربع على كرسي الخلافة ، واليك
امثلة اخرى من القصائد التي قالها الشريف في الطائع وهو خليفة مخلوع يعيش
في زوايا النسيان والأهمال :

إن كان ذاك الطود خراً فبعد ما استعلى طويلاً
ثم يقول في مكان آخر

فاتي منك انتصار يميني فتلافيت انتصاراً بمقالي ،

وما دمننا في الحديث عن اخلاق الشريف واخلاصه ، فلا بد ان نذكر
هنا اخلاص الشريف لصديقه الودود المعروف بأبي اسحاق الصابي
الذي كان صديقاً لوالد الشريف ، والذي انتقلت صداقته من الاب إلى الابن ،
فاذا باحداقة متينة . ولقد كان الصابي من الادباء المعروفين ، ورئيس كتبة
لدى الخليفة المطيع لله ، وكان قد نكل به عضد الدولة اياما تشكيل عندما مكنته
الفرحة من ذلك ، ويضاف إلى صداقة الشريف للصابي امر ميولهما المشتركة
في الادب والشعر والبيان . وكان الصابي من اكثر الناس تشجيعاً للشريف
فيما يتعلق بالخلافة . لذا احبه الشريف واخلص له الود ، ولقد مدح الصابي
الشريف ايضاً مدحاً خالصاً يبرهن عن احترام وتقدير :

أبا حسن لي في الرجال فراسة تعودت منها ان تقول فتصدقا

وقد خبرتني عنك أنك ماجد سترقى من العلياء ابعده مرتقى
واقدر الشريف الرجل هذا الاحترام وهذه البشائر الطيبة فوعده
بأن يشركه في هذا المجد الذي ينتظره عندما اجابه على هذه القصيدة .

فان راضني دهري اكن لك بازيا يسرك محصوراً ويرضيك مطلقاً
اشاطرك العز الذي استنميده بصفقة راض أن غنيت وأماقا
واقدر خص الشريف الصابي بعاطفته ووجدانه عندما قال :

كم ذميل اليكم ووجيف (١) وصدود عنالكم وصدوف
وغرام بكم لو ان غراماً جرّ نفعاً للواجد المشغوف
حتى عندما اشتدت العلة بالصابي اثناء مرضه ، وابتلي بالمصائب
والأوجاع كان الشريف دائم التفكير به ، دائم العطف عليه ، وهذه
الابيات القصيرة تبين لنا مدى العاطفة الصحيحة والود الحقيقي :

ولو أن لي يوماً على الدهر إمرة وكانت لي العدو على الحدائن
خلعت على عطفك برد شبيبتي جواداً بعمرى واقتبال زماني
وحملت ثقل الشيب عنك مفارقي وإن قل من غربي وغض عناني
حتى انه عندما مات الصابي رثاه الشريف بقصيدة من عيون الشعر الرثائي :
ارأيت من حملوا على الاعواد ارأيت كيف خبا ضياء النادي
جبل هوى لو خر في البحر اغتدى من وقع متابع الازباد
ما كنت اعلم قبل دفنك في الثرى ان الثرى يعلو على الاطواد
لا ينفذ الدمع الذي يبكي به ان القلوب له من الأمداد

قد كنت اهوى أن اشاطر لك الردى لكن اراد الله غير مرادي
يا ليت اني ما اقتنيتك صاحباً كم قنية جلبت أسى لقوادي .
ارأيت الى هذا الرثاء الرائع ، وهذا التفجع الجميل ، وما دام
حديثنا يتعلق بالرثاء عند الشريف فلنرى كيف رثى الشريف والدته
ذلك الرثاء المهيّب ، الذي يمثل صدق العاطفة والرجولة ، هو يريد ان
يبكي لكنه يعلم ان البكاء لا نفع منه ، هو يريد ان يقول ، إلا
ان المقال لا رجاء فيه ، فهو يطوي اذن حزنه بين جوانحه ، ويصبر ،
وليس كالرجال يعرفون شيم الصبر ، ويطيقون احتماله :

ابكيك لو نفع الغليل بكائي واقول لو ذهب المقال بدائي
واعوذ بالصبر الجميل تعزياً لو كان بالصبر الجميل عزائي .
الواقع ان الشريف عاصر ثلاثة من خلفاء بني العباس ، هم المطيع
الله ، والطائع لله ، والفادر بالله ، اما عهد المطيع فأنا لا نستطيع
القول ان الشريف فكر بالخلافة في تلك الاثناء لانسه كان لا
يزال صبيّاً .

ننتقل إلى عصر المطيع لله ، وفي هذا العصر ايضاً لا يمكننا ان
نتصور الشريف يعمل ضد صديقه الطائع ، لأنه كما تقدم كان يحمل
له الود والصداقة . والحقيقة ان الشريف الرضي كان يسعى دائماً
إلى عظام الامور . وهو ان أخذ بالجبال ، ولبي نداء قلبه فانه لم
يكن ينسى مجده ومطالب نفسه ، انه رجل يسعى إلى هدف في
الحياة ، وان استظل وقتاً ، او بضع وقت شجرة اتقاء هجير
الصحراء فما ذلك الا ليجمع قواه من جديد نحو صراع اطول ،
ومجد اعظم . ومن ذلك قوله :

متى أرى البيض وقد أمطرت سميل دم يغلب سميل البطاح
توارثوا الملك ولو انجبوا لورثوه عن طعان الزماح
لم يقل الشريف هذا في زمن الطائع ، ومع اني لا انكر ان
الشريف كان يحاول استغلال جميع الظروف كي يصل الى غرضه .
إلا ان عصر الطائع لم يكن يسمح للشريف بهذا التفكير
يضاف اليها امر حادثة سنة ، ثم يجب أن لا ننسى ان اموره لم تكن
قد سويت تماماً فيما يتعلق بأملاك والده . فكيف يمكن لرجل فقير
ان يفكر بأنقلاب سياسي ! وان يطمح إلى مركز هام . وهو يدرك
ما هو فيه من الضيق . ثم يجب ان لا ننسى ايضا ان الديلم
والأتراك كانوا ينصبون من يشاؤون من بني العباس في كرسي الخلافة ،
والشريف لم يكن يريد ان يكون خليفة فألعوبة بين يدي الديلم والترك ،
انه ينبغي انتزاع الخلافة انتزاعاً . وحتى حين خلع الطائع كان
الشريف يحترمه ويقدره . اذن ، لم يبق الا عهد القادر بالله وهو العهد
الذي فكر فيه الشريف تفكيراً جدياً بالخلافة ، وهو وان استقبل
الخليفة الجديد بالترحاب .

محمد أمير المؤمنين ، أعدته غمّاً كنور المؤرق المياس
بعثت في قلب الخلافة فرحة دخلت على الخلفاء في الأرماس
إلا انه يعود ويخاطبه بالقصيدة التي مطلعها : لمن الحدوج تزهن الأيتق .
الى ان يصل ليقول :

إلا الخلافة ميزتك فاني أنا عاطل عنها وانت مطوق .
وقال القادر عندئذ : على رغم أنف الشريف

يمكننا بعد هذا التوضيح ان ندرك ان الشريف كان يفكر بأمر الخلافة في عهد القادر بالله . ففي ذلك الوقت انصرف الشريف الى امر نفسه يتدبرها مع الملوك ، والوزراء ، والامراء . وهو يدرك تمام الادراك ان هؤلاء الكلمة التي تسمع والرأي الذي يرجع . وبما ان الشريف كان رجلاً سياسياً او بمعنى اوضح كان يريد ان يكون له رأياً في المعضلات السياسية الدائرة في ذلك الوقت ، فلذلك كان على صلة دائمة بالملوك والامراء والقواد ، يدح هذا ويجل ذاك . وهناك ناحية لا بد ان أجل الشريف من اجلها فيما أجل ، وهي موضوع حبه لوطنه وحده عليه ، واجلاله لمن ينفعه ، كما انه كان من جهة اخرى كما ذكرت يهوى المجد ، ويفكر بغده . فلذا فكر ان يتزوج زواجاً سياسياً كما يتزوج اليوم الملوك والرؤساء من بعضهم البعض ، بغية توطيد او اصر الصداقة والعلاقات ، واقد اسف الرضي كل الاسف عندما فشل هذا الزواج .

أمانئ نفس ما تُناخ ركاها وغيبة حظ لا يُرجى إياها
وهو يعني بذلك عدم عقد هذه المصاهرة او الصفقة . أما ماذا استفاد الشريف من صحبته للأمراء والملوك والوزراء ؟ لقد استطاع ان يحافظ على منصب والده في ان يكون امير الحج ، والصلة بين اهل الشام والعراق والحجاز وفارس ، لان الشريف ورث فيما ورث عن والده صداقة القبائل المرابطة في الصحاري والقفار طوال طريق الحج .

واكثر الملوك الذين كان الشريف على صلة بهم هو بهاء الدولة الذي مدحه بكرام القصائد ، والتي لم تكن للتزلف والكسب ، بل كانت سجلاً لالاخلاق ، وتصويراً للرجولة . لم نقل ان الشريف كان رجلاً ، والرجل يحب فضائل الرجولة ، ويلهج بها ، ويقدر من يتحلى بفضائلها .

يا قوام الدين والفا رج للدين مضيقه
أنت راعيه وهاديه اذا ضل طريقه

ويقول في مكان آخر

لازعزعتك الخطوب يا جبيل وبالعدا بل لا بك العال
قد يوعك الليث لا لذاته على الليالي ويسلم الوعل
وبقي لحائل بقاء الدولة مكائنها في نفس الشريف حتى بعد
موته حيث رثاه الشريف قائلاً :

رزيئة لم تدع شمساً ولا قرأً ولا غماماً ولا نجماً ولا فاكاً
الى ان يقول :

لا تبصر الدهر بعد اليوم مبتسماً ان الليالي أنست بعده الضحكا .
قلت ان الشريف كان امير الحج ، ولأمانة الحج في حياة الشريف
وفنه وشعره اثرأ . بل آثاراً خلدت تلك العبقرية ، وذلك الذوق
الفني الخالص ، وكان الشريف ، قد صرف الخواطر التي تتعلق بالخلافة
من خاطره بعد ان ادرك انه لا يمكنه بلوغها وانه وان بلغها
فسوف لا يسعد على كرسي الخلافة في خضم هذا المعترك السياسي
الدنس ، اذن لينصرف الى ما هو اجدى وانفع .

وهكذا انطلق الشريف الى شأن حياته ، وكان كما نعلم قد
فتح مكتبة او مدرسة سماها « دار العلم » وفدت عليها الطلاب
للدرس والاطلاع ، فكان الشريف وحالة هذه كما تقدم ايضاً مصلحاً
اجتماعياً ، وداعية من دعاة انتشار الادب والزهارة المعرفة .

ولمواسم الحج ابادي بيضاء على الشعر العربي ، ففي هذه المواسم
غره الشريف اجمل الأغاني ، ولحن اعذب الاغاني . اذ ان لشهوده موسم

الاعیاد والحاجات الحسان من شأمیات ، ومغربیات ، وعراقیات ، وحجازیات ،
یؤدین فریضة الحج ، وهن یرفلن بأثواب الغوی والشباب ، ثم
یطفن حول الكعبة ، او فی ذهابن إلى رشق الحجاره بأنامل
رخصة ، تلك الأنامل التي داعبت أوتار قلبه الحساسة ، وبعثت النشوة فی
نفسه ، واطلقت شیطین الشعر فی اودية العبقریة ، فتروم « بالحجازیات »
التي أضحت مضرب الامثال فیقولون : لا تعقل نفس المتأدب إلا إن
حفظ هاشمیات الكمیت : وخریات أبي نواس ، وزهدیات أبي العتاهیه ،
وتشبیہات ابن المعتز ، ومدائح البحتري ، وحجازیات الشریف الرضي «
اذن فحجازیات الشریف الرضي تمثل لونا زاهیا من ألوان الأدب
العربي ، وهي فی الوقت نفسه تعید إلى الاذهان ، تلك الاناشید
التي اطلقها قبله شاعر هنالك فی فیا فی الحجاز ، وبطاح مكة ، یستقبل
القادمات من مختلف الاقطار الاسلامیة فرحاً جذلاً ، ثم یودعن
بعد امد وهو علی امل بقاء ثان ، قد یتم وقد لا یتم ، یدكرنا
بعمر ابن ابی ربیعہ ، بصاحب الاغارید العذبة . واقد احیا الشریف
عهد عمر بل زاد علیه ألواناً لم تكن معروفة ، ولم یكن
عمر قد توصل الیها ، فحجازیات الشریف وغمامیاته تقطر لوعة ،
وتذوب صباة ، یتروم المیسور بها ، ویعتقد كل منهم ان ،
الشریف یصور عواطفه ، یتحدث بلسانه ، ویشعر بقلبه ، واذا اعتبرنا ان
الشریف كان نقیب الطالبین ، وكان امیر الحاج ، وكان الطامح إلى
مقام الخلافة ، لتبین لنا جرأة الشریف . فی عصر اوشك ان یشمله
الجمود ، وان یسیر علیه التزمت . وفی نظري ان هذا الواقع
الاجتماعي والديني فی حياة الشریف هو الذي حرص ودفع به إلى ان
یغرد اناشید الهوی والصبابة ، والعفاف والجمال ، اذ لو كان الشریف
كالنواصي مثلاً ، مطلق الحرية والتصرف لما ترك بعده هذا التراث

الأدبي الشعري العفيف الرائع ، او لكان كأحد أولئك الشعراء
الذين كانت تزخر بهم ارض العراق ، امثال السلامي الذي فتن اهل
العراق بطراقة شعره وحنوه .

وفيهم سكرى الملحظ سكرى من الصبا

تعاتبُ حلوَ اللفظ حلوَ الشئائلِ

ثم ابن نباته السعدي ، ثم السري للرفاء ، ثم اعقب ذلك شاعران
ماجانان هما ابن حجاج وابن سكرة ، اللذان وافقت اشعارهما اذواق
اهل زمانهما ، ولنسَمع الى هذين البيتين من الشعر لأبن سكره اللذين
اسكرا اهل بغداد وفتنا الراي العام :

ويوم لا يقاس إليه يوم يلوح ضياؤه من غير نار

أقننا فيه لسلذات سُوقاً نبيع العقل فيها بالعُقار.

هذا إلى جانب اشعار النواصي وبشار وغيرهما من اهل المجهود .
ثم يجب ان لا ننسى ايضا ان عصر المتنبي الادبي كان لا يزال
مزدهراً والاعجاب به في ازدياد . رغم انه مات منذ امد طويل .
والشريف الرضي لم يكن يحب المتنبي بل كات يحقد عليه
ويعتقد انه هو احق بهذه الشهرة منه ، لما في شعره من جمال وروعة
لها روعة شعر المتنبي وقسوته ، إن لم تكن تبزه ، ثم يجب ان لا
ننسى ايضا أن من الاسباب التي جعلت الناس يلهمجون بذكر المتنبي
ويتغنون بشعره هو سبب مذهبي بحت . فلقد كان المتنبي سنياً
وكان الشريف طالبياً علوياً ، وحتى ذلك الوقت لم يكن عامة الناس
وهم الذين سمعوا وعرفوا الحوادث الجسسية التي تعاقبت على الاسلام
من جراء هذا التطاحن الديني ، والعداء المذهبي . لم يكن لهم ان يتنازلوا عن

عصبيتهم ، فلذا بقيت مكانة المتنبي متينة ، وهذا ما سنتحدث عنه ايضاً في حديثنا عن نهج البلاغة .

نريد من هذا ان نبرهن ان العصر الذي عاش فيه الشريف كان عصر اديباً زاهياً ، اما القيم الاجتماعية فقد كانت هزيلة . فلذا قدر الشعراء الذين انسجم انتاجهم مع ما في النفوس من ضعف وانحلال . فما رأيك في شاعر حفظ شعره وقدر في عصره يدعى الانطاكى من قوله ؟ :

أستغفرُ الله من عقل نطقتُ به

مالي وللعقل ؟ ليس العقل من شأني !

هل من الممكن ان ينحدر الشريف إلى هذه المرتبة ، ويكون من هذه الطبقة المأجنة من الشعراء ؟ كلا لن يكون ذلك . بل سيكون الشاعر الذي يقول :

تضاجعني الحسناء والسيف دونها

ضجيعان لي والسيف ادناها مني

وفي مكان آخر :

لولا هوالك لما ذلت وإنما عزي يعيرني بذل فؤادي

هل ننتظر من هذا الرجل الشريف ان يكون مأجناً ؟ ان يذل فؤاده في سبيل مجده وعزه ؟

الواقع ان الصراع بين القلب والعقل قد بلغ اشده في نفس الشريف ، انه يرغب ، ويحب ، ويريد ، ويعشق . ولكنه مع كل هذا في اضطراب لكي يعف ويتسك باهداب العقل والفضيلة ، وهناك ميزة خاصة في شعر الشريف . وغرامياته ، وحجازياته .

لم يكن الشريف كما بينا من أولئك الشعراء المأجنين ، كان يعيش في بغداد . إنما فيما يتعلق بموضوع قلبه ، وشعره ، كان شعر سكان البادية ، انه شعر العفاف والتقوى ، الا يمكننا ان نترفع بالوجد والصبابة عن المجون والعبث التي بشرت بها مدرسة النواصي ؟ اجل ، يمكننا ذلك . ولقد جسد الشريف هذه الحقيقة النبيلة .

قلت ان شعر الشريف شعر بدعوة . وازيد على ذلك ان من اهم مييزات شعر البدعوة ، ابتعاده عن الاسفاف والتبذل ، وهذا ما نامسه في شعر الشريف . ولكن الشريف البغدادي كان ينسى بدويته في بعض الاحيان ، ويندمج في هذا الجو الحافل الذي يعيش فيه . إنه نداء القلب ، ونداء العاطفية ، وهل يجرم الشريف اذا طلق تعففه وعقله وقتاً قصيراً ؟ واذا نظر إلى الحياة بنظارة الرجل الشاعر ، الفنان . ونحن نرى اليوم الملوك يتنازلون عن عروشهم ، والقواد يهملون امور جيشهم من اجل ثغر صغير ، وعيون نجلاء وجيد اتلع .

ولم تر كالعيون ظبا سيوف ارقن دماً وما رمن الجفونا

ثم

وليلة وصل بات منجز وعده حبيبي فيها بعد طول مطال
شفيت بها قلباً اطيل غليله زماناً فكانت ليلة بليالي
فيا زائراً لو أستطيع فديته بأهلي على عز القبيل ومالي

انا اعذر الشريف وهو يذكر لياليه . فهل انت تعذره ؟

قلت ان شعر الشريف مثل العفاف والنبل وسأرحل بك الى بطاح مكة حيث نلتقي هناك بأمر الحج بمجد مواسم العيون ،

ويعني عودة هذه المواسم ، انه رجل قبل ان يكون شاعراً ، وانه شاعر قبل ان يكون امير حج ، وثقيب اشراف . انه يعشق الحسن ، ويهوى الجمال ، ويوجد الملاحه ، واي انسان حساس لا يهوى الجمال ويسبح له ، فكيف اذن بالشريف ؟

سوف لا يفلت الشريف ابداً ، مع كل هذا ، من رباط عقله ، فهو وان كان يهوى العناق ، ويدرك لذته لا يبد له من ان ينسبه نفسه إلى انها تمانت ، في خيالها وفي تمنياتها ، انه يشقى في هذا النعيم ، يرى الجمال امامه ، والنعيم بين يديه ، ولكنه لا يقدم . ترى ايكون الشريف الرضي اكثر تعففاً من آدم في هذا السبيل ، ان آدم نفسه لم يقدر ان يصمد امام الاغراء ، فهبط الى الارض من الجنة ، اما الشريف ترى هل هبط من مكانته في عالم النبل والعفاف الى مصاف المجان والعابثين .

قلت ما معناه ان مطالب الشريف ، ومكانته الاجتماعية والادبية لم تسمح له بالتبذل والاسراف في الغزل الماجن ، والقول العابث ، وهنالك عامل قوي جعل الشريف يترفع بأدبه وشعره عن ما وصل اليه النواصي وغيره من شعراء الغزل والمجون في العراق ، وفي غيرها من العالم الاسلامي ، ما هو هذا العامل ؟ نعود مرة اخرى الى موضوع البيئة ، فالبيئة تكيف الشخص في اكثر الاحيان فاذا كانت بيئة وضيعة دفعت بصاحبها الى الفجور ، والاسفاف ، والابتذال . واذا كانت بيئة مثقفة ، كريمة ، نبيلة ، جادة ، فلا بد لها ان ترفع صاحبها الى الجودة والعفة والانتقاء ، وتفهم الجمال النبيل الهادي ، وهذا ما حصل فعلاً لصاحبنا الشريف .

لم يعرف الشريف الحانات الرخيصة ، والمواخير في بغداد ولكنه كان دائم الصلات بالعائلات الكريمة الراقية ، فلذا ارتفع بشعره

عن بيئة الحانات ، والمجالس الماجنة ، وكانت علاقاته مع هذه العائلات الراقية علاقات كريهة طيبة ، وانا لا انكر ان الشريف وجد الحسن الحلال ، والجمال الشامخ ، في مثل تلك البيوتات ، والعراق معروف عن نسائه : القدود الهيفاء ، والعيون السوداء ، التي تهز مشاعر النفوس ، وتحرك لواعج القلوب . ولا شك ان الشريف قد هزته النشوة وهو ينتقل من دار الى دار ، كما تنتقل النحلة من زهرة الى زهرة ، ولكن حاله لم تكن كحال النحلة ، فانتقاله من رؤية حسنة ، الى الاجتماع باخرى ، كانت علاقة بريئة عفيفة ، وفي نظري ان مثل هذه العلاقات الادبية تصقل انتاج الشاعر ، وتشجذ عبقريته لارضاء هذا العالم المثقف الذي هو احذر كائنه ، وفي نظري ايضا ان هذا الكرم وهذه العلاقات البريئة تترك النفس وقد ترفعت عن حقير المطالب ، وصغار الرغائب .

والشريف سيبقى دائماً في غرامياته بصورة عامة ، هذا الرجل الكريم ، الذي يمثل بيئته النبيلة خير تمثيل . انه لم يسف ، وان يسف ، حسب ان تصبح اناسيده حديث المجتمعات المحترمة الراقية على ان تضع اشعاره بين كؤوس السكارى وعربدتهم .

وما ينطبق على غراميات الشريف بصورة عامة ينطبق ايضا على حجازياته بصفة خاصة ، فمواسم الحج لم يكن فيها اي مكان للفاجرات المتبذلات ، ولكنها كانت وقفاً على الحرائر ، والنساء الكريمات ، اللواتي تسمح لهن حالتهم المادية والاجتماعية بتأدية فريضة الحج .

وفي نظري واعتقادي ان نظرة العذراء الحجولة الحمية لها في النفس الف معني ، ولها في القلب اكثر من رجفة ، وانها افضل بكثير من نظرات النساء الحليعات المتبذلات ، اللواتي عرفن الحب وصلا حيوانياً ، ومتعة مستهجلة ، ولقد ادرك الشريف كل هذا وعرف ان ليس مقام الجمال بين الوجود والافذار

ولكنه كزهرات الاقدوس في اعالي الجبال تعيش بين التلويح الناصعة .
 ولنسمع الشريف يتغنى بهذه الزنبقة الطاهرة مثلاً من امثال غرامياته
 وعفاه . بل في هذه الظبية النجلاء العيون التي يخشى الشاعر ان يدنس حرماًها
 ان هو فكر بأفكار تهدف التدنيس ، واذا هاجه الشوق فحسبه ان يخاصرها ،
 ولكنه يتركها ولم يتجاوز هذه المحاصرة العفيفة .

وفي الحباء الذي هام الفؤاد به نجلاء من اعين الغزلان لا البقر
 ابرزتها فتخاصرنا بمساعدة عن الخيام نعفى الخطو بالازر
 ثم انشيت ولم ادنس سوى عبق على جنوبي لريا بردها العطر
 ثم لتصور هذا الهائم ، المحب ، هذا البدوي الذي يذكرنا بجميل ،
 وقبس وغيرهم من عشاق البادية :
 وكم ليلة بتنا على غير ريبة علينا عيون للنهي ومسامع
 نفض حديثاً عن ختام مودة معاقلمها أحشاؤنا والاضالع
 يكاد غريب الليل عنه حديثنا يطير اذ تياحاً وهو في الوكر واقع
 خلونا فكانت عفة لا تعفف وقد رفعت في الحي عنا الموانع
 سلوا مضجعي عني وعنهما فاننا رضىنا بما ينهون عنا المضاجع .

وحجازيات الشريف . زائخة بهذه المواقف ، فالشريف في حجازياته ،
 دائم التجدد ، وان انت رافقت الشريف في هذه القصائد التي تبلغ الاربعين
 لوجدت في كل واحدة معناً جديداً من معاني الغزل الرفيع ، والشعر
 العفيف ، والافاشيد النبيلة . ان الشريف سطر الحب شريعة ، ولكنها شريعة
 جميلة فيها العدل ، وفيها الظلم ، وفيها الحرمان ، وفيها العطاء ، انها شريعة الحياة .

ولا يمكنني هنا أيضاً إلا أن أشير إلى العوامل التي احاطت بالحجارات ،
 فإذا قلنا أن الحجارات اطلقتها الشريف في ديار الحجاز ، ديار النبوة . وفي
 موسم الحج ، وهو الموسم الذي تسعى فيه جماعات المؤمنين إلى مكة خاشعة
 خاضعة ، تاركة وراءها زخرف الدنيا ، ومطالب النفوس ، وملمية نداء
 قلوبها في طريقها إلى الامكنة الشريفة المكرمة ، إنما تسعى إلى الله ، ففي
 هذا الجو الروحاني الطاهر ، نرى الشريف الرضي أمير الحج والذي كان
 مثالا للحجاج في الورع والتقوى ، وسقط هذه المرحلة الوجدانية
 الرائعة من أن يشوبها شوائب من الجور أو التشبيب ، أو اللهو
 والعبث . فإذا به يقطع هذه الأيام الوجدانية في التسييح والتكبير
 والتهليل ، مسبحاً شاكراً حامداً لله روعة خلقه ، وجمال ابداعه في هذه
 الحسان الحاجات الساعيات مجدا روعة هذا الجمال الذي يسعى
 بين مناسك الحج حيث يرفلن باثواب العوى ويسجن في امواج من العطرا
 ان جرأة الشريف في هذه المواقف اعظيمة ، وانني اعتبر الشريف ثائراً في
 هذه الميادين . لقد ثار على العرف والتقاليد . فالشريف الذي
 ادخل على موسم الحج ، هذا اللون الطريف ، كان مغامراً وكان
 شجاعاً في ان يغني هوى قلبه ، في مثل تلك الامكنة المكرمة . ان
 فؤاد الشريف لن يكون اسير التقاليد ، وان لسان الشريف سيردد هذه
 المشاعر ، وليكن ما يكون . سيثبتم نفسه بالعبودية ، فهو عبد من عباد العيون
 والنحور والحدود والقنود ، وليس هو بأكثر من شاعر يشعر فينطلق شعره
 عذبا طريفاً جريئاً . مع هذا لا بد ان نذكر ايضاً ان الشريف في كل هذا
 كان اديباً ، وكان مثالا للأدب والذوق فلم يسف ولم يتبدل ، ولم يعبت ، لقد
 كان عليه ان لا يسمح لمشاعره ، وفؤاده ان تشوه هذه المواسم
 الكريمة ، بسفيه الكلام . ومتى كان الشريف سفيهاً مبتذلاً . ؟ لا

لم يكن ، ولن يكون ابداً . انه فنان يصور لوحات خالدة ، فيها عظمة الفن ، وروعة الذوق ، اوليست أمكنة اللوحات الفنية في صدر المجتمعات ، ومقام العظماء . ألا نشاهد عند دخولنا الكنائس والمتاحف لوحات تنطق بالطهر والروعة في كل لحظة من ملاحظتها ؟ وأنا اعجب ان لوحات الرائعة لها تأثير سحري . ألا تنتقل وانت تنظر الى لوحة جميلة ، ألا تنتقل الى عالم مليء بالمشاعر والاحاسيس ؟ هكذا كانت اشعار الشريف وقصائده ، انها لوحات فنية ترسخ في قلوب الناس ، وتنقلهم الى عالم من المشاعر والاحاسيس كما تنقلنا اللوحات الرائعة المعلقة في جدران المعابد والمعارض ، الى اجواء من التأمل والالهام . هكذا فهبت الشريف ، وارجو ان اكون قد احسنت فهمه . ليس من شك ان هنالك من ينكر على الشريف هذا . فلكل رأيه ، ولكنني لم اجد في قصائده ابتذالا ، ولا فجورا ، بل وجدت نبلا وعفافاً . اظني اطلت في هذا والآن سأنتقل الى الاستشهاد ببعض هذه الاشعار العذبة الوجدانية ، لنعيش رديحاً مع الشريف في الايام الممتعة ، ولنلتبس هذا الشوق الذي قد يعود ، وقد لا يعود . فمن ضمن له ان يعود ذلك الوجه الجميل ، وتلك العيون النجلاء ، هل تعود الحسناء التي قصدت مكة لاداء فريضة الحج ، انها انت من المغرب او من العراق ، او من مصر ، هل تراها تعود ؟ وهل يجود الزمان ان عادت هي فيعود هو ايضاً ، قد يجود الزمان وقد لا يجود . اذن فما عليه الا ان يخلد هذه الايام ، وهذه الهنيئات المختلصة من العمر ، ولتكن سجلا لقلبه . وقلوب الشعراء غريبة الاطوار . ومع غرابة اطوارها فليس مثلها تحس الجمال ، وتمجد الحسن ، والدلال ، والغوى .

اذن فالشريف يصرف يومه ويعيش هذا اليوم ، وليس للمستقبل حساب في عالم قلبه :

فواهاً كيف تجتمعنا الليالي وآهاً من تفرقنا وآها

هذه الحشرات على لقاء قد يكون وقد يكون ، جعل الشريف
 يخلد محاضره ، اما الغد فيتركه الى المستقبل ، ومن يدري ما يحمل
 المستقبل وما يضر لنا من أحداث وحوادث . اذن فليتشد الشريف .
 ليغني غزلاً فيه عفة ، وفيه حياء ، اطلقته العاطفة الصافية الدافقة ، انه
 يشكو ، ولكن ، شكاء السيد لا يذل ولا يلين ولا يستعطف :
 يا ظبية البان ترعى في خمائله ايها اليوم ان القلب مرعاك
 الماء عندك مبدول لشاربه وليس يرويك إلا مدمعي الباكي
 هبت لنا من رباع الغود رائحة بعد الرقاد عرفناها برباك
 انت النعيم قلبي والعذاب له فما أسرك في قلبي وأحلاك
 عندي رسائل شوق لست اذكرها لولا الرقيب لقد بلغتها فاك
 هامت بك العين لم تتبع سواك هوى

من علم العين ان القلب يهواك

انظروا الى هذا الماكر يقول : من علم العين ان القلب يهواك .
 لي العذر ان قلت انه ماكر . فليس كجمال مكر الشعراء . انه
 الروعة ، وانه الكذب الخلال .
 وعودة الى الحجازيات :

تذكرت بين المأزمين إلى منى غزلا رمى قلبي وراح سليما
 لأن كنت استجلي مواقع نبلة فاني ألاقى غيبهن أليما
 فلو كان قلبي بارئاً ما ألمته ولكن أسقاماً أصبن سقيما

ليس هذا اول حب ، وليست هذه اول ظيئه يراها ، انه يصح فيه قول القائل : تكسرت النصال على النصال . ولسكنها نصال مؤلمة ، وألم الشاعر يختلف عن ألم الرجل العادي .
ثم لتخلق مع الشريف في حجازياته ، وكم كنت اود لو يقدر لي ان اعيش مع الشريف في كتاب خاص . استطيع فيه ان اتناول حجازياته واعدد ما في هذه الحجازيات من الاطياب ، ومن العطور ، ومن العيون الدافقة روعة وجمالا وفناً ، واني لفاعل ذلك ان شاء الله في المستقبل . فالحجازيات الشريف في نفسي مكانة سامية .
وعودة اخرى إلى الحجازيات :

ايها الرائع المغذ تحمل حاجة للعذب المشتاق
أقر عني السلام أهل المصلى فبلاغ السلام بعض التلاقي

وفي القرى يقولون ، المكاتبه ثلثا المشاهدة

واذا مررت بالحيف فاشهد أن قلبي اليه بالاشواق
واذا ما سئلت عني فقل نضو هوى ما أظنه اليوم باقي
ضاع قاي فانشده لي بين جمع ومنى عند بعض تلك الحداق
وابك عني فطالما كنت من قبل أغير الدموع للعشاق

لقد اضاع الشريف قلبه ! فأين يا ترى نجده ؟ كلا ، لم يفقده بل هو يعرفه اين هو ، وانا اعتقد أن الشريف كان يترك في الحجاز قلبه حقيقة ، ايكون الشريف قد احب احدى الحجازيات ؟ ليس هذا بمستبعد .

وقبل ان اختم حديثي عن حجازيات الشريف لا بد ان اصل

الى هذه القضية الطريفة ، التي تبين مدى فتنة الشريف بالحج ، وانه كان يرى في الشعائر الدينية ، بعض المعاني التي لا يمكن لغيره ان يراها ، ألم اقل انه شاعر ، والشاعر اكثر احساساً من غيره بل هو جبلة احساس .

ألا يا ليالي الحين هل يرجع الهوى

الليكن لي لاجاز كن ندى القطر

فيا دين قاي من ثلاث علي م في مضين ولم يبقين فيرجو الذكر
ورامين وهنا بالحجار وإنما رموا بين أحشاء المحبين بالجر
ماذا كان الشريف يفكر ، وهو يشاهد معاصم الحسان ترمى ابليس
بالحجارة ، انه كان يفكر بقلوب المعجبين والمحبين ، ان هذه الحجارة ليست
سوى جرات لاهية تصوب الى قلوب هؤلاء المعجبين ، واضمني ان اكبر
جذوة ستكون نصيب قلبه :

رموا لا يبالون الحشا وترو حرا خليين والرامي يصيب ولا يدري
وقالوا غداً ميعادنا النفر من منى وما سرتني ان اللقاء مع النفر
ويا يؤس للقرب الذي لا نذوقه سوى ساعة ثم البعاد منى الدهر
فيا صاحبي ان تعط صبراً فاني نزعتي يدي اليوم من طاعة الصبر
وإن كنت لم تدر البكا قبل هذه فميعاد دمع العين منقلب السفر
لقد صبر الشريف على مصائب الدهر ، هل تراه يصبر على فراق الجمال
والأحبة ؟ لن يصبر فسوف يبكي هواه ، ومنى قلبه . فاذا كان الحجاج
يودعون الحج بالتكبير والتهليل ، بينما يودع هو هذه الأمكنة بالبكاء

والتحسّر ، انه يودع مناسك الحج بالزفرات الملتاعة على ما يفارق من
الجمال ، ومن العيون الساحرة ، والنحور الفاتنة :

آه من جسد الى الدا د كثير اللفتات
وغرام غير ماض بلقاء غير آت

ثم انظر وان هذه الحسرة :

تنادوا بأن الثنائي غداً لك السوء من طالع يا غدا.

واذا عاد الشاعر الى العراق ، ومضت الايام ، وسان موعد الحج ،
ولم يقدر له ان يشترك فيه ، هيج اشجانه رحيل القوم الى ديار الحجاز
فوقف يقول في لوعة وحسرة :

اقول لركب رائحين لعلكم تحلون من بعدي العميق اللياليا
خذوا نظرة مني فلاقوا بها الهوى وتجدوا وكشبان الهوى والمطاليا
الى ان يقول :

تودعنا ما بين شكوى وعبرة وقد أصبح الركب العراقي غاديا
فلم أر يوم النفر اكثر ضاحكاً ولم أر يوم النفر أكثر باكياً.
وما دمت في التحدث عن وجدانيات الشريف ، فلا بد ان اشير
الى حادثة وقعت له ، وفيها نلمس صدق الرفاء ، وليس هذا بغريب
فالشريف من بيت كريم ، وارومة نبيلة .

أتينا في معرض حديثنا على ذكر الشريف المرتضى شقيق الشريف
الرضي ، ولقد كان الشريف المرتضى صاحب الامالي - والعالم المفضل ،
والسيد المحترم ، بين ابناء قومه . وتشاء الظروف ، ووشاية الرشا ، اذ

يواصل هؤلاء الوشاة كلاماً سيئاً عن لسان المرتضى في اغتياب الرضي ، ولأننا ان نتصور مبلغ الأفكار التي انتابت الشريف ، وهو يسمع هذا الذي يسمع ، انه يعرف ان الأيم كثيرة القلب ، ولقد ابغى الاحدقاء ، واختبر مقدار حمود الناس للصدقة :

كفى حزناً أني صديق وصادق ومالي من بني الانام صديق
هو يعرف غدر الاصحاب والاحدقاء ويتألم لهذا :

تجاذبني يد الايام نفسي ويوشك أن يكون لها الغلاب
وتعذر بي الاقارب والاداني فلا عجب إذا غدر الصحاب
لقد اختبر الشريف الحياة ، وعرف اخلاص الناس ، اما ان يكون
هذا الرجل شقيقه فهذا امر اشد غرابة واكثر ألماً . ولقد نظم الشريف في
هذه الجفوة القصيدة التي مطلعها :

رضيت من الاحباب دون الذي يرضى

ودانيت من تقضى الديون ولا يقضى

الى ان يقول متحرراً ، عاتباً :

فعدراً لاعدائي إذا كان أقربي

يشذب من عودي ويسرق من نخضي (١)

إذا ما رمى عرضي القريب بسهمه

عذرت بعيد القوم إما رمى عرضي

ولكن هذه الجفوة لم تستمر طويلا فسرعان ما عادت المياه الى مجاريها
بين الآخرين ، فعاد الرضي يسجل هذا قائلا :

وأعظام ما لاقيت شجواً ولوعة عتاب أخ قل الزمان به حدى
لاحظوا معي هذا الود الذي يدوم بالرغم من كل شي ، ان هذا
البيت في نظري وحده قصيدة رائعة من الأدب الوجداني .

منحتك ما عندي من الصدم معلناً وعقد ضميري ان ادوم على الود
اما الامر الوجداني الثاني ، فهو مشكلة شبابه ، وبكاؤه هذا الشباب
الذي لا يدوم ، والذي يزول بسرعة البرق ، ويخلف بعده اللوعة والحسرة
والخوف من مستقبل ظالم لا يرحم . انه واجف القلب ، وهو يرى الشعيرات
البيضاء تتسلل الى رأسه ، منذرة اقبال الشيخوخة ، وادبار الشباب .
وللشريف في ذلك قصائد وجدانية جيدة .

وها على عهد الشباب وطيبه والقصن من ورق الشباب الناضر
سبع وعشرون اهتصرون شبيبتي وألن عودي للزمان الكاسر
واذا قلنا ان الشريف الرضي عرف الشيب وهو في الثالثة والعشرين
من العمر تبين لنا كيف كان شعوره وهو يقول :

راحت تعجب من شيب ألم به وعاذر شيبه التهام والاسف
ولا تزال هموم النفس طارقة رسل البياض الى الفودين تختلف
وفي ذلك يقول :

لو يفتدي ذاك السواد فديته بسواد عيني بل سواد ضمائري
وها هو الرجل يتعسر هنا .

يا قاتل الله الغواني لقد سقيمتي الطرف بعيد الجمام

أعز من عني حين ولي الصبا واختلج الحمم بقايا العرام

وله في هذا الحقل قصائد جميلة المعنى رائعة البيان .

كنت قد ذكرت في هذا البحث ان لي عودة الى كتاب نهج البلاغة ،
وهذا انذا اعود اليه راجياً ان اكون قد انصفت هذا التراث
الفكري والأدبي الجليل . قبل ان نعطي رأينا في نهج البلاغة ونميز فيما
اذا كان منحولاً ، او عكس ذلك . لا بد ان نعرفه تعريفاً واضحاً فهو كتاب
يتنيز بمباحثه في الله ، وخلق العالم والملائكة والقضاء والقدر وفكرة الوسط
والنواحي الاجتماعية ، ثم افكار مختلفة تتصل بالدنيا ، والتنجيم ، والمرأة
وغيرها من المسائل .

ويمكننا ان نوضح هذه المواضيع التي تناولها نهج البلاغة فنقول
ايضاً : ان صاحب النهج لم يكن فيلسوفاً ، او عالماً ينظر الى الاشياء
بنظائر المدقق ، ولكنه كان صاحب دائرة معارف دينية واخلاقية
وتشريعية وحياتية ، عامته الظروف الصعبة التي رافقت حياته ، وانطقته
البلاغة والايان وحب للخير والناس ، وساعد على ذلك المثل العليا التي طالما
احبها الامام علي ودافع عنها ، ومات في سبيلها . اذن فنهج البلاغة خبرة
رجل وعندما نقول رجلاً فهذا يعني الرجولة بكامل معانيها السامية ،
عرف الحياة واختبر الناس . ورافق اعظم مصلح ، وخير الانبياء والرسل
سيدنا محمد ﷺ ، وهذا يكفيه مكرمة علاوة عما له من المكرمات والفضائل .

اما فيما يتعلق بنهج البلاغة وصحة انتسابه الى الامام فمنهم من ينكر
ذلك انكاراً تاماً متذرعين ببعض العبارات الواردة في النهج وخاصة في خطبة
- الشقشقية - مثلاً ، لا تصدر عن رجل سبق الناس بالورع والتقوى ، وانما
هي عبارات قد املاها الطبع الشعري ، والتأنيق في الاسلوب عند رجل اديب
قد استولى على أسلوبه الفني قبل ان تأخذه السياسة والاجتماع والامور الدينية .
ثم يتذرع هؤلاء ايضاً بان اكثر الافكار المبثوثة هنا وهناك في النهج لم

تكن معروفة في زمن الامام ، بل ان اكثرها قريب كل القرب من بعض اراء اليونان وغيرها من الفلسفات والنظريات ، بعدما ترجمت هذه الفلسفات الى العربية . ومثل ذلك ما جاء في خلق العالم ، « ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة منها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلبة حتى لزيت ، فجعل منها صورة ذات اضاء ، ووصول واعضاء وفصول : ثم نفخ فيها من روحه فمشت انساناً ذا اذهان يجليها ، وفكر يتصرف بها . معجونا بطينة الالوان المختلفة والاشياء المؤلفة والاضداد والاخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلبة والجود »

ويقول اولئك الذين يعتقدون ان نهج البلاغة ليس من تأليف الامام : ان هذه الاراء تذكرنا بالمذاهب الطبيعية اليونانية كمذهب طاليس وغيره القائل : بان الماء هو اصل الوجود . وانكم تدريس القائل (باللامتناهي) وهو عبارة عن مجموعة من الاضداد والاخلاط المتباينة من حر وبرد ورطوبة ويبوسة الخ . . ومن ذلك يقول هؤلاء : ان المسلمين لا يقبلون بمن يتحدث عن صفات الله او ذاته او من يجرب ان يتفلسف على ذات الله ، فكيف اذا كان هذا الرجل هو الامام علي رضي الله عنه . الى غير ذلك من الاراء التي يعتقد هؤلاء انها لم تكن متداولة في زمن الامام .

اما الفريق الثاني فيقول : ان نهج البلاغة من تأليف الامام ومن وضعه ، معتمدين بذلك على امانة الشريف الرضي ، وما اتفق بما جاء في نهج البلاغة من الاحداث التي رافقت حياة الامام ، الى غير ذلك من الاسباب التي يراها هؤلاء انها وجيهة كي يكون نهج البلاغة للامام . ولم يكن للشريف سوى شرف جمعه فقط .

ويأتي فريق آخر ، وهذا الفريق وسط بين الفريقين الاولين ، وانا ارى رأي هذا الفريق فأقول : ان الحياة الادبية كانت مربوطة - ان صح هذا التعبير - بالحياة السياسية الى حد كبير ، ومثل ذلك ان كل فئة ، وكل جماعة كان

ها شاعر او اكثر من شاعر يعدد مآثرها ، ويمجد اعمالها . واذا ذكرنا ان النزاع بين الامويين والعلويين قد بلغ حداً كبيراً ، واضحى مضرب الامثال وورثه الاجيال لمئات السنين ، تبين لنا انه لم يكن من بد لكل من الفريقين ان يعتمد جميع الوسائل لمحاربة الفريق الآخر . قلت جميع الوسائل ويدخل ضمن هذا طبعاً الوسائل الادبية . واقد بينت ما للأدب من تأثير على الجماهير ، وعلى المثقفين ايضاً .

فكما امر الامويون بشتم الامام من على المنابر ، كذلك فعل العلويون بيزيد ، وكل من هؤلاء له شأنه في امور الدعاية لمذهبه ورأيه ، ونحن في عصرنا هذا نرى الدعاية والتشويق من الامور التي تساعد على نجاح القضية التي نسعى لنجاحها ، ألم تساعد ابواق الصهيونية العالمية مثلاً على ايجاد دولة اسرائيل ، بينما اكتفت ابواق الفئة الاخرى تهاجم بعضها البعض وتدخل في جدال سياسي داخلي مما اخضع الفرصة امامها لكسب المعركة حتى الآن . ألم يكن قميص عثمان من العوامل التي اثارت الناس ضد الامام علي والتي عرف معاوية كيف يستغلها .

اذن فالشريف الرضي كان يقصد من وراء نهج البلاغة قصداً سياسياً صرفاً ، وكأني به يقول ، وقد انتهى من وضع النهج : هذه ثروة الامام الفكرية ، والادبية ، والدينية والاجتماعية ، فكيف تنسوها ! جددوا وجد الطالبين واسعوا لاعادة سلطانهم . ويؤيد هذا مطمح الشريف الى مقام الخلافة . وفي نظري ، ان نهج البلاغة في اصله من وضع الامام علي ، وهو مجموعة الخطب التي قالها في مناسبات عديدة ، ونحن نعرف ان الامام كان خطيباً مفوهاً ، ويحدثاً فصيحاً ، فابن هي آثاره ؟ بما لا شك فيه ان النهج حوى الكثير من هذه الآثار ، ولكنه لم يكن كله من آثار الامام .

قد تعرض نهج البلاغة كما تعرض الكثير من الكتب الدينية والسياسية ، لبعض من التلخيص والزيادة بما ينسجم مع حالة العصر ، والحواسن السياسي الذي

يعيش الناس فيه ، واقد مر نهج البلاغة بين كثير من الايدي ، ويجدر بنا ان لا ننسى ان كتاب نهج البلاغة لم يكن قبل ان يجمعه الشريف . او بالاصح ان ما ضم هذا الكتاب بين دفتيه هو عبارة عن خطب واقوال واجاديت فاه بها الامام في مناسبات شتى وظروف متعددة تتناولها الالسن ووعتها افئدة مريديه حتى قيس لها ان تصل الى يد الشريف . ولا شك ان هؤلاء الذين مر النهج بين ايديهم ، زادوا عليه ما ينسجم مع مطالبهم السياسية على لسان الامام كي يكسبوا اكثر عدد ممكن من المتشيعين الذين اختلفت اراهم ، وتباينت اهدافهم في عصر تعددت فيه الاراء وتباينت فيه النوايا . لذلك فنهج البلاغة لم يكن كله من وضع الامام ، ولكن فيه روح الامام وفصاحته وبلاغته . واقد زيد عليه من الشريف او ممن سبق الشريف ما يتفق والمبدأ السياسي المرتبط الى حد بعيد بالمذاهب الادبية والاجتماعية والدينية .

ومع كل هذا فنهج البلاغة ذخيرة ادبية ، وفكرية ، ولشريف الفضل كل الفضل في اخراج هذه الذخيرة وفي اذاعتها . فهي وثيقة سياسية وادبية كان لها فضل كبير في فتح ابواب الجدل والنقد المفيد ، وفي تهذيب النفوس وارشادها ،

والان واقد اتيت على نهاية هذه الدراسة عن حياة وشعر الشريف الرضي لا بد ان القى نظرة عامة على فن الشريف . بل على فنونه الشعرية والنثرية . لقد كان الشريف الرضي شاعراً فذاً . كان شاعر القلب ، والذكاء والعقل ، يصور الاهواء والشهوات والآمال والآم ، شاعر العفة والنبل والطهارة . وان في شعره من المعاني الانسانية والصور والحكم والامثال ، ما يجعله في مصاف كبار الشعراء ، وكان شاعراً وجدانياً اتحف الادب العربي بقصائد جيدة لا تنسى .

وقبل ان نتناول بصورة مفصلة ذلك لا بد من ان نشير الى ان

الشريف ، قد عاد الى شعره الذي قاله في مسيتهل حياته الشعرية ، فنقحه
وهذبه ، فلذا نشاهد هذه الميزة في العناية بأختيار الالفاظ ، وبراعة استعمالها ،
ثم هذه المعاني التي كثيراً ما يلمح بها تلميحاً غامضاً مشيراً ، او حريجاً عاصفاً
رائعاً ، على غير تكلف ، كما انه لا يقع في الاسهاب الممل .
وشعر الشريف صورة طبق الاصل عن نفسه ، انها صورة
لأنفعالاته الذاتية .

فهو يفتخر بجدوده ، وبوالده وبنفسه ، انه فخر قريب الى النفس ،
غزير المادة ، لانه صادر عن نفس حساسة تتيه عجباً ، وكبرياء ، وشموخاً . فهو
يفتخر لانه احس هذا الواقع ، فأذا بلسانه يسجل ، هذه العواطف الذاتية .
وكذلك عندما يعاتب ، او يشكو . ان نفسه تزخر بشقي عوامل
الأسى ، والغفران ، والمحبة . وعندما يثور ، انها ثورة رجل قوي ، لا يعرف
الضعف ، ولا يشكو الخوف .

وهكذا عندما يمدح ، يمدح لا حباً في كسب ، او عطية ، ولكن عن
اعجاب وتقدير ، وهكذا عندما ييجو ، ييجو عن كره وبغضاء . لم يتكلف
يوماً في شعره . وهذه من الخصائص النادرة عن الشعراء .

وعندما يتغزل الشريف ، فان غزله صادق ، انه يحب ويعرم ويعشق
ويشواق ويتمنى ، فهو ككل محب او يزيد عنه في فيض العاطفة ، وحنون
الهُوى . ولكنه مع كل هذا لا ينسى نفسه ، ومركزه . فلذا غلبت على شعره
الغزلي صفة العفاف فقد يلفه الشوق مع فتاة حسناء فيضاجعها ، ولكن
ما هو نوع هذه المضاجعة ؟ ان سيفه بينه وبينها . انه سيف العفاف والنبل .
ان غراميات الشريف وذكرياته في الحجاز ، ليست سوى ذكريات
الأيام التي امضاها الشريف في تلك الديار انها لواعج قلب أضناه الهوى ،
ولوحه الشوق .

وفن الشريف النثري لا غبار عليه ، فهو متين واضح حسن السبك ، سهل

الفهم واسلوبه صريح لا يعرف الغرض ، اخذت الى ذلك عبقرية في
الخسراج المعاني والصور .

ولقد كان الشريف شاعراً مثقفاً مبصراً بالمذاهب اللغوية والادبية ،
ومن ذلك اعتقاده بخطر البلاغة ، وعلو شأنها ، وقسوة القلم ، ثم تقديره
للبلاغة واعجابه الكلي بالبلغاء والفصحاء .

انطفئت هذه الشعلة من الوجدان الثائر . ونخبنا بغيره هذا المصباح
الوهاج ، وفارق الشريف الحياة وهو في اوج شبابه وعنفوان فيضائه
الادبي والروحي ، فترك فراغاً لا يسد ، لو عمر لا تحفنا بأثر قيمة ،
وغرر ادبية رائعة . وكانت وفاته في سنة ١٠٦٠ هـ . ودفن في داره بخط
مسجد الانباريين بالكرخ ، ويقال ان الدار خربت ودرس القبر ، فنقله
اخوه الشريف المرتضى الى مشهد موسى الكاظم في مقابر الشونيزية .
ومنهم من يقول انه نقل الى مشهد سيدنا الحسين بكر بلاه . وقد جزع
عليه السيد المرتضى جزعاً شديداً ، حتى انه لم يتمكن من العمالة عليه ،
ورثاه هر وغيره من شعراء زمانه ، وفي مختاراتنا سنثبت بعضاً من
قصائده في مختلف الفنون ، كما اننا سنثبت بصورة خاصة بعض القصائد
التي تظهر شعوره الديني .

مختارات شهرية

بجد وطموح

نبيبتهم ، مثل عوالي الرماح الى الوغى قبل غوم الصباح
قوارس ، قالوا المني بالقننا وصافحوا اغراضهم بالصباح
لغارة سامع انبائها يغص منها بالزلزال القراح
ليس على مضرها سببة ، ولا على الجلب منها جناح (١)
دونكم فابتدروا غنمها : دمي مباحات ، ومال مباح !

*

يا نفس من هم الى هممة ، فليس من عب الاذى مستراح
قد آن للقلب الذي كده طول مناجاة المني ان يراح
لا بد ان اركبها صعبة وقاحة ، تحت غلام وقاح
يجهدها او يذتني بالردى ، دون الذي قدّر ، او بالنجاح
الراح والراحة كذل الفتى

والعز في شرب ضريب اللقاح (٢)
في حيث لا يحكم لغير القننا ولا مطاع غير داعي الكفاح

(١) الجلب منها : المتضرر من وقعها . الجناح : الاثم .

(٢) الضريب : اللبن . اللقاح : جمع لقوح وهي الناقة الحلوب .

ما أطيبَ الأمر ولو أنه
 واشعت المفرق ذي همة
 لما رأى الصبر مضرًا به ،
 دفعًا بصدر السيف ، لما رأى
 متى أرى الزوراء مُرتجّة ،
 يتسبح فيها الموت عن ألسُن ،
 متى أرى الأرض وقد زلزلت
 متى أرى الناس وقد صبحوا
 يلتفت الجارب في عطفه
 متى أرى البيض وقد أمطرت
 متى أرى البيضة مصدوعة
 مُضمَّخ الجريد نؤوم الضحى
 إذا رداح الروع عننت له ،
 على رذايا نعم في سراح (١)
 طوحه الهم بعيداً ، فطاح
 راح ، ومن لم يطبق الذل ، راح
 أن لا يُرد الضيم دفعاً راح (٢)
 تمطر بالبيض الظنبا وتراح (٣)
 من العوالي والواضي ، فصاح
 بعارض أغبر دامي السواح (٤)
 أوائل اليوم بطعن صراح
 مروعا يرقب وقع الجراح
 سيل دم يغلب سيل البطاح (٥)
 عن كل كشوان طويل المراح (٦)
 كأنه العذراء ذات الوشاح
 فرأى إلى ضم الكعاب الراداح (٧)

(١) الرذايا : جمع رذية ، وهي الناقة الضعيفة . النعم : الأكل . المراح : مأوى المواشي .

(٢) الراح : جمع الراحة ، وهي باطن الكف .

(٣) الزوراء : بغداد ، تراح : تضرعها الريح .

(٤) العارض : المقصود به غبار الحرب .

(٥) البيض : السيوف . البطاح : جمع بطحاء ، وهو سيل واسع فيه دقاق الحصى .

(٦) البيضة : الخوذة من الحديد تستعمل لوقاية الرأس من الضرب .

(٧) الراداح الأولى : الكتيفة الثقيلة الجرارة . الروع : هول الحرب . الراداح الثانية :

المرأة الثقيلة الأوراك .

قوم رشحوا بالمعجز واستبدلوا

بالسيف ، يدمى غربته ، كأس راح

توارثوا الملك ، ولو أنجبوا لورثوه عن طمان الرماح

عطى رداء العز عورتهم فافتضحوا بالذل أي افتضح

إنسي ، والشاتم عرضي ، كمن روع آساد الشرى بالنجاح

يطلب شأوي ، وهو مستيقن أن عنياني في بين الجماح

فأرم بعينيك ملياً ترى وقع غباري في عيون الطلاح (١)

وارق على ظلمك هيهات أن يززع الطود بمر الرياح (٢)

لا هم قلبي بركوب العلى يوماً ، ولا بل يدي بالسماح

إن لم أنلها باشرط كما شئت على بيض الظباء واقتراح

تفكيره بالخلافة

قلق العدو وقد حظيت برتبة ،

تعالوا على النظراء والامثال

لو كنت اقنع بالنقابة وحدها ،

لغضضت ، حين بلغتها ، آمالي

(١) الطلاح : الأبل وقد ارهقها السير

(٢) أرق على ظلمك : أي أرقق بنفسك

لكن لي نفساً تشوق إلى التي
 ما بمد أعلامها مقام عالٍ
 قالوا : حجرت على نداء ، وطالما
 أرغمت فيه معاطيس العذال
 هيات قل الحامدوت ، وصار من
 أحبوه يحسدني على أموالني
 من لي بمن تركوا الصنائع عنده ،
 حتى أشاطره كرائم مالي ؟

تدمره من الزمان

حقيق بأن لا يهتك ، الدهر ، ثوبه ،
 على العار ، كأس من عجاج الملاحم
 وأين من الدهر استماع ظلامي ،
 إذا نظرت أيامه في المظالم ؟
 فهل نفعي ان يتضرر المجد عزمي
 على هذه العلياء ، والمال ظلمي ؟

أنا الأسد الماضي على كل فَعْلَةٍ
 تشي شِفَارَ البَيْضِ فوق الجماجمِ
 وفي مثلها ارضيت عن عزمي المنى ،
 وصافحت أطرافَ القنا والصوارمِ
 ولم أدِرْ أن الدهرَ يَخْفِضُ أهْلَهُ ،
 إذا سكنت فيهم نفوسُ الضراغيمِ
 وما العيش إلا قَرْحَةٌ ، إن هجرتُها ،
 سطوتُ على الدنيا بسطوةَ حازمِ
 سأصبرُ حتى يعلم الصبرُ أنني
 ملكْتُ به دفعَ الخطوبِ المهوَّاجمِ
 وآخذ ثأري من زمانٍ تعرَّضت
 مُغَارِمُهُ يميني وبين المغانمِ
 وما نام إغضاءً عن الدهرِ صارمي
 ولكنني أبقي على غيرِ راحِمِ
 وإن أنا اهْلِكْتُ الزمانَ ، فما الذي
 يُصدِّعُ عزمي في صُدُورِ العظامِ ؟

وفتية صدق من قریش اذا انتدوا
 أروك عطاء المال ضربة لازم
 اذا طردوا في معرك المجد ، قصفوا
 رماح العطايا في صدور المكارم (١)
 وان سحبوا خرواصهم لكريمة
 تصدع صدر الأرض عن قلب واجم (٢)
 وثبتت في عليا معد غصوم
 ثبات بنان في قلوب البراجم (٣)
 أيسمح لي هذا الزمان بصاحب
 طويل نجاد السيف من آل هانم ؟
 اذا أنا شيعت الحسام بكفته
 مضى عزم مشبوح الذراع خضيارم (٤)
 وان ضاقه الهم التزع رمى بها
 نوائع لا يعلفن غير الشكائم (٥)

(١) طرد الرجل خصمه : تغلب عليه . (٢) الخرواص : الرماح

(٣) البراجم : المماصل الباطنة والظاهرة من الاصابع .

(٤) الخضيارم : الرجل الجرمي على الاعداء .

(٥) التزع : البعيد . النوائع : الخيل الغرائب نزاع عن قوم آخرين . الشكائم : جمع

شكامة ، وهي اللجام .

واستُ بمستصفٍ سوى كلِّ خائضٍ
 الى كلِّ بحرٍ بالقنا متلاطمٍ
 أنامله في الحرب عشرَ أسنةٍ
 ولكنّها في الجودِ عشرُ غمائمٍ
 طموحٌ إذا غضَّ الشجاعُ لحاظه ،
 وأطرق عن برق الظُّبا كلَّ شائمٍ (١)
 أعاذل ما سمعي للومك مرتعاً ،
 إذا كان مصروفاً الى غير لائمٍ
 أبئك عن ليلٍ تعسفتُ ممتنه
 كأني أمشي في مُتون الاراقمِ (٢)
 يُخيّلُ لي أنّ النجوم ضمائرٌ ،
 تقلقلُ فيه خشيةً من عزائي
 لقيتُ ظلامَ الليل في لونٍ مفرقي ،
 وفارقتُهُ والصبحُ في لونٍ صارمي

(١) الظبا : جمع ظبّة وهي حد السيف .

(٢) الاراقم : اخبث الحيات .

أَجُوبُ أَجَامَ الْمَنَايَا ، وَأَسْدُهَا
 تَرَوُّعِي مِنْ بَيْنِهَا بِالْحَسَامِ
 وَيُنِي وَيُنِ الْقَوْمَ مِنْ آلِ يَعْرَبِ
 ضَغَائِنِ تَشْنِينِي زَهِيدِ الْمَطَاعِمِ
 إِذَا مَا جَنُوتَا مِنْ مَالِهِمْ ثَمَرَ الْعَلَى ،
 جَنَيْتُ الْعَالِي مِنْ غُصُونِ الْمَاهِزِمِ (١)
 أَغْرَى بَنِي فِهْرِ وَعِيدِ مَجَاشِعِ ،
 وَأَيُّ وَعِيدٍ بَعْدَ وَقْعِ الصَّوَارِمِ ؟ (٢)
 أَيُّوعِدْنَا مِنْ عَطَشِ الْبَيْضِ وَالْقَنَسَا ،
 وَأَقْسَمُ لَا يَنْجُو بِغَيْرِ الْهَزَائِمِ
 عَشِيَّةَ خُضْنَنَا بِالضَّوَامِرِ لَيْلِهِمْ
 وَفِي كُلِّ جَفْنٍ مِنْهُمْ طَيْفٌ حَالِمِ
 تُرِيهِمْ صَدُوزَ السَّمَرِ بَيْنَ نَحُورِهِمْ ،
 فَا اسْتَيْقِظُوا الْآنَ بَقَرَعِ الْخَالِقِمْ (٣)

(١) الماهزيم : جمع لحشم ، القاطع من الاسنة .

(٢) فِهْر : الجد الجامع لبني قريش . مجاشع : من بني تميم .

(٣) السمر : الرماح .

كَأَنَّ الْكَرَى يَقْتَصُّ مِنْ طَوْلِ نَوْمِهِمْ ،
 فَيُسْهِرُ مِنْهُمْ بِالْقَنَا كُلَّ نَائِمٍ
 وَكُلَّ غَلَامٍ خَالِطِ الْبَأْسِ قَلْبَهُ ،
 يُقَطِّعُ اقْرَانِ الْأُمُورِ الْغَوَاشِمِ (١)
 وَنَحْنُ دَلَقْنَا لِلْأَرَاقِمِ فِتْنَةً
 يُضَيِّغُونَ أَطْرَافَ الْقَنَا فِي الْحَيَازِمِ
 تَطْلُمُ مِنْ خَلْفِ الْمَجَاجِ ، كَأَنَّمَا
 تَطَالِعُهُمْ مِنْهَا عَيُونَ الْقَشَاعِمِ (٢)
 إِذَا اشْتَجَرَ الضَّرْبُ الدِّرَاكُ ، تَمَطَّقَتْ
 إِلَى الطَّمَنِ أَفْوَاهُ الذُّسُورِ الْحَوَائِمِ (٣)
 وَوَلَّوْا عَلَى الْخَيْلِ الْعِتَاقِ كَأَنَّهُمْ
 تَرَا حِمٍ نَسِيمِ الْعَارِضِ الْمَتْرَافِ (٤)
 تَفِيضُ عَيُونَ الطَّمَنِ بِالدَّمِ مِنْهُمْ ،
 وَيَغْسِلُهَا فَيُضُّ الْعَيُونَ السَّوَاجِمِ

(١) الاقتران : الخيل .

(٢) المجاج : الغبار . القشاعم : الذنور الكبيرة في السن

(٣) اشتجر : اشتبك .

(٤) العارض : السحاب المعترض في السماء

لقاء والده

كان عضد الدولة بن بويه قد اعتقل والده الشريف
الرضي ، وولده ، لأسباب سياسية وسجنها في قلعة فارس
سنة ٣٦٩ هـ (٧٧٩ م) بقي فيها حتى اطلق
سراحها شرف الدولة سنة ٣٧٦ هـ (٩٨٦ م) ،
فقال الشاعر يذكر اعتقال أبيه : وكيف التقى
به بعد خلاصه :

طُلوَعٌ هُدهِءُ الينا المغيَّبُ ، ويومٌ مُتَزَقٌ عنه الخطوبُ
لَقِيَّتْكَ ، في صدره ، شاحِبًا
إليه تَمُجُّ الذُّنُوسُ الصَّدُورُ ، ومن حُلْيَةِ العربيِّ الشُّجُوبِ
تَغَرَّبَتْ مُسْتَأْنَسًا بِالْبِعَادِ ، وفيه تَهَنِّي العيونُ القلوبِ
واحرزتْ صَبْرَكَ لِلنَّائِبَاتِ ، والليثُ في كل ارضٍ غريبِ
لَمَّا اللهُ دَهْرًا ارَاثًا اللهُ وللداءِ يومًا يُرَادُ الطَّيِّبِ
وما كان موتًا ، ولكنَّه يارَ يَنْدُبُ فيها البعيدَ القريبِ
لئن كنت لم تَسْتَرِبْ بِالزَّمانِ ، قِراقٌ تُشَقُّ نايه الجيوبِ
رمى بك ، والامرُ ذَاوِي النِّبَاتِ ، فقد كان من فعله ما يُريبِ
ولما جذبتْ زِمَامَ الزَّمانِ ، فَالَ ، وغصنُ المعالي رطيبِ
ولما استَطالَ عليك البِعَادُ أطاعَ ، ولكن عصاك الحبيبِ
وذللَ فيكَ المَطِيُّ اللُّغُوبِ (١)

رجوت الاياب ، على أنه
رحلت ، وفي كل جفن دم ،
ولا نطق إلا ومن دونه
وأنت تعلمنا بالايا
كفيل طلوع البدور الغروب
عليك ، وفي كل قاب وجيب (١)
عزاء تفور ، ودمع ريب
ب ، والصبر مرتحل لا يؤوب
وسر العدى فيك نقص العقول ،

وأعلم ان لا يسر الليمب
أما علم الحاسد المستغبر
قدمت قدوم رفاق السحاب
أن الزمان عليه رقيب ؟ (٢)
تخط ، والربع ربع جديب
فأضحك الدهر إلا إليك ،
مذبان في حاجبيه القطوب
حلفت بما ضمنت الحجون
وما ضم ذلك المقام الرحيب (٣)
بعذر تضائل فيه الذنوب
يك ، هذا قتيل ، وهذا سليم
غيطا ، وانت ضحك قطوب (٤)
دعاء الى سمع من لا يحجب
وأجهل ذا الناس مستنهض

(١) الوجيب : الحفطان .

(٢) المستغبر : المغرور .

(٣) الحجون : جبل بمكة .

(٤) القطوب : العويس .

زَعَانِفُ يُسْتَصْرَخُونَ عَلَى وَمَا اسْتَلَابَ الْعَزْزُ إِلَّا نَجِيبَ (١)
وَطَالَ مُقَامُكَ فِي مَنْزِلٍ تَطْلُعُ مِنْ جَانِبَيْهِ الْحُرُوبُ
بِضَرْبٍ كَمَا اشْتَرَطَتْهُ السِّيُوفُ وَطَعْنَ كَمَا اقْتَرَحَتْهُ الْكَعُوبُ (٢)
وَنَجَلَ تَغْلَغَلَ فِيهَا الطِّعْمَا

نُ، وَانْشَقَّ عَنْهَا النَّجِيعُ الصَّبِيبُ (٣)
وَصَحْبَةُ كُلِّ غَلَامٍ عَلَيْهِ مِنْ سِمَةِ الْعَزْزِ، حُسْنٌ وَطِيبٌ
إِذَا خَضَّبَ الرَّمْحَ أَوْ مَا بِهِ كَأَنَّ السِّنَانَ بَنَانٌ خَضِيبٌ
وَقَطَّعَكَ كُلَّ بَعِيدِ النِّيَاطِ كَأَنَّ الْجَوَادَ بِهِ مُسْتَرِيبٌ
وَارِخْنَا إِذَا مَا اجْتَلَاهَا الْهَجِيرُ طَلَّقَهَا مِنْ يَدَيْهِ الضَّرِيبُ (٤)
وَمَا زَالَ مِنْكَ عَلَى النَّائِبَاتِ مَقَامٌ عَظِيمٌ وَيَوْمٌ عَصِيبٌ
فِيَوْمٍ حُسَامُكَ فِيهِ الْخَطِيبُ وَيَوْمٌ لِسَانُكَ فِيهِ الْخَطِيبُ
طَلَبْتَ لِنَفْسِكَ فَاطْلُبْ لَنَا مِنْ الْعَزْزِ إِنَّ الْمِحَامِي طَلْسُوبٌ
وَأَنْ كُنْتَ تَأْنِفُ مِنْ مُحِبِّهِ قَاتِلُ الْعِلَاءِ إِلَيْنَا حَمِيبٌ

(١) الزعانف : الأوباش .

(٢) الكعوب : أي كعوب الرماح .

(٣) النجل : جمع نجلاء وهي الطعنة الواسعة الجرح . النجيع : الدم

(٤) اجتلاها : من اجتلاء العروس ، أخذها مجلوة . الهجير : شدة الحر . الضريب : الشالج

وما نحنُ أنت ، وكلُّ إلى
ونحن ، فسامٍ إلينا الشباب
على أنه أنت عين الزمان
ولولاك ما لدَّ طعمُ الفخار
أترضى أجلك أن لا يكون
فلا يُقعدنك كيدُ الخسود
وُحش الطلابَ فأنّا نجيدُ
ولم لا يُعْصِفُ العلى من له

غدير معين^٢ ، ومرعى خصب^٢ ؟
خلق عَجِيبٌ وخلق أديبٌ
فطال وأورق ذاك القضيب
يُعبّرُ عنها الفؤادُ الكثيب
ت ، أن تخطى إليها العيوب
راقك منها النظامُ العجيب
إذا جاءني الآملُ المستشيب^٣
أحييالك ، مني عند اللقاء
وخلقتني غرسٌ مستثمر
ذخرت لك الفرر السائرات
تصونُ مناقبك الشاردا
إذا نشرتها شفاه الرواة
وإني لأرجوك في النائبات

(١) ثوب : أي ثوب عنك .

(٢) غدير معين : أي غدير ماؤه جار .

(١) المستشيب : طالب الثواب أي الجزاء .

قادر .. وحليم

لغير العلى مني القليل والتجنب،

ولولا العلى ما كنت في الحب أرغب

إذا الله لم يعذرك فيما ترومه فما الناس إلا عاذل أو مؤنب (١)

ملكك بحلمي فرصة ما استرقها

من الدهر، مفتول الذراعين أغلب (٢)

فإن تك سمني ما تطاول بأعها

فلي من وراء المجد قاب مدرّب

فحسبي أني في الاعادي مبغض

واني إلى غير المعالي محبيب

ولاحلم أوقات، وللجهل مثلها ولكن أوقاتي إلى الحلم اقرب

يصول علي الجاهلون وأعتلي

ويعجم في القائلون وأعرب (٣)

يروون احتالي غصة، ويزيدهم

لواعج ضغن اني است اغضب

(١) يعذرك : ينصرك

(٢) استرقها : ملكها

(٤) يعجم : يوزم القول .

وأعرض عن كأس النديم كأنها
وميض غمام، غائر المزن، خلَّب
وفور، فلا الاطمان تأسر عزمي
ولا تمكر الصهباء بي حين أنرب
ولا اعرف الفحشاء الا بوصفها
ولا أنطق العوراء، والقلب منضب (١)
تحملم عن كثر القوارص شيمتي
كأن معيد الذم بالمدح مُطْنِب (٢)
اساني حصاة يقرع الجهل بالحجى
إذا نال مني العاضه المتوثب (٣)
ولست براض ان تنس عزائي
فضالات ما يُعطي الزمان ويسلب

(١) العوراء : الكلمة القبيحة .

(٢) تحلم : تتكافى الحلم . القوارص من الكلام : التي تنس وتؤلم .

(٣) الحصاة : الرزاقة . العاضه : الكاذب الذي يجيء بالزور والبهتان . المتوثب : المعتدي

لسان الطعنة

عندما قبض علي والد الشريف ، وجمي ،
به الى عتيد الدواة ، ثم حل الى قلعة فارس ،
قال له الوزير المظفر بن عبد الله ساخرًا ،
شامتًا : كم تدل علينا بالعظام النخرة ! فبلغ
ذلك الرمني فثارت ثائوته ، فقال من قصيدة يرد
عليه بها ، وسنه يومئذ فوق العترة بقايل :

ينالُ الفتى من دهره قدرَ نفسه

وتأتي علي قدر الرجال المكائدُ

فدى لك يا مجدّ العالي وبأسها

فمالُ جبانٍ شجعتَه الحقائقُ

مُعزّات ولكن ما مُعزّات عن الندى

وجودك في جيد العلي لك شاهد

بوجهك ماء العز في العزل ذائبٌ

ووجه الذي ولي من الماء جامد

فلا يفرح الاعداءُ ، فالعزل معرضٌ

إذا راح عنه صادرٌ جاء وارد

وما كنت إلا السيفَ يَمْضِي ذبابه

ولا ينصر العلياء من لا يجالد (١)

نُفِضِي فَقَضِي حَقَّ الضَّرَائِبِ فِي الْوَعَى

وَأَثَمْتُ عَلَيْهِ ، حِينَ رُدَّ ، الْمَغَامِدُ (١)

فَأَعْطَوْا عَنَانَ الضَّرِّ غَيْرَكَ إِذْ رَأَوْا

بِمَيْمَنِكَ تَسْتَوِلِي عَلَيْهَا الْقَوَائِدُ

وَمَا كُنْتَ يَوْمًا ، فِي الزَّمَانِ ، بِمُحْسِنِكَ

عُرِيَ الْمَالُ إِنْ ضَجَّتْ إِلَيْكَ الْمَوَاعِدُ

وَلَا كُنْتَ تَرْضَى إِنْ تَصْبِحَ بَيْلِدَةً

إِذَا قِيلَ عُضْوٌ مِنْ زَمَانِكَ فَاسِدٌ

أَيَا غَدُوَّةَ سَاءَ الْحُسَيْنِ صَبَاحُهَا

وَسَرَّ الْعِدَى فِيهَا الزَّمَانُ الْمَعَانِدُ (٢)

لَحَقَّتْ عِنْدِي أَنْ كُلَّ صَبِيحَةٍ

مُجَاجَةً سَمٍّ ، وَاللَّيَالِي أَسَاوِدُ (٣)

يَمْرُفُكَ الْإِخْوَانُ كُلُّ بِنَفْسِهِ

وَأَخِيرَ أَخٍ مِنْ عَرَفْتِكَ الشَّدَائِدُ

(١) نُفِضِي السَّيْفَ : سَلَّ مِنْ غَمْدِهِ .

(٢) الْحُسَيْنِ وَالِدَ الشَّرِيفِ

(٣) الْمُجَاجَةُ : مَا يُلْقَى مِنَ الْقَمَرِ ، الْأَسَاوِدُ : الْحَبَابُ .

وطاغٍ يعير البغيَ غربَ لسانه

وليس له عن جانب الدين ذائد (١)

شنتَ عليه الحق حتى رددته

صموتاً ، وفي انيابه القولُ عاضدٌ

يُدلُّ بغير الله عضداً وناصراً

وناصرُكُ الرحمنُ ، والمجدُ عاضدٌ

يعير ربَّ الخير بالي عظامه

ألا نزهت تلك العظامُ البوائد

ولو كان بين الفاطميين وفرفت

عليه العوالي والظُّبَا والسواعد !

كروم الشباب

سرف القادر بالله الشريف عن نقابة الطالبين
عندما سمع هذه القصيدة :

ما مُقامي على الهوان ، وعندني
واباءٌ مَحْلَقٌ بي عن الضيم
أي مُعذر له الى المجد ، ان ذل
ألبس الذل في ديار الاعادي
من أبوه أبي ، ومولاه مولاي
لف عرقي بعرقه سيد الناس
إن ذلّي بذاك الجوّ عزّ
قد يذلّ العزيز ما لم يُشمر
ان شرّاً عليّ إسراع عزمي
أرتضي بالاذى ، ولم يقف العزم
تاركاً أسرتي رُجوعاً الى حيث
كلذي يُخبط الظلام ، وقد

مَقُولٌ صارمٌ ، وأنفٌ حمي
كما راغ طائرٌ وحشي (١)
مُفْلِمٌ في غمده المشرقي
وبصر الخليفة العاصوي
إذا ضامني البعيد القصي (٢)
جميعاً محمد ، وعلي
وأوامي بذلك المنقعر ري (٣)
لا نطلاق ، وقد يُضام الابي
في طلاب العلي ، وحظي بطي
قصوراً ، ولم تعز المطي
عذيري قد ، ورعي وبني (٤)
اقمر من خلفه النهار المضي

(١) راغ : نفر

(٢) أبوه : اي جده الرسول . مولاه : اي الامام علي ،

(٣) الاوام : حر العيش

(٤) القد : السوط . الوي : الكثير الوباء

خصام الاخوين

وفعت بين الرضي واخيه المرتضى وحشة ،
فتقاطعا وقتاً ، فقال الشاعر يشكو ويمتاب اخاه

أتاني ، ومطشول من النأي بيننا
قوارص تنبو بالجفون عن الغمض
ومولى ورى قاي باذعة ميسم
من الكلم العوراء ، مضاعلي مض
فمذراً لأعدائي ، اذا كان اقربني
يشذب من عودي ويعرق من نحضي
اذا ما رمى عرضي القريب بسهمه
عذرت بعيد القوم إما رمى عرضي
ألم يأتيه اني تفردت ، بعده
روابي للعلياء جاش لها نهضي
وأني جعلت الأنف ، من كل حاسد
قبالي ، وخذني كل مضطرب من أرضي
وكم من مقام ، دون مجدك ، قمته
علي زلق بين النوائب ، او دحض

وقارعتُ مَنْ أعيالك قبل قِراءه

فدأجني بعد التشاورِ والبُعْضِ (١)

لقد امست الأرحامُ منا على شفاً

فأخْلَقُ بِمُشَفٍّ لا يُعْلَلُ ، ان يَفْضِي

رأيتُ مُخيلاتِ العُقوقِ مُليحةً ،

فلا تجعلنَ برقَ الأذى صادقَ الوَاضِ (٢)

ولا تُشمتَنَّ مَنْ وَدَّ لو اننا معاً

شجيجانِ ، تلطينا الجنادلُ بالأَرْضِ (٣)

إذا كنتُ أغضي ، والقوارِعِ جَمَّةً

فمثلُك أُولى أن يُرمَّ وان يُفْضِي (٤)

على مُغْصَصٍ لو كنَّ في البدرِ لم يُنرِ

وفي المودِ لم يُورِقْ ، وفي السهمِ لم يَمْضِ

رَزِئْتُكَ حَيًّا بالقِطِيعَةِ والقَلْبِ

وبعضِ الرزايا قبلَ يومِ الفُتَى المُقْضِي

(١) دأجني : وافقني .

(٢) المخيلات : السحب المتهمة للطر .

(٣) شجيجان : مكسور الرأسين . تلطينا : تثقلنا .

(٤) القوارِع : قوارص اللسان .

أثاديكَ فارِجَ من قَريبٍ ، فأننِي
إذا ضاقَ بي ذَرعي ، مضيتُ كما تُضَي

* *

تَهْضُمَنِي من لا يَكُونُ لغيرِهِ
من الناسِ ، إِطْرَاقِي على الحُوزِ أو غَضْضِي

أفوقَ نَبيلِ القولِ بَيْنِي وبيْنَهُ
فَيُؤْثِرُني ، من قَبْلِ نَزْعِي بها ، عِرْضِي

وَأَرْجِعُ لم أُولِغَ لِسَانِي في دَمِي
ولم أَدْمِ أَعْضَائِي بِشَهْشِي ولا عَضِّي (١)
إِذَا اضْطَرَّمتْ ما يَبِينُ جَنبِي غَضْبَةً

وكادَ قَمِي يُضَي من القولِ ما يُضَي
شَفَعْتُ على نَفْسِي بِنَفْسِي فَكَفَفْتُ

من الغَيْظِ واستعْطَفْتُ بَعْضِي على بَعْضِي

(١) أُولِغَ لِسَانُهُ : ادْخَلَهُ فِي الدَّمِ لِيَشْرَبَ مِنْهُ .

دمعة الاخلاص

اجتاز الشريف بقبر ابي اسحق الصاني ، وهو
بالجنيّة من نهر آكرخايا بفساد ، في الشهر الذي
مات فيه ، فبكى دمعة حارة على ذلك القبر ، وهذا
يدل على اخلاص الشريف في صداقته تلك الصداقة التي
تغلبت حتى على الموت .

أَيْعَلِمُ قَبْرُ الْجَنِينَةِ أَنَّنَا أَقَمْنَا بِهِ نَعْسَى النَّسْدَى وَالْمَعَالِيَا؟

عَطَفْنَا فَجِيئَنَا مَسَاعِيهِ ، أَنَهَا

عِظَامُ الْمَسَاعِي ، لِإِلْعِظَامِ الْبَوَالِيَا (١)

مَرَرْنَا بِهِ ، فَاسْتَوْقَفْتَنَا رُسُومُهُ

كَأَسْتَوْقَفَ الرُّوضُ الظُّيَاءَ الْجَوَازِيَا (٢)

وَمَا لَاحَ ذَاكَ التُّرْبُ حَتَّى تَحَلَّيْتِ

مِنَ الدَّمْعِ أَوْشَالٌ مَلَأْنَ الْمَاقِيَا (٣)

نَرَانَا إِلَيْهِ عَنِ مُظْهِورِ جِيَادِنَا

نَكْفَكُفُ بِالْأَيْدِي الدَّمُوعَ الْجَوَارِيَا

وَلَمَّا تَجَاهَشْنَا الْبُكَاءَ وَلَمْ نُنْطِقْ

عَنِ الْوَجْدِ إِقْلَاعًا ، عَذَرْنَا الْبَوَاكِيَا

(١) المساعي : اكتساب المعالي .

(٢) الجوازى : الغلاء التي تجترى ، بأكل العشب عن الماء

(٣) الاوشال : المياه القليلة

- أَقُولُ لِرَكَبٍ رَائِحِينَ : تَعَرَّجُوا
أُرِيكُمْ بِهِ فِرْعَانًا مِنَ الْمَجْدِ ذَاوِيَا (١)
أَلِمُّوا عَلَيْهِ عَاقِرِينَ ، فَانْتَنَّا
إِذَا لَمْ نُجِدْ عَقْرًا ، عَقَرْنَا الْقَوَافِيَا (٢)
وَحَطُّوا بِهِ رَجُلَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى
وَكَبُّوا الْجَفَانَ عِنْدَهُ ، وَالْمَقَارِيَا (٣)
وَلَوْ أَنْصَفُوا شَقُّوا عَلَيْهِ ضَمَائِرًا
وَجَزُّوا رِقَابًا بِالظُّبَى لَا نَوَاصِيَا
وَقَفْنَا فَأَرْخَصْنَا الدَّمْعَ ، وَرَبَّمَا تَكُونُ عَلَى سَوْمِ الْغَرَامِ غَوَالِيَا
أَلَا أَيُّهَا الْقَبْرِ الَّذِي ضَمَّ لَحْدَهُ
قَضِيبًا ، عَلَى هَامِ النُّوَابِ ، مَاضِيَا (٤)
هَلْ ابْنُ هَلَالٍ مِنْذُ أَوْدَى كَعْبِدْنَا
هَلَالًا ، عَلَى ضَوْءِ الْمَطَالِمِ ، بَاقِيَا ؟ (٥)

(١) تَعَرَّجُوا : مِيلُوا وَاجْتَبَسُوا الْمَطَالِمَ .

(٢) الْعَقْرُ : نَحْرُ الْإِبِلِ عَلَى قُبُورِ الْمَوْتَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

(٣) الْمَقَارِي : الْقُدُورُ

(٤) قَضِيبًا : سَيْفًا .

(٥) هَلَالٍ : وَالِدُ الْمَيْتِ .

وتلك البسنان المورقات من المدي

تواضب ماء ، أم بواق كما هيا ؟

فان يدل من ذلك اللسان مضاوّه

مُجيب الدواعي جائداً ومُدافِعاً ،

هُنالك مُسَمِّمٌ لا يُجيب الدواعيا (١)

وما كنت أبى طول أثب بقبره

لو أني اذا استمديتُهُ ، كان عاديا

صفائح تستسقي الدموع روائحاً

على جانبيها ، والغمام غواديا (٢)

ترى الكلام الغرّان من بعد موته

نوافير عمن رامهن نواثيا (٣)

هو الخاضع الاقلام قال بها على

مُميد ضرب باللسان ، لو أنه

بيوم وغى ، قل الجراز اليابيا (٤)

(١) مرم : ساكت .

(٢) الصفائح : الحجارة العراض .

(٣) الغرّان : جمع الاغر . وهو شريف الكلام وجيله .

(٤) الجراز : السيف .

مَرِيرُ الْقَوَى نَالُ الْمَعَالِي وَاثْبًا إِذَا غِيَرُهُ نَالُ الْمَعَالِي حَايِيَا
مَضَى لَمْ يُبَايِنِ عَنْهُ قَلْبٌ مُشَيِّعٌ

إِذَا هُمْ ، لَمْ يَرْجِعْ عَنْ الْمَسَمِّ نَابِيَا (١)
وَلَا الْمَسْنَدُوهُ بِالْكَفِّ إِلَى الْحَشَا

عَلَى جَزَعٍ ، وَالمَفْرِشُوهُ التَّرَاقِيَا
وَلَا رَدًّا فِي صَدْرِ الْمَنُونِ بِرَاحَةٍ يَرُدُّ بِهَا سُمَرَ الْقَنَا وَالْمَوَاضِيَا
خَلَا بَعْدَكَ الْوَادِي الَّذِي كُنْتَ أَنْسَهَ

وَأَعْبَحَ تَعْرُوهُ النَوَائِبُ وَادِيَا
أَرْحَمَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ الْوَجَدِ تَرْتَمِي ضَمَائِرُنَا إِيَّاهَا وَاللِّيَالِيَا (٢)
رَضِيَتْ بِمُحْكَمِ الدَّهْرِ فَيْكَ ضُرُورَةً

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَغْدُو ، بِمَا سَاءَ ، رَاضِيَا ؟
وَطَاوَعْتُ مَنْ رَامَ انْتِزَاعَكَ مِنْ يَدِي

وَلَوْ أَجِدُ الْإِعْوَانَ ، أَصْبَحْتُ عَاصِيَا
وَلَوْلَاكَ ، كَانِ الصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةً

مُتَرَاثًا ، وَرِثَانَهُ الْجُدُودُ الْأَوَالِيَا

(١) مُشَيِّعٌ : شَجَاعٌ .

(٢) أَرَا حَ الْآبِلِ وَالْغَنَمِ : رَدَّهَا إِلَى الْمَرَاحِ . أَيْ ثَلَاثَةً بِالْفَتْحِ : قَطْلُ الْغَنَمِ

تطامنت^١ كما يعبر^٢ الخطب^٣ جانبي

فألقى على ظهري ، وجر^٤ زماميا (١)

ملأت بحياك البلاد مساعيا ويملاء متواك البلاد مناعيا
كما عم عالي ذكرك الخلق كله كذاك أقمت العالمين نواعيا
رثيتك كي اسلوك ، فازددت لوعة^٥

لأن^٦ المرائي لا تسد^٧ المرازيا (٢)

وأعلم^٨ أن ليس البكاء^٩ بنافع

عليك ، ولكسني^{١٠} أمني الأمانيا

رثاء الصاحب بن عباد

أكذا المنون^{١١} تقطر^{١٢} الأبطالا أكذا الزمان^{١٣} يضعضع^{١٤} الأجبالا
أكذا تصاب^{١٥} الأسد^{١٦} وهي مدلة^{١٧}

تحمي^{١٨} الشبول^{١٩} وتمنع^{٢٠} الأغبالا ! (٣)

كذا^{٢١} تقام^{٢٢} عن الفرائس ، بعدما ملأت^{٢٣} ههاهمها^{٢٤} الوردى^{٢٥} أوجالا
أكذا^{٢٦} تحط^{٢٧} الزاهرات^{٢٨} عن العلى^{٢٩}

من بعدما شأت^{٣٠} العيون^{٣١} منالا !

(١) تطامنت : انجبت . (٢) المرازىء : المصائب :

(٣) الأغبال : جمع الغيل ، وهو عرين الأسد .

اَكْذَابُ تَكْبُ الْبُزْلِ وَهِيَ مُصَاعِبٌ^١

تطوي البعيد ، وتحملُ الاثقالا ! (١)

اَكْذَابُ تَغَاضُ الزَاخِرَاتُ وَقَدْ طَعَتْ

أَجَجًا ، وَأُورِدَتِ الظِّمَاءُ زُلَالًا !

يَا طَالِبَ الْمَعْرُوفِ ، خَلِّقْ نَجْمَهُ !

حُطَّ الْحُمُولُ ، وَعَطِّلَ الْأَجْمَالُ !

وَأَقِمَّ عَلَى يَأْسٍ ، فَقَدْ ذَهَبَ الَّذِي

كَانَ الْإِثْمُ ، عَلَى نَدَاهُ ، عِيَالًا !

مَنْ كَانَ يَقْرِي الْجَهْلَ عِلْمًا تَأْقِبًا^٢ وَالنَّقْصَ فَضْلًا ، وَالرَّجَاءَ نَوَالًا

وَيُجَبِّنُ الشُّجْعَانَ دُونَ إِقَائِهِ

يَوْمَ الْوَعَى ، وَيُشْجِعُ السُّؤَالَ

خَلَعَ الرَّدَى ذَاكَ الرِّدَاءَ نَفَاسَةً^٣

عَنَّا ، وَقَلَّصَ ذَلِكَ السِّرَّ بِالَا ! (٢)

خَبْرٌ تَمَخَّضَ بِالْأَحْبَةِ ذِكْرَهُ

قَبْلَ الْيَقِينِ ، وَأَسْلَفَ الْبَلْبَالَ

(١) البزل : الابل التي اتمت التاسعة . المصاعب : الفجول التي صعب تنقلها

(٢) نفاسة : اي ضنا به لانه يجدنا اهلا له .

حتى اذا جَلَسِي الظُّنُونِ يَقِينُهُ

صدع القلوب ، واسقط الأحمال ! (١)

الشاكُّ أبردُ في الحشا في مثله يا ليت شكِّي دام فيه وطالا !

جبلٌ تسنمت البلادُ هضابَه حتى اذا ملأ الأقاليم زالا !

يا طودُ ، كيف ، وأنت عاديُّ الدُرى

ألقي بجانبك الردى زلزالا ! (٢)

ان قطع الآمال منك ، فانه من بعد يومك قطع الاء مالا

ما كنت أوّل كوكب ترك الدنا

وسما الي مُنظرائه ، فتعالى !

أنفًا من الدنيا بتت حبالها

ونزعت عنك قميصها الأسهالا (٣)

لا رزء أعظم من مُصائبك ، انه

وصل الدموع وقطع الاوصالا !

يا أمر الأقدار ، كيف أطعتها او ما وقاك جلالك الآجالا ؟

(١) الأحمال : اي الاجنة ، جمع جنين .

(٢) المادى : القديم .

(٣) بتت : قطعت .

كَيْفَ اغْتَفَلْتَ ، ففاجأتك بغيرة

أو أيس كنت المخلط المزيا

ولهذه القصيدة آتمة أيضا

مدح الطائع

من قصيدة في مدح الطائع لله سنة

٣٨٠ هـ (١٩٩٠ م)

لله ثم لك المعلى الأعظم واليك ينتسب العلاء الأقدم

ولك التراث من النبي محمد

والبيت ، والحجر العظيم ، وزمزم

تمضي الملوك ، وأنت طود ثابت

ينجاب عنك متوج ومعمم

ما ذاك إلا أن غربك منهم

أمضى ، وإن علو مجدك أعظم (١)

إن الخلافة ، مذ نهضت بعبثها

هدأ الضمير بها ، ونام النوم

لله أي مقام دين مقلته والأمر من دون القضية مبهم

فكأنما كنت النبيُّ مُناجزاً بالقول ، أو بلسانه تتكلمُ
أيام طلقها المطيعُ ، وأوحشت

مذ زال عن ذا الغابِ ذاك الضيغمُ (١)
ففضى ، وأعقب بعده متيقظاً

سجلاًه بُوسى في الرجال ، وأنعمُ (٢)
كالغيثِ ، يخلفه الربيعُ ، وبعضهمُ

كالنارِ ، يخلفها الرمادُ المظلمُ
لا تهتدي نوب الزمانِ لدولة

اللهُ فيها ، والنبيُّ ، وانتهمُ
شرفاً بني العباس مُدَّ رواقه وعلى تساندها القنا والآنجم

في فتية ركبوا العلى من هاشم
يرمون أقطار المدوّ كما رُموا

يجري الحياء الغضُّ في قسماهم
في حين يجري في أكفهمُ الدمُ (٣)

(١) المطيع : أي الخليفة المطيع لله .

(٢) سجلاًه : أي عطيتاه .

(٣) قسماهم : وجوهم .

وإذا غضبت ، فأنت أنت شجاعة

توفي على غضب الردى ، وهم هم !
بجمائل الملك الجليل مقلد
وبخاتم النبا العظيم مختم
وعظمت قدراً ان يروك مغنم

أو ان يُصرَّ على بناك درهم
هي راحة ما تستفيق من الندى

أبد الزمان ، وبدره لا تختتم (١)
ملك تلاعب بالهوى عز ماته
بعداً به عما يقول اللوم
عالٍ على نظر الزمان مبراً
مما يمن به الزمان ويثلم
بيننا يضيء على الظلام ، فينجلي

حتى يُغير على الضياء فيظلم
النفع والاضرار فصل لسانه

ليراش عاف ، أو يضعضع مجرم (٢)
ومروح عنه وليه وعدوه
هذا يزيد غنى ، وهذا يُعدم

(١) البدره : كيس من المال .

(٢) يرش : ينال خيراً . العاف : طالب المعروف .

فعلَى الْمُقَارِبِ مَطْلَعٍ مُتَبَلِّجٍ
وعلى الْمَجَانِبِ عَارِضٍ مُتَجَهِّمٍ
في كُلِّ يَوْمٍ خَالِعٍ مُتَأَخِّرٍ

يَرْدَى ، وَجَدَ غَالِبٌ مُتَقَدِّمٌ (١)
وَقُتُوحِ أَمْصَارِ تَرْوَحٍ وَتَعْتَدِي عَفْواً إِلَيْكَ ، وَغَيْرُهَا يُتَجَسَّمُ
لَوْلَاكَ لَمْ يَكُ مِثْلُهَا مَا يُرْتَقَى عُلُوّاً ، وَلَمْ يَكُ مِثْلُهَا مَا يُغْنَمُ

مدح القادر

من قصيدة مدح بها الخليفة القادر سنة ٥٥٣٨ هـ

أَمِنْ الْخُدُوجِ كَزَيْهْنٍ الْأَنْزِيْقِ
وَالرَّكَبِ يُطْفَو فِي السَّرَابِ وَيَغْرَقُ ؟ (٢)
يَقْطَعْنَ أَعْرَاضَ الْعَقِيقِ ، فَشْتُمُ يَحْدُو رَكَائِبَهُ الْغَرَامُ ، وَتُعْرِقُ
أَبْقُوا أَسِيراً بَعْدَهُمْ ، لَا يُفْتَدَى مِمَّا يُجِنُّ وَطَالِباً لَا يُلْحَقُ (٣)
يَهْفُو الْوَلُوعُ بِهِ ، فَيَطْرِفُ طَرْفَهُ
وَيَزِيدُ جَوْلَانُ الدَّمُوعِ فَيُطْرِقُ

(٢) الخالِع : الخارج من طاعة سلطانه . يَرْدَى : يهلك . الجَد : الحظ .

(١) الخُدُوج : الهوارج .

(٢) يجن : يخفي في قلبه .

ووراءَ ذاكَ الحِدرِ عارضُ مُزنَةٍ
 لا نافعٌ ظمًا ، ولا مُتأَلِّقٌ (١)
 ومُحجَّبٌ ، فاذا بدا ، من نُوره
 للركبِ مُلتهبُ المطالعِ مُورِقُ
 خرُّوا على شُعَبِ الرِّحالِ وأسندوا
 أيدي الطعان إلى قلوبِ تخفُّقِ
 هل عهدُنا بعدَ التفرُّقِ راجعٌ
 أو عُصننا بعدَ التسلُّبِ مورِقٌ ؟ (٢)
 شوقٌ أقام وأنتَ غيرُ مُقيمةٍ
 والشوقُ بالكلفِ المُعنى أعلقُ
 ما كنتُ أحظى بالدُّنوِّ فكيفَ بي
 واليومَ نحنُ مُغربٌ ومُشرقٌ ؟

* *

وَمُطَلِّحِينَ لَهُمْ بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ
 مُلْقَى وَسَادَّتِهِ الثَّرَى وَالْمِرْفَقِ

(١) العارض : السحاب . المزنَة : المطر .

(٢) التسلب : الحداد على الميت

مدحه الملك شرف الدولة

من قصيدة يمدح الملك شرف الدولة بن عضد
الدولة البويهي ، عند دخوله بغداد سنة ٥٣٧ هـ
(٩٨٦ م) بعد انتصاره على أخيه صمصام
الدولة ، ويشكره على إطلاق أبيه من القلعة :

أَحْظَى الْمُلُوكُ ، مِنْ الْإِيَّامِ وَالذُّوَلِ
مَنْ لَا يَنَادِمُ غَيْرَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
وَأَشْرَفُ النَّاسِ مَشْغُولٌ بِهَمَّتِهِ
مُدْفَعٌ بَيْنَ أَطْرَافِ الْقَنَا الذُّبُلِ
تَطْعَى عَلَى قُضْبِ الْإِبْطَالِ نَحْوَتَهُ
وَقَائِمُ السَّيْفِ مَدْبُوبٌ إِلَى الْقُلَلِ (١)

* *

إِيَّاهُ لَقَدْ أَسْرَ الدُّنْيَا ، بِسَجْدَتِهِ
أَبُو الْفَوَارِسِ ، وَالْأَقْدَامُ لِلْبَطْلِ
مَاضٍ عَلَى الْمَسْوَلِ ، طَلَّاعٌ بِغَسْرَتِهِ
عَلَى الْحَوَادِثِ ، مِقْدَامٌ عَلَى الْأَجَلِ

(١) القُضْبُ : السيوف . الْقُلَلُ : أعالي الرؤوس .

هَضَبْتُ ، يَا مَلِكَ الْأَمْلاكِ ، مَنْزِلَةَ
رَدَّتْ عَلَيْكَ يَهَاءَ الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ
دَعَاكَ رَبُّ الْعَالِي دِينَ مِلَّتِهِ
وَمِلَّةٌ ، أَنْتَ فِيهَا ، أَعْظَمُ الْمَلَلِ !
صَدَمْتَ ، بَعْدَادَ وَالْأَيَّامُ غَافِلَةٌ
كَالسَّيْلِ يَا نَفَّ ، إِنْ يَأْتِي عَلَيَّ مَهْلٍ
بِكُلِّ أَبْلَجٍ مَعْرُوفٍ بِطَاعَتِهِ إِذَا تَنَاقَرَ لَيْلُ الْحَادِثِ الْجَلِيلِ
يَا قَائِدَ الْخَيْلِ ، إِنْ كَانَ السَّيَّانُ فَمَا
فَأَنْ رَحِمَكَ مُشْتَاقٌ إِلَى الْقُبُلِ
وَكَمْ مَدَدْتَ عَلَى الْأَقْرَانِ مِنْ رَهْجٍ
فِي لَيْلَةٍ تَغْدُرُ الْأَحَاطُ بِالْمُقَلِّ (١)
وَمُسْتَغْفِرِينَ ، مَا زَالَتْ قُلُوبُهُمْ
تَبَدُّدُ الرَّأْيِ بَيْنَ الرِّيْثِ وَالْمَجَلِ
حَتَّى أَخَذَتْ عَلَيْهِمْ حَتَفَ أَنْفُسِهِمْ
فَأُظْلِمُوا بِبُرُوقِ الْعَارِضِ الْمَهْطِلِ

راموا مقامك ، فازورت عيونهم

ما كل لحظ إلى الآفاق من قبل (١)

لله زهرة ملك قام حارسها وليس يعلم أن الشمس في الحمل

لا تأمن من الدنيا علي سلف

فآخر الشهد فينا أعذب المسل

ولا تبالي بفعل ، ان همت به

ولو رمى بك بين المذر والمذل

لا تمشين إلى أمر تعاب به فقلبا نطعن الأيام بالزلال

لله ، أي فتي أمت لبانتة

رذيلة بين أيدي العيس والسبيل (٢)

لا يفسد الحب رأيا كان أصله

إذا الفتى طرد الآراء بالفزل

راك أشرف ممدوح لممدوح

وخير من شرعت فيه يد الأمل

(١) الآفاق : مجاري الدمع

(٢) البانة الحاجة .

فجاء نحوك لا يلوي على أحد
إن المقيم عن النزاح في شغل
وليس يأتلف الإحسان في ملك حتى يؤلف بين القول والعمل
فما أمل مديحاً ، أنت سامعه
وعاشق العز لا يؤتى من المثل
ما عذر مثلي في قص وقواته
أبي الوصي ، وجدّي خاتم الرسل
هذا أبي ، والذي أرجو النجاح به
أدعوه منك طليق الهم والوجيل
لولاك ، ما انفسحت في العيش همته
ولا أقر عيون الخيل والخول (١)

غزل وعب الحجازيات

ليالي منى

من مُعِيدٍ لِي أَيَّامٍ	مي بجزع السمرات (١)
وليالي يجمع	ومنى والجمرات (٢)
وطلباء حاليات	كظبياء عماطيات
رائحات في جلايه	ب الدجى مختمرات (٣)
راميات بالعيون	نجل قبل الحصيات
العقير القاب راحت	ام لعقر البدئات ؟ (٤)
كيف اودعت فؤادي	أعيننا غير ثقات !
أيها القانص ، ما أح	سنت صيد الظبيات
فأتاك السرب ، وما زو	دت غير الحشرات
يا ووقوفا ما وقفنا	في ظلال السكيمات (٥)

(١) الجزع : منطفئ الوادي . السمرات : شجر الطلح ،

(٢) جمع المزدلفة ، موضع بين عرصات ومنى . منى : موضع بمكة . الجمرات :

الحجارة التي يرمي بها الحجاج ابليس .

(٣) مختمرات : لابسات الخمار ، والخمار ما تلبسه المرأة على وجهها بغية التستر

(٤) البدئات : جمع بدنة بالتحريك ، وهي الابل والبقر

(٥) السكيمات : نوع من الشجر مفودها سلكة

موقفًا يجمع فيها	ن الهوى والفتيات
نتشاكى ما عنانا	بكلام العبيرات
نظره يشغل منا	كل عين بقذاة
كم نأى بالنفوس عنا	من غزال ومهابة
آه من جيد الى الدا	ر كثير الالفتات
وغرام غير ماض	بلقاء غير آت
فسقى بطن منى والا	خفيف صوب الغاديات (١)
وزمانًا نائم العذ	ال مأمون الوشاة
في ليال كالألي	بالغواني مقميرات
غرس عندى غرس الا	شوق مرور الجنة (٢)
أين راق لغرامى	وطبيب شكاتي؟ (٣)

لوحة الفراق

يا قلب جدد كمدًا فوعد البين غدا
لم أرَ فرقًا ، بعدهم بين الفراق والردى

(١) الحبيب : غرة بيضاء في الجبل الاسود الذي خلف ابي قيس بمكة ، وبها سمي مسجد الحبيب .

(٢) : مرور الجنة : اي مر الجنى

(٣) الرافى : راته - اي صنع له تعويذة تنبه امراض الحب والهوى

يا زفرة هيجها حاد من الغور حدا (١)
أغنى زفير العاشقين عيده عن الحدا
أرعي الحمول ناظراً وألزم القلب يدا (٢)
وأطرُد الطرف على آثارهم ما أنظر دأ
مذ أوقدوا بأضلعي جمر الغضا ، ما أخمدا (٣)
ومذ أذابوا ماء عيني بالآسى ، ما جمدا
يا هل أرى ، من حاجة حقف النقا والجمدا (٤)
وحيث نال الرمل عن جرعائه ، وانعقدا (٥)
وهل أعيد ناظراً يتبع سرباً منجدا (٦)
يمشين هزات القنا مال وما تقصدا
هل ناشد ينشد لي ذاك الغزال الأغيذا
ما ضل عني ، إنما ضل بقاي كمددا (٧)

(١) الغور : اسم لعدة مواضع .

(٢) الحمول : الهزادج

(٣) الغضا : شجر ، خشب صلب ، يبقى مدة طويلة كي يصبح رمانداً

(٤) الحقف : الموج من الرمل ، النقا : القطعة من الرمل ، الجمسد : جبل بنجد .

(٥) الجرعاء : هضبة فيها قسم من الرمل

(٦) منجداً : آتياً نجداً .

(٧) ضل بقاي : أي أضله

رَهْنَتُهُ قَلْبِي ، وَمَنْ يَرْهَنْ قَلْبًا أَبَدًا
 يَا مُنْجِزًا وَعِيدَهُ وَمَا ظَلَّ مَا وَعَدَا
 أَرَاكَ مِنِّي أَقْرَبًا وَإِنِّ غَدَوْتُ أَبْعَدَا
 عَذَّبْتَ قَلْبِي عَذَابًا وَالطَّرْفُ لَا الْقَلْبُ بَدَأَ (١)
 رَبِّ ثَنَايَا بَرَدَتْ لَدَيْ جَوِّ مَا بَرَدَا (٢)
 يَا حَرَّ قَلْبٍ مَنْ سَقِي رِضَابَهُنَّ الْإِبْرَدَا !
 لَمْ يَدْرِ هَلْ ذَاقَ بِهَا جَهَرَ غَضًّا أَوْ بَرَدًا ؟
 يَا كَبِيدِي تَجَلَّدَا ! فَمَا أَطْيَقُ الْجَلْدَا !
 عَسَى فَوَادِي يَرْعَوِي رَبِّ مُضَلِّ وَجِيدَا

غريد وباك

مَجْرِي النسيم على ماء العناقيد
 وَعَلِّي بِالْأَمَانِي كُلِّ مَعْمُودِ (٣)
 يَا تَفِيحَةً هَزَّتِ الْأَحْشَاءَ شَائِقَةً
 وَذَكَرَتْ تَفْحَاتِ الْخَرْدِ الْغَيْدِ !

(١) عذاب : خطأ .

(٢) الجوى : الحرقعة وشدة الوجع .

(٣) المعمود : الذي هذه العشق

يضمها الليل في أثناء غيبه
والقطر يلمس أطراف الجلاميد
كأنها عن طريق المزن طائفة
لحظة تردده أجفان مرؤود (١)
ليت الأحياء أغرين الرياح بنا
وإن تأين على شحط وتبعيد
وليتهن ، على يأس اللقاء لنا
علمن بالوعد سير الضمر القود
أيت والليل مبثوث حبائله
والوجد يقنص مني كل مجاود
شوقاً اليك ، وإشفاقاً عليك ، ولي
دمعان ما بين محلول ومعقود
أيس الغريب الذي تدأى الديار به
إن الغريب قريب غير مودود
يا طائر البان ، ما غربت عن سكن
يوماً ، ولا كنت عن مأوى بطرود

وَأَنْتِ فِي ظِلِّ أَفْتَانٍ مُبَدَّلَةٍ

تَحْنُو عَلَيْكَ بِقِنْوَانِ الْعَنَاقِيدِ (١)

مَلَأَتْ عُسْكَ طَعْمًا غَيْرَ مُخْتَلَسٍ

بَلَا رَقِيبٍ وَوَرْدًا غَيْرَ تَصْرِيدٍ (٢)

تَبْكِي ، وَمَا لَكَ مِنْ إِيْفٍ فَجِئْتَ بِهِ

وَلَا لُوَيْتَ ، عَلَى بُعْدٍ ، بِمَوْعِدٍ (٣)

ظَلِمْتَ ، مَا أَنْتَ مِنْ هَمِّي وَلَا كَمْدِي

إِنَّ الْعَلِيلَ أَكَلَبُ عَادَةٍ عَيْدِي (٤)

أَنَا الَّذِي إِنْ بَكَى وَجَدًا ، فَحَقَّ لَهُ

كَمْ بَيْنَ بَاكِ مِنَ الْبُلُوَى ، وَغُرَيْدٍ !

حديث المضاجع

وَقَفْتُ بِرَبْعِ الْعَامِرِيَّةِ وَقَفَّةً

فَمِنْ أَشْتِيَاقِي ، وَالدَّمْعِ خَوَاضِعِ (٥)

(١) الْإِفْتَانُ : الْإِغْصَانُ .

(٢) التَّصْرِيدُ السَّقْيُ دُونَ الْمَرِي

(٣) لُوَيْتَ : أَيِ مَا طَلَّ

(٤) عَادَةٍ : اتِّقَابُهُ . الْعِيدُ : مَا يَنْتَابُ الْإِنْسَانُ مِنْ هَمٍّ أَوْ مَرَضٍ أَوْ حُزْنٍ .

(٥) عَزَ : أَيِ قَوِيَ .

وكم ليلته بتنا على غير ريبة
 علينا عيون للنهى ومسامع (١)
 نفض حديثاً عن ختام مودة
 معاقلاً أحشاؤنا والأضالع (٢)
 يكاد غراب الليل ، عند حديثنا
 يطير أدتياحاً، وهو في الوكر واقع
 خلونا فكانت عفة لا تعفف
 وقد رفعت في الحي عن الموانع
 ساءوا مضجعي عني وعنها ، فاننا
 رضينا بما يخبرن عنا المضاجع

عائر الدموع

أيها الرائح المغد تحمل
 أقر عني السلام أهل المصلى
 وإذا ما مررت بالخيف فاشهد
 حاجة للمتيم المشتاق (٣)
 فبلاغ السلام بعض التلاقي
 أن قاي اليه بالأشواق

(١) النهى : العقل .

(٢) الختام : ما يختم به على الشيء .

(٣) المغد : المسرع في السير .

وَإِذَا مَا سُئِلْتَ عَنِّي ، فَقُلْ :

نَضَوُ هَوًى مَا أَظْنَعُهُ الْيَوْمَ بَاقِي (١)

ضَاعَ قَلْبِي فَأَنْشَدَهُ لِي يَينَ جَمْعٍ

وَمَنِي عِنْدَ بَعْضِ تِلْكَ الْحِدَاقِ (٢)

وَابْكِ عَنِّي ، فَطَلَمَّا كُنْتُ ، مِنْ قَبْلُ

أَعِيرُ الدُّمُوعَ لِلْمَشَاقِ

نَشَوَاتُ

أَسْقِنِي ، فَالْيَوْمُ نَشَوَانُ وَالرُّبَى صَادٍ وَرَبَّانُ

كَفَلْتُ بِاللَّهِ وَافِيَةً لَكَ نَيَاتٌ وَعِيدَاتُ

حَارَ وَفَدُ الرِّيحِ فَالْتَطَمَتْ مِنْهُ أَوْرَاقٌ وَأَغْصَانُ

كُلُّ فَرْعٍ مَالٍ جَانِبُهُ فَكَأَنَّ الْأَصْلَ مَسْكِرَانُ

وَكَأَنَّ الْغُصْنَ ، مُكْتَسِيًّا مِنْ بَيَاضِ الطَّلِّ ، عُريَانُ

كَلَّمَا قَبَّلْتُ زَهْرَتَهُ خَلَّتْ أَنَّ الْقَطْرَ غَيْرَانُ

وَمَقِيلٌ بَيْنَ أَخْبِيَةِ قَلْبُهُ ، وَالْحَيُّ قَدْ بَانُوا (٣)

(١) النضو : الميزول .

(٢) الحداق : الاحداق .

(٣) المقيل : نومة تحف النهار . الاخبية : جميع غباء

في أصحباب ، مفارشهم
 عسكرت فيها السحاب كما
 فارتشفنا ريق سارية
 فاسقني ، والوصل يألقي
 قهوة ما زال يقلق من
 غير سمعي للعلام ، إذا
 رب بدرت أثلثة
 قدت خيل اللثم أصرها
 لي غدیر من ممة بلاءه
 في قميص الليل عفة من
 كيف لا تبلى غلايلة
 وندامى كالنجوم سطو
 خطرنا ، والحمر تنفضهم
 كم تخلت من ضائهم
 ثم ، أنقاء وكتبان (١)
 حط بالبيداء ركبان
 حيث الأرض غدرا (٢)
 إن يوم البين قرحان
 مجتناها المسك والبان
 صاح ساجي الصوت مرنان (٣)
 صاحيا ، والبدر نشوان
 حيث ذاك الحد ميدان
 ومن الصدغين بستان (٤)
 ظن أن الوصل كتمان
 وهو بدر ، وهي كتان
 بالمنى ، والدهر جذلان
 وذيل القوم أردان
 ثم الباب واذهاب

(١) الانقاء : جمع النقا ، وهو القطعة المحدودة من الرمل .

(٢) السارية الغمامة

(٣) الساجي : الساكن

(٤) المقبل : الشعر .

كلُّ عقلٍ ضاع من يقظٍ فهو في الكاسات حيرانُ
 إنما ضلّت عقولهم حيث يُعيّين وجدانُ
 فاخترس طعم الزمان بها إنما الأيام أقرانُ « ١ »

سيف العفة

تضاجعني الحسناءُ ، والسيفُ دونهما
 ضجيمان لي والعصبُ ادناهما ، مني
 إذا دنت البيضاءُ مني لحاجةٍ
 أبى الأبيضُ الماضي وما طأها عني
 وإن نام لي في الجفنِ إنسانٌ ناظرٍ
 تيقظ عني ناظرٌ لي في الجفنِ (٢)
 أغرت فتاةً الحيَّ مما ألفتُه
 أغفلته دونَ الشعارِ من الضنِّ (٣)
 وقالت : هبوه ليلةَ الخوفِ ضمه
 فما عذره في ضمه كيلةَ الأمنِ ؟

(١) الأقران : النظائر

(٢) الجفن الثاني : غمد السيف .

(٣) الضن : أي من الحرص عليه

عذري من الصحراء

يَقَرُّ بَعِيفِي أَنْ أَرَى لَكَ مَنْزِلًا
بَنَمَانٍ يَزْكُو تَرْبَهُ وَيَطِيبُ
وَأَرْضَاءَ بَنُوَارٍ الْإِقَاحِي صَقِيلَةً
تَرَدُّدُ فِيهَا شَمَالٌ وَجَنُوبٌ
وَأَيُّ حَبِيبٍ غَيْبَ النَّأْيِ شَخْصَةً
وَحَالَ زَمَانٌ دُونَهُ وَخُطُوبٌ
تَطَاوَلَتِ الْأَعْلَامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
وَأَصْبَحَ نَائِي الدَّارِ ، وَهُوَ قَرِيبٌ ١
لَكَ اللَّهُ مِنْ مَطْلُوعَةِ الْقَلْبِ بِالْهَوَى
قَتِيلَةً شَوْقٍ ، وَالْحَبِيبِ غَرِيبٌ ٢
أَقْلُ سَلَامِي ، إِنْ رَأَيْتُكَ ، خَيْفَةً
وَأَعْرَضُ كَيْفَا لَا يُقَالُ : مُرِيبٌ
وَأَطْرِقُ ، وَالْعَيْنَانِ يُومِضُ لَحْظَهَا
إِلَيْكَ ، وَمَا بَيْنَ الضَّلُوعِ وَحَبِيبٍ ٣

(١) الأعلام : الجبال .

(٢) مطلوعة : مهدورة .

(٣) يومض لحظها : ارجع الضمير الى احدى العينين . الوجيب : الخفقان .

يقولون : مشقوق الفؤاد مروع^١

ومشقوق^٢ تدعو به في حبيب

ومما علموا أننا إلى غير ريبة

بقاء الليالي ، نفتدي ونؤوب

عفاي ، من دون الشقية ، زاجر^٣

وصونك ، من دون الرقيب ، رقيب (١)

عشقت وما لي ، يعلم الله ، حاجة

سوى نظري ، والعاشقون ضرؤب

وما لي ، يا كياء ، بالشعر طائل^٤

سوى أن أشماري عليك تسب

أحبك حباً لو جزيت بهضه

أطاعك مني قائد^٥ وجنيب

وفي القلب داء^٦ في يديك دواؤه

إلا رب داء لا يراه طبيب !

سرى لك من أوطانه كل عارض^٧

تضاحك فيه البرق وهو قطوب (٢)

(١) انتبة : الخوف والحذر . (٢) العارض السحاب المعترض

ولا زال خَفَّاقُ النسيم مُرَقِّقًا
عليك ، وأنواءُ الغمامِ تصُوبُ (١)

لقاء لن يعود

وقف الهوى بي عندها	وسرت بقلبي مُقلتها
بردت عليّ ، كأنما	طلَّ الغمامة عارضها (٢)
شمسٌ أقبلَ جيدها	يومَ النوى ، وأجلُ فها
وأذودُ قلباً ظامئاً	لو قيل : وردك ، ماعداها !
ولو استطاع ، لقد جرى	مجرى الوشاح على حشاها
يا يومَ مُفترقِ الرفاقِ	تُرى تعودُ كملتقاها ؟
قالت : سيطرُك الخيالُ	من العقيقِ ، على نواها (٣)
فبيدي بطيفك مُقلةً	إن غبت ، تطمعُ في كراها
انني شربتُ من الهوى	حمراء ، صرّفي ساقياها (٤)

(١) الانواء : أي الامطار

(٢) الطل : المطر الخفيف . المارضان : صفحتا الخدين

(٣) العقيق : الوادي ، واسم لعدة مواضع بالمدينة .

(٤) حمراء : أي خمرة الهوى الحمراء فهي شهوة . المتبهة

يا سُرْحَةً بالقاع لم يُبَلَّلْ بغير دمي ثراها
 ممنوعة ، لا ظلُّها يدنو إليّ ، ولا جناها
 أكذا تذوبُ عليكم نفسي ، وما بلغت منهاها
 أين الوجوه أحبها وأودُّ لو أنني فداها ؟
 أمسي لها مُتَقَدِّماً في المائدين ، ولا أراها
 واهماً ، ولولا ان يلوم اللاثمون ، لقلت : آها !

التحرق على الشباب

قال لي عند مُلتقى الركب عمرو :
 قَوْمَ الْعُودُ بَعْدَنَا فَانصَاطَا (١)
 أين ذاك الصِّبَا ، وأين التَّصَابِي ؟
 سبقا الطالبَ المُجِدِّ وفاتا
 من قضَى عُقْبَةَ الثَّلاثِينَ يَغْدُو
 راجعاً يَطْلُبُ الصِّبَا ؟ هِيَهَاتَا ! (٢)
 لم تَرَلْ ، والمشيبُ غير قريبٍ
 ناعياً للشبابِ حتى ماتا

(١) انصاط المنحني : استوت قائمته .

(٢) العقبة : النوبة .

كنت تبكي الأحياء ، فاستكثر اليوم

من الدمع ، واندب الأموات

شعوره نحور والدته

من قصيدة يتفجع فيها على والدته

أبكىك ، لو نفع الفليل بكائي

وأقول ، لو ذهب المقال بدائي (١)

وأعوذ بالصبر الجميل تمزيياً لو كان بالصبر الجميل عزائي

طوراً متكاثرني الدموع ، وتارة آوي إلى أكرؤمتي وحيائي

كم عبرة موهتها بأناملي وستررتها ، متجملاً ، بردائي (٢)

أبدي التجلّد للعدو ولودري بتعلملي ، لقد اشتفى أعدائي

ما كنت أذخر في فداك رغبة

لو كان يرجع ميت بفداء (٣)

لو كان يدفع ذا الحمام بقوة

لتكدست عصب وراء لوائي

بمدر بين على القراع تفيأوا ظلّ الرماح لكل يوم لقاء

(١) نفع : اروي وشفى .

(٢) متجملاً : متكلفاً الصبر الجميل

(٣) الرغبة : العطاء الكثير .

قومٌ إذا مَرَّ هو بأَغْبابِ السُّرَى كَحَلَوِ الْعَيُونِ بِأَثَدِ الظَّاهِمِ (١)
يَمْشُونَ فِي حِلَاقِ الدُّرُوعِ كَأَنَّهُمْ
صُمُّ الْجَلَامِدِ فِي غَدِيرِ الْمَاءِ

بِبُرُوقِ أَدْرَاعٍ ، وَرَعْدِ صَوَارِمِ
وَعَمَامِ قَسْطَلَةٍ وَوَبْلِ دِمَاءِ (٢)

فَارَقْتُ فَيْكَ تَمَاسُكِي وَتَجَمُّلِي وَنَسِيتُ فَيْكَ تَعَزُّزِي وَإِبَائِي
وَصَنَعْتُ مَا ثَلَمَ الْوَقَارَ صَنِيعُهُ

مِمَّا عَرَانِي مِنْ جَوَى الْبُرَحَاءِ
كَمْ زَفْرَةٍ ضَعُفَتْ ، فَصَارَتْ أَنْثَى

أَتَمَّتْهَا بِتَنْفُسِ الصُّعْدَاءِ

كَهَفَانِ أَنْزَوْ فِي حَبَائِلِ كُرْبَةٍ مَلَكَتْ عَلَيَّ جَلَادَتِي وَغَنَائِي (٣)
وَجَرَى الزَّمَانِ ، عَلَى عَوَائِدِ كَيْدِهِ

فِي قَلْبِ آمَالِي وَعَكْسِ رَجَائِي

قَدْ كُنْتُ أَمَلُّ أَنْ أَكُونَ لَكَ الْفِدَى
مِمَّا أَلَمَّ ، فَكُنْتُ أَنْتِ فِدَائِي

(١) الأَثَدُ : حَجَرٌ لِلْكُجَلِ .

(٢) الْقَسْطَلَةُ : غِبَارُ الْحَرْبِ (٣) الْغَنَاءُ : الْاضْطِلَاقُ بِالْأُمُورِ .

وَتَفَرَّقُ السُّعْدَاءُ ، بَعْدَ مَوَدَّةٍ
صَعِبٌ ، فَكَيْفَ تَفَرَّقُ الْقُرَبَاءُ
كَرْبَلَا !

من قصيدة قالها في ذكرى مقتل الحسين ،
وما أصاب أهله واصحابه في كربلاء :

كَرْبَلَا ! لَا زِلَّاتِ كَرْبَا وَبَلَا !
كَمْ عَلَى تُرْبِكَ ، لَمَّا صُرِّعُوا
كَمْ حَصَانِ الذَّلِيلِ يُرْوِي دَمْعُهَا
تَمْسَحُ التُّرْبَ ، عَلَى إِعْجَالِهَا
وَضِيُوفِ لَفْلَافَةٍ قَفَرَةٍ
لَمْ يَذُوقُوا الْمَاءَ حَتَّى اجْتَمَعُوا
تَكْسِفُ الشَّمْسُ شُمُومًا مِنْهُمْ
وَتَنْوُشُ الْوَحْشُ مِنْ أَجْسَادِهِمْ

أَرْجُلُ السَّبَقِ ، وَأَيَّامُ النَّدَى (٣)

وَوُجُوهًا كَالْمَصَايِيحِ ، فَمِنْ قَمَرٍ غَابَ ، وَمِنْ نَجْمٍ هَوَى

(١) الظَّما : العطش .

(٢) الطَّلَى : جمع طَلِيَّةٍ وَطَلَاةٍ ، وَهِيَ أَصْلُ الْعَنْقِ

(٣) تَنْوُشُ : تَتَنَاوَلُ .

غَيْرَتُهُنَّ اللَّيَالِي ، وَغَدَا جَائِرَ الْحُكْمِ عَلَيْهِنَّ ، الْبَيْلَى
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ عَايَنْتَهُمْ وَهُمْ مَا بَيْنَ قَتْلِ وَسَيْبَا :
مِنْ رَمِيضٍ يُمْنَعُ الظِّلَّ ، وَمِنْ

عَاطِشٍ يُسْقَى أَنْايِبَ الْقَنَا (١)

وَمَسْووقٍ عَاثِرٍ يُسْمَى بِهِ خَلْفَ مَحْمُولٍ عَلَى غَيْرِ وَطَا
مُتَعَبٍ ، يَشْكُو أَذَى السَّيْرِ عَلَى

تَقَبِ الْمَنَسَمِ ، مَجْزُولِ الْمَطَا (٢)

كُرَأَتْ عَيْنَاكَ مِنْهُمْ مَنَظَرًا لَلْهَشَا شَجَوَاءَ ، وَلِلدَّيْنِ قَذَى
لَيْسَ هَذَا لِرَسُولِ اللَّهِ يَا أُمَّةَ الطُّغْيَانِ وَالْبَغْيِ جَزَا !
غَارِسٌ ، لَمْ يَأَلُ فِي الْغَرَسِ لَهُمْ فَأَذَاقُوا أَهْلَهُ مُرَّ الْجَنَى
جَزَرُوا ، جَزَرَ الْأَضَاحِي ، أَسَلَهُ ثُمَّ سَاقُوا أَهْلَهُ سَوَقَ الْأَمَا
مُعْجَلَاتٍ لَا يُوَارِينُ ، مُضْحَى

مُسْنَنَ الْأَوْجِهِ ، أَوْ يَبِيضَ الطَّلَى

(١) الرميض : المتحرق القدمين من الحر .

(٢) النقب : البعير اذا حفي ، المنسم : خف البعير . المج - زول : البعير في ظهره
دبرة ، اي قرحة .

هَاتِمَاتِ رَسُولِ اللَّهِ فِي

- بِهَرِ السَّعْيِ ، وَعَثَرَاتِ الْخُطْبَى (١)
- يَوْمَ لَا كَسْرُ حِجَابٍ مَانِعٌ
بِذْلَةُ الْعَيْنِ ، وَلَا ظُلُّ خُبَا (٢)
- أَدْرَكَ الْكُفْرُ بِهِمُ ثَارَاتِهِ
وَأَدِيلُ الْغَيِّ مِنْهُمْ فَاشْتَفَى
- يَا قَتِيلًا ! قَوْضَ الدَّهْرِ بِهِ
عَمَدَ الدِّينِ وَأَعْلَامَ الْهُدَى !
- قَتَلُوهُ بَعْدَ عِلْمٍ مِنْهُمْ
أَنَّهُ خَامِسُ أَصْحَابِ الْكِسَا (٣)
- وَصَرِيحًا عَالَجَ الْمَوْتِ بِلَا
شَدِّ لَحْيَيْنِ ، وَلَا مَدِّ رِدَا
- غَسَّلُوهُ بِدَمِ الطَّعْنِ ، وَمَا
كَفَّنُوهُ غَيْرَ بُوْغَاءِ الشَّرَى (٤)
- مُرَّهَقًا يَدْعُو ، وَلَا غَوْثَ لَهُ
بَابِ بَرٍّ ، وَجَدِّ مُصْطَفَى !
- وَبَأْمٍ رَفَعَ اللَّهُ لَهَا
عِلْمًا مَا بَيْنَ نِسْوَانِ الْوَرَى
- أَيُّ جَدٍّ وَأَبٍ يَدْعُوهُمَا ؟
جَدٍّ ، يَا جَدِّ ! أَغْنِي ! يَا أَبَا !
- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَا فَاطِمَةَ
جَدٍّ ، يَا جَدِّ ! أَغْنِي ! يَا أَبَا !
- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَا فَاطِمَةَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُرْتَضَى

(١) البهر : جمع البهرة ، وهي هنا وسط النهار .

(٢) بذلة العين : امتحان النفس ، وقلة صونها . والبذلة في الأصل ، ما لا يسان من الثياب .

(٣) أصحاب الكساء : النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين

خامسهم لأنه كان آخر من النف بالكساء معهم . قيل لهم ذلك لانتفاهم بالكساء

الياني عند فاطمة ، ولقول النبي حين ذاك : هؤلاء عترتي وأهل بيتي .

(٤) البوغاء : التربة الرخوة .

كَيْفَ لَمْ يَسْتَمَجِلِ اللَّهُ لَهُمْ

بِانْقِلَابِ الْأَرْضِ، أَوْ رَجْمِ السَّمَاءِ (١)

* *

حَمَلُوا رَأْسًا يُصَلُّونَ عَلَى	جَدِّهِ الْأَكْرَمِ طَوْعًا وَإِبَاءً
يَتَهَادَى بَيْنَهُمْ ، لَمْ يَنْقُضُوا	عَمَمَ الْهَامِ ، وَلَا حَلَّوْا الْحَبَى
مَيِّتٌ تَبْكِي لَهُ فَاطِمَةٌ	وَأَبُوهَا ، وَعَلِيٌّ ذُو الْعُلَى
لَوْ رَسُولُ اللَّهِ يَحْيَا بَعْدَهُ	قَعَدَ الْيَوْمَ عَلَيْهِ لِلْعَزَا
يَا جِبَالَ الْجِدِّ عِزًّا وَعُكْلَى	وَبُدُورَ الْأَرْضِ نُورًا وَسُنْبًا
جَعَلَ اللَّهُ الَّذِي نَابَكُمْ	سَبَبَ الْوَجْدِ ، طَوِيلًا ، وَالْبُكَاءِ
لَا أَرَى حُزْنَكُمْ يُنْسَى ، وَلَا	رُزْءَ كُمُ يُسْلَى ، وَإِنْ طَالَ الْمَدَى
قَدْ مَضَى الدَّهْرُ ، وَعَفَى بَعْدَكُمْ	لَا الْجَوِي بَاخٌ ، وَلَا الدَّمْعُ رَقَا (٢)

•

(١) رجم السماء : أي ترجمهم السماء بشيها

(٢) باخ : سكن رقاً الدمع : انقطع جريانه

راحل أنت

من قصيدة قالها في عاشوراء سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٨)

راحل أنت ، والليالي تزول^١ ومُضِرٌّ بك^٢ البقاء الطويل^٣
لا شجاع^٤ يبقى فيعتنق^٥ البيض^٦
ولا أمل^٧ ولا مأمول^٨
غاية الناس في الزمان فناء^٩ وكذا غاية الغصون الذبول^{١٠}
انما المرء^{١١} للمنية^{١٢} مخبوء^{١٣} وللطعن تستجيم^{١٤} الخيول^{١٥}
من مقل بين الضلوع ، الى طول^{١٦}
عنا ، وفي التراب مقل^{١٧} (٢)
فهو كالغيم^{١٨} ألننته^{١٩} جنوب^{٢٠} يوم دجن ، ومزقته قبول^{٢١} (٣)
يتناءى خيل^{٢٢} ، وتبكي طالول^{٢٣}
والليالي عون^{٢٤} عليك^{٢٥} مع البين^{٢٦} كما ساعد^{٢٧} الدوابل طول^{٢٨} (٤)
ربما وافق^{٢٩} الفتى من زمان^{٣٠} فرح^{٣١} ، غيره^{٣٢} به متبول^{٣٣} (٥)

(١) تستريح : تستريح .

(٢) مقل بين الضلوع : مقل النفس في الجسم .

(٣) القبول : ريح الصبا تأتي من الشرق .

(٤) الدوابل : الرماح .

(٥) متبول : مبتلى ، مذهب بمقله .

هي دنيا ، ان واعلت ذا ، جفت

هذا ملالاً ، كأنها عطبول (١)

كل ثباك ، يبكى عليه ، وإن طال بقاء ، والتاكل المشكول

والأماني حسرة وعناء ، للذي ظن أنها تعليل

ما يبالي الحمائم أين ترقى بعدما غالت ابن فاطم غول (٢)

أي يوم أدمى المدام فيه حادث رائم وخطب جليل ؟

يوم عاشوراء الذي لا أعان

الصاحب فيه ، ولا أجار القبيل (٣)

يا ابن بنت الرسول ، ضيعت العهد

رجال ، والحافظون قليل

ما أطاعوا النبي فيك ، وقد

مالت بأرماحهم اليك الذحول (٤)

وأحالوا على المقادير في حربك

لو أن عذرهم مقبول

(١) العطبول : المرأة الفتية الجميلة .

(٢) الغول : الهلكة والداهمة .

(٣) القبيل : الجماعة

(٤) الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر أو طلب مكافأة بجنابة ، أو العداوة والحقد .

واستقالوا من بعد ما أجلبوا فيها، أَلَا نَ أَيْهَا الْمُسْتَقِيلُ؟ (١)
إِنَّ أَمْرًا قُنِئْتُ ، مِنْ دُونِهِ ، السَّيْفُ

لِمَنْ حَازَهُ لِمَرْعَى وَبَيْلُ (٢)
يَا حُسَامًا ، فَلَسْتُ مُضَارِبُهُ الْهَامَ
وَقَدْ فَلَّه الْحُسَامُ الصَّقِيلُ !

يَا جَوَادًا ، أَدَمَى الْجِيَادِ مِنَ الطَّمَنِ
وَوَلَّى وَنَحَرُهُ مَبْلُولُ !

حَجَّلَ الْخَيْلَ مِنْ دِمَاءِ الْأَعَادِي
يَوْمَ يَبْدُو طَمَنٌ ، وَتَحْقَى حُجُولُ (٣)
يَوْمَ طَاحَتْ أَيْدِي السَّوَابِقِ فِي النَّقْعِ
وَفَاضَ الْوَتَى ، وَغَاضَ الصَّهِيلُ

أَمْتَرَانِي أَلَذُّ مَاءً ، وَلَمَّا
يُرَو ، مِنْ مُهْجَةِ الْإِمَامِ ، الْفَلِيلُ ؟ !
أَمْ تَرَانِي أُعِيرُ وَجْهِي صَوْنًا
وَعَلَى وَجْهِهِ تَجُولُ الْخِيُولُ ؟ !

(١) احلبوا : تجمعوا من كل وجه للحرب .

(٢) قنعت بالسيف : غطي رأسك به ، أي ضرب به .

(٣) حجَّل : خضب . الحجول : البياض في قوائم الفرس .

خطأ وصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٦	٢٣	سوى	إلا
١٧	١٣	يدلو	يدلي
١٩	١	ما . ما	ما . ما
٢١	٦	ذلك السن المبكر	تلك السن المبكرة
٢٢	١	ببضع	ببضعة
٢٣	١٧-٨	رأينا من انها ، به	رأينا انها - بها
٢٦	٢٠	رجلا	رجل
٢٨	٨	اعدائه	اعدائه
٣٦	٨	الاخشيدين	الاخشيديون
٣٨	١٤	ابا العشائر	أبي العشائر
٤٣	٢٠-١٤	كبريائه ، شاعراً	كبرياؤه ، شاعر
٤٧	٧-٤	ابو فراس ، ابو العشائر ، وراءه	ابو فراس ، ابي العشائر ، ورأته
٥٦	٥-٤	ينجو - امرائها	ينج - امرأوها
٥٧	١١	اشهر ثلاث	اشهرأ ثلاثة
١١٠	١٠	العددية	العديدة
١١١	١١-٦	اثر ، خطوط	اثراً ، خطوطاً
١١٢	٨	مظهرأ	مظهر
١١٣	١٧	تشويهاً ، فظيماً ، كريهاً ، بغضياً ، تشويهاً ، فظيماً ، كريهاً ، بغضياً .	تشويهاً ، فظيماً ، كريهاً ، بغضياً ، تشويهاً ، فظيماً ، كريهاً ، بغضياً .
١١٥	٢١-١٠	عصر - الفضاضة	عصره - الفضفاضة
١١٦	١٢	مناهجنا	منهاجنا

صفحة	سطر	خطأ	جواب
١٢٠	٥ - ٧	الحيا ، شأننا هاماً	الحياة ، شأن هام
١٢١	٣	اتفاقاً	اتفاق
١٢٣	٢١	مسعاً آخرأ	مسعى آخر
١٢٥	١٨، ٥، ٢	لكنه ، ادباءها ، امثلة	لكن ، ادباءها ، الأمثلة
١٢٧	١٧	متعب	متعباً
١٢٨	١٣	الاخيرة	الاخير
١٣٠	٨	الى سلطنة	لسلطنة
١٣١	٨	فيما	ما
١٣٦	١٠ - ٣٠	المعري ، وليس	كان المعري ، وليسوا
١٤١	١٠	الذي	الذين
١٤٣	١٢	سوى	إلا
١٤٨	٢٢	اطلاءً واسعاً	إطلاع واسع
١٤٩	١٥	نثراً ، اثراً ، ظريفاً ، خالداً	نثر ، اثر ، طريف ، خالد
٢٣٣	٢	ام يمدح	ام انه يمدح
٢٣٦	١٥ - ٦	ابنائه ، ابو	ابناءه ، ابي
٢٣٩	١٦	منذ	من
٢٤٨	٥	رأياً	رأي
٢٥٧	١٢	يسبحن ، من العطر	يسبحن ، من العطر
٢٥٩	٤	ليغني	وليغن
٢٦٣	٣	ابتلي	ابتلي

فهرس

صفحة	
٢	مقدمة
	المتني
١١	دراسة
	مختارات شعرية
٥٩	المدح
٧٧	الهجاء
٨٢	الرثاء
٩٥	الفخر
١٠٤	الحكم والامثال
	المعري
١٠٧	دراسة
١٥٠	رسالة الغفران
١٩٦	منتخبات متفرقة
٢١٢	الفساد
٢٢٢	السعادة
	الشريف الرضي
	دراسة
٢٧١	منتخبات شعرية